قصة غرام

مانيفستا الحياة

اسم الكتاب: قصة غرام مانيفستا الحياة

التأليف: منى عبد العزيز

نوع العمل: رواية

رسوم الغلاف: هنا محمد

تصميم: منى عبد العزيز

مراجعة وإخراج فني: سالم عبد المعز (عمرو سواح)

رقم الإيداع: 2021/ 14200

الترقيم الدولي: 978-977-835-255-9

الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

za7ma-kotab@hotmail.com Email

002 01205100596 Tel

002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

قصة غرام

مانيفستا الحياة

رواية

منى عبد العزيز

الإهداء

إلى كل وحيدة..

شمسُكِ لا تزال في الأفق تتحضر للسطوع

منى عبد العزيز

"لا بد من شيءٍ سليمٍ صحيحٍ نجيده بحياتنا.. لا يمكن أن تكون كلها خَرِبة مهترئة!"

الذبيحة

اختفت حرارة شمس الصيف خلف الستائر الداكنة للحمام بعد أن أحكمت "غرام" إغلاقها، بنظرات زائغة تقدمتْ من المرآة وحلت شعرها الداكن الطويل، تأملته بحنقٍ ثم ما لبثت أن أمسكت بالمقصّ وجزّت كل أثر لطوله.. ما لبثت أن أطلقتْ نظرةً ذاهلةً على الخصل الطويلة التي غزت يدها وصدرها وأرض الحمام.. ألقتها على الأرض، ومدت يدها لتمسح دمعةً سقطت على الرغم منها مورثة إياها شعورًا بالحداد على ما فعلت!

خرجت إلى غرفة نومها الملحق بها الحمام، وفتحت الدولاب، ثم أخرجت مفتاحًا تخفيه وسط طيات الملابس، فتحت به صندوقًا صغيرًا أخرجته من أسفل الدولاب حيث كان مخفيًّا هو الآخر.. فتحته ببطءٍ لتخرج منه ما يشبه دفتر المذكرات أو اليوميات.. سارت بالدفتر حتى جلست على فراشها وفتحت أولى صفحاته لتلقي نظرةً على أول ما تصدر صفحاته.

"أحب اللغة العربية كثيرًا.. لطالما كنت متفوقة فيها دائمًا.. أحبها سليمة وموزونة.. بالرغم من أنه ليس بحياتي أي شيءٍ سليمٍ ولا موزون.. إلا أنني قررت سطر مذكراتي باللغة العربية، فلا بد من شيءٍ سليمٍ صحيحٍ نجيده بحياتنا.. لا يمكن أن تكون كلها خربة مهترئة!"

ابتسمتِ ابتسامةً مريرةً، وبصرها يجري على الكلمات، تداعى لذاكرتها ومسامعها صوت "أكرم" ساخرًا: "يا دي أم العربي اللي قرفانا بيه! لغة عربية إيه يا ختي اللي فخورة قوي إنك شاطرة فيها؟! ما تبطلي هبل بقى واكبري".

أشاحت بوجهها عن صفحة المقدمة وكأنها تشيح بعقلها عن الذكرى، قلّبت صفحات الدفتر وفتحت صفحةً جديدةً خاليةً سطرت فيها ما جال برأسها الشارد:

" جزتته.. ذاك الذي لطالما أوذيت به.. كرهته.. لم أعد أحبه.. كان دائمًا السبب في أن أُجَر كالذبيحة لمذبحها فلا حاجة لي به بعد الآن.. لا أعلم ماذا فعلت.. لكن عزائي أنه لن يستطيع أن يسحبني به ثانية ولا أن يقتادني للأذى منه!"

في شرودٍ أغلقت الدفتر والصندوق وأعادتهما إلى مخبأهما السريّ ثم ألقت بالمفتاح في أحضان ملابسها الداخلية بالدولاب.. حانت منها التفاتة ونظرة جامدة لنفسها بمرآة غرفة نومها.. تفحصت شعيراتها التي بالكاد صارت تلامس كتفها ثم همست لنفسها مبتسمة في انكسار "هيطوَل.. بس لما مبقاش بتجر منه زي الدبيحة".

***

سقوط

كانت شمس النهار قد كفت عن مغازلة حوائط المنزل حيث شارف المغرب على الغزو بطلته داكنة الظلال، تركت "غرام" الظلام يزحف ولم تضئ أي أنوار حيث جلست بغرفتها.

تداعى لمسامعها صوت باب الشقة يُفتح وصوت "أكرم" الأجش الذي ما إن تناهى إلى مسامعها حتى سمعت نباحًا ارتجف له بدنها:

- "غرام".. أنتِ يا "غرام".. أنتِ فين؟

ظلت جالسة بذات الصمت حتى دفع باب الغرفة وصاح هاتفًا:

- مش بنادي؟ ما بتردیش لیه؟

- ما فيش.

- إيه هو اللي ما فيش؟! ما تردي عِدِل.. أنتِ إزاي تسيبي العيال عند أمك من إمبارح وما تقوليش علشان أبقى عارف؟ شخشيخة أنا ما ليش كلمة في أم البيت ده؟

بهدوء ودون أن تتحرك أو تبدي أي انفعال أجابته:

- شبطوا في ماما وهي قالت لي سيبيهم يومين ورجعت لقيتك بره، ونمت قبل ما تيجي.

- يا دين أوماااي.. بطلي حوارات.. متصلتيش بيّا ليه تقوليلي؟

- أقول لك ليه؟ فارق معاك وجودهم قوي؟

- يعني إيه.. أنتَ مش هتبطلي أم استفزازك ده؟

- أنا مش بستفزك أنا بسألك.. هو أنتَ مش نازل؟

- نازل ولّا طالع يا روح أمك، أنا راجل البيت ده، وما فيش حاجة تحصل إلا بإذني.

يخلع ساعته وخاتمه الفضي الضخم ثم تتجه يده لحزام بنطاله فيخلعه متمتمًا:

- أنتِ شكلك زعلانة علشان بقالي كام يوم مدتكيش تمامك، وما لك قاعدة متنحة زي الأموات كدا ليه؟

يضيء مصباح الغرفة فيلوح له وجهها الشاحب المحملق فيه بلا أدنى تعبير.

- فيه إيه أنتِ هتستموتي فيها؟ ما لك مبحلقة فيّا كدا ليه؟ تعالي هنا.

تمتد يده خلف رأسها قابضًا على شعرها فيفاجأ بقبضة يده والهواء فيصيح:

- يخرب بيت جنانك أنتِ قصيتِ شعرك؟! دا أنتِ يومك إسود، لو فاكرة مش هعرف أجرّك وحياة أسلافك ما هسيبك .. "أكرم" ما بيغلَبش.

يجرها مما تبقى من شعيراتها فتسقط من بين ثنايا ملابسها أشرطة دواء فارغة فيحملق فيها ويصرخ: "يخرب بيتك.. عملتِ إيه، الله يخرب بيتك".

تسقط أرضًا بجوار الأشرطة غائبةً عن الوعي بينما صوت عويله يعلو ويعلو..

***

بالمستشفى.. تفتح عينيها على طبيبٍ عجوزٍ يتحدث مع أمها و"أكرم"

- الشرطة هتاخد من حضرتك كلمتين تشرح لهم اللي حصل يا فندم وطبعًا لازم هيسألوا المدام لما تفوق.

في قلق تسأل الأم:

- "ممكن تعملها تاني يا دكتور؟ أنا خايفة عليها!

- اتفضلي معايا حضرتك نتكلم في مكتبي.

تتبع الأم الطبيب في صمتٍ مغلقين باب الغرفة خلفهما فتحين التفاتة من "أكرم" الذي تتسع حدقته وهو يرى عينيها المفتوحتين الثابتتين في صمتٍ على وجهه فيبادرها صائحًا:

- دي عملة تعمليها.. حسابي معاكِ بعدين.

تشير إليه بوهن ليقترب؛ فيقترب محاولًا تفسير تمتمتها الخافتة:

- "ما فيش بعدين.. طلقني وإلا هلبسك تُهمة!"

ثم تسقط في الغيبوبة مرةً أخرى وكأن وعيها قد قرر أن تلك هي آخر مرة تتعرض فيها لهذا العذاب.. عذاب قُربه ورؤيته.

***

الفوران البريء

انتهت "غرام" من ارتداء ملابسها في سرعةٍ وسعادةٍ باديين على وجهها الجميل، كان أبوها قد وافق على أن تزور صديقتها "أسماء" والتي تسكن بالقرب منهم، خرجت "غرام" من غرفتها ترتدي "تي شيرت" قطنيًّا أبيضَ بسيطًا تصطف عليه نقوش وردية تجعله جميلًا:

- إيه يا ست "غرام" اللي أنتِ لابساه ده؟!

باغتتها أمها بنظراتها المتفحصة لصدرها الغض البكر البريء.

- إيه يا ماما؟

- ال تي شيرت دا ما ينفعش تنزلي بيه روحي غيري.

- ليه يا ماما؟ دا أنا بحبه قوي؟ دا حلو ومن زمان بلبسه.

- ما عادش خلاص خشي غيريه.

- ليه بس يا ماما؟ يا بابا.. بابا.

- فيه إيه يا "غرام"؟

- بقولك خشي غيريه.. ما فيش حاجة يا "جميل".. يلا خشي جوه، وإلا مش هتنزلي لأسماء.

في قهرٍ تتراجع الفتاة لغرفتها وتجلس على سريرها باكية وهي تستمع لأمها تتحدث لوالدها بصوتٍ خفيضٍ: "هو إيه اللي فيه إيه؟ وإنتَ مش شايف بنتك كبرت إزاي وخراط البنات خرطها.. ما تفوق يا راجل وما تبقاش طري معاها ما عادتش تلبس السخام التيشيرتات دي تاني لازقة في صدرها اللي كبر راخر ربنا يستر على ولايانا، ما عادتش تلبس لبس البنات الصغيرة دا تاني خالص".

في استسلام يردف الأب: "معاكِ حق يا "ناهد" بس بالراحة على البنت فهمها بالراحة".

- ياخويا أنتَ كمان إيه اللي بالراحة طريقتك دي ما تنفعش مع البنات إحنا زي ما اتربينا "اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشرين" هو أنتَ عاوزها تفضحنا قدام الناس وتنزل كده؟ يقولوا بنت "جميل" لابسة المحزق والملزق وصدرها متجسم؟

- طيب طيب أنا هدخل لَها.

- ولا ما تدخلش هي كلمة خلاص وإتقالت!

يدق الأب باب غرفة ابنته التي تهتف: "ادخل" ثم تتحرك من على سريرها وتمسح دموعها فيتقدم منها متسائلًا:

- إيه يا حلو ما غيّرتش ليه؟ أنتَ عايز الشاويش"ناهد" يرجع في كلامه ويحبسك ويحبسنا كلنا معاكِ؟

- يا بابا أنا ءءءء ...

- ما فيش يا بابا.. أمك خايفة عليكِ يا بنتي وإنتِ حلوة وكبرتِ وفرتِ وعيون الناس ما بترحمش ولازم من هنا ورايح تعملي لهم ألف حساب وتاخدي بالك من كلامهم وبصتهم ليكي.. إحنا مش حِمل الناس يا بنتي.. يلّا غيري وروحي لأسماء.. يلا.. فين حاضر يا بابا؟

- حاضر يا بابا.

يخرج الأب من الغرفة تاركًا الفتاة في بحرٍ من السخط والحيرة بل والعار.. تحملق في صدرها وجسدها بالمرآة وهي تخلع ال تي شيرت لتلقيه جانبًا في غضب لترتدي بلوزة واسعة لا تظهر ملامح جسدها وقد اختفى كل مظهر للشغف للزيارة قد كان يحتل وجهها من قبل!

القطاف المبكر!!

تعالت أصوات الأم والأب ترحابًا بالضيوف الذين ما إن تحققت "غرام" من أصواتهم حتى عقدت حاجبيها في صمتٍ وربما غضب.

كانت الأصوات لزوجة خالها وأولادها "سيد" و"سليم"، غزت أمها باب غرفتها كعادتها فلم تكن تعرف معنى طرق الأبواب مع صغيرتها كِبرًا وتجاهلًا.

- مرات خالك وولاد خالك هنا يلا تعالي علشان تعملي الشاي يا بنتي وتقعدي مع ولاد خالك.

- هو أنا لازم أخرج يا ماما.. ما هما صبيان مع بعض يقعدوا مع "شهاب" أخويا وخلاص.

- بقولك يلا يا بنتي هو أنتِ لازم تناهدي وتوجعي لي قلبي، مش ممكن تعرفي الذوق لوحدك.. أووف.

تترك الأم باب الغرفة فتتبعها الصبية مرغمة فتسلم على زوجة خالها وأولاد خالها وتخرج متوجهة للمطبخ لعمل الشاي وتقديم الحلوى للضيوف.

تلمح "سليم" ابن خالها على باب المطبخ فتتوتر ويكفهر وجهها، تظل منغمسة في تحضير الضيافة للضيوف في حين يدخل هو المطبخ الذي يقبع بآخر الممر الطويل الذي يحوي غرف النوم ويبعُد عن غرفة الضيوف والفرندة التي كانت الأم تستقبل ضيفتها فيها. بينما كان شقيقها قد اصطحب "سيد" على مسمعٍ منها ليريه طائرته الورقية التي صنعها فوق سطح المنزل.

يُلقي "سليم" عليها التحية فتجيبه دون النظر إليه متظاهرة بالانشغال.

- عاملة إيه يا بنت عمتي.

- الحمد لله.

- وحشتينا.

- أنتم كنتم هنا من أسبوعين!

- ما وحشناكيش يعني؟

- عادي.

يقترب"سليم" ممازحًا:

- إيه الغلاسة دي يا "غرام"؟

لا تجيبه ولا تستدير له وتشعر بأنفاسها تتسارع وكأنها تختنق في حين يقترب هو حتى يلتصق بجسدها وهو يضحك.

- طب والله غلسة ووحشتيني.

تعلو أنفاس الفتاة بينما تشعر "بشيئه" ينغرس بجسدها كجسمٍ غريبٍ ينتهك براءتها ويعبث ببكارتها الإنسانية!

تترك البراد الألومنيوم بمائه المغلي على رخام المطبخ بحركةٍ مفاجئةٍ فيُحدِث صوتًا عاليًا ويتطاير الماء المغلي بكل مكان فيكون ليديها نصيبٌ من هذا اللهيب فلا تشعر به إذ يكفيها لهيب قهر براءتها.

يتعالى صوت الصبي "إيه ده؟ أنتِ اتحرقتِ وريني إيدك"

تبتعد عنه وتركض باتجاه غرفتها بينما تأتي الأم على صوت ارتطام البراد بالرخامة وصياح الصبي فترى الفوضى ويد الفتاة فتصيح:

- "يا دي الخيبة! إيه يا بنتي اللي حصل، كدا برضو مش عارفة تعملي كبايتين شاي للناس؟!".

تختفي "غرام" داخل غرفتها وتجلس على سريرها صامتةً باكيةً في صمتٍ غير آبهةٍ بحرق يدها إذ يبدو أنها قد هدأت لدى ابتعادها عن الصبي والأم.. تتحرك عيناها جيئةً وذهابًا بغرفتها وكأنها ترى فيها الملاذ الآمن وليس غيره.. الملاذ من الفتى الذي دأب على المزاح معها والاقتراب منها بشكلٍ غريبٍ لا يريحها كلما أتى برفقة أمه

وأخيه، والملاذ من أمها التي لا تكف عن تقريعها لأي سبب وكل سبب ولا تكف ليلًا ونهارًا عن التصريح بأنه "يا ريت كنت جبت أخ لشهاب بدل البت اللي فارت بدري دي وهتجيب لنا الكَفْيَة"

كانت دومًا تفكر بجملة أمها الأثيرة "أنتِ هتجيبي لنا الكَفْيَة" وتتساءل عن معنى "الكَفيَة" التي سوف تحضرها لأهلها بل وسألت أباها ذات مرة عن معنى الكلمة فأراد أن يخفف عنها الأب الطيب وقال إن الأم تمزح ولا تقصد شيئًا، إلا أن الفتاة أصرت عليه أن تفهم معنى الكلمة وأربكه إصرارها فقال لها مترددًا: إن الكلمة أتت من "أن ينكفئ الإنسان على وجهه" وهو ما يحدث حين يرتبك أو أن يركض من العار مثلًا!

لم تنطق الفتاة ببنت شفة لحظتها، ابتعدت عن أبيها بهدوء موجع وهي لا تعلم لماذا تصر أمها على أنها قد تجلب لهم العار فقط لأنها فتاة ولأن جسدها يكبُر يومًا بعد يوم!

سحبت الفتاة -التي كانت يدها قد أصابها الاحمرار من الماء المغلي- دفترًا صغيرًا يبدو ككراسات المدرسة لكنه كان مزينًا من الخارج بصور كارتونها المفضل ورسوم للشياطين ال ١٣ والمغامرين الخمسة

فتحت الدفتر والتقطت قلمها فبدت علامات الألم على وجهها جراء استخدام القلم، انتقت صفحة فارغة فكتبت في صدرها:

"يومًا ما سأكبر وأكون أمًا جيدة وسأقول لبناتي إني أحبهن ولن أقول لهن إني أنتظر أن يجلبن العار بلا ذنب أو خطأ ارتكبنه، وإن أخطأن سوف أساعدهن في إصلاح أخطائهن، سأكون أنا حائطهن وسندهن لكيلا يركضن بعيدًا عني بحثًا عن ملجأ!".

*****

وما تخيلناه سبيلًا للخلاص.. كان هو شَرَك الموت الحقيقي!

الخلاص الموهوم

تعالت ضحكات "أكرم" عاليًا وهو يسرع بسيارته الصغيرة ناهبًا الطريق للمطعم الفخم -حسبما وصف- حيث كان قد قرر دعوة خطيبته ولأول مرة منذ خطبتهما. تأملت "غرام" مرحه الشديد وكأنه في طريقه لفتح من الفتوحات، حدثت نفسها: (أخيرًا خرجنا.. "أكرم" من يوم ما خطبني وهو بييجي خميس وجمعة يتغدى عندنا ويقعد كتير وعمره ما عزمني بره، ولا خرجني زي المخطوبين وكده، أخيرًا هنخرج سوا بعيد عن ماما و"شهاب" اللي على طول معانا).

قررت مجاملته وشكره فأردفت:

- أنا مبسوطة قوي يا "أكرم" علشان خرجنا، ميرسي قوي على العزومة اللطيفة.

- ما تتعوديش على كدا يا بنت الناس، آه أديني بقولك أهه، أنا ما بحبش الخروج والمرقعة والكلام ده، أنا أموت في قعدة البيت وأقعد وأتخِدم وأتدلع كده، بلا خروج بلا مصاريف ما لهاش لزمة، دا المطعم اللي موديهولك دا أغلى مطعم في مصر الجديدة، آه والله دا الفرخة المشوية بسلطاتها ببابا غنوجها معدية المية وستين جنيه، حاجة افترا يعني.

يمتقع وجهها وتحملق في وجهه في صمتٍ فلم يكن والدها -رحمة الله عليه- ولا أمها رغم خشونة طباعها ممن يبخلون أو يحدثون أولادهم عن المال بتلك الطريقة الفجة، يلمح "أكرم" نظراتها وصمتها فيستطرد بفجاجة:

- بس كله يهون علشان "غرومتي" حبيبتي تبقى مبسوطة وتاكل وتنبسط كده، أصرف وماله مصرفش ليه؟!

- ءءء شكرا يا "أكرم"، على فكرة ماما قالت لي هننزل نشتري الستاير قريب علشان تتفصل وحاجات تانية كتير علشان بيتنا.

- آه وماله.

- تحب أوريك "ديزاينات" الستاير اللي اخترتها علشان تشوف ذوقي؟

- لا بقولّك إيه أنا مش ناقص صداع الحريم ده! مش معاكِ الفلوس يا ماما اتصرفي.

- أنا مش بتكلم في الفلوس أنا بقول ءءء

- ولا يفرق معايا؛ لو حطيتي جرايد على الشباك قشطة معايا.

- جرايد؟!

- أي حاجة يعني يا "غرومتي" ما توجعيش دماغي بشغل الحريم ده، أنا بيس!

تشيح "غرام" وجهها للطريق صامتة محدثة نفسها مرة أخرى: (أكرم أكيد طيب وبيحبني زي ما ماما بتقول، بس أنا محتاجة أفهمه كويس، مش ضروري يعني أطلب منه يخرجني كتير علشان ما يتضايقش مني، أنا لازم أخلص شواري بسرعة علشان نتجوز ويبقى عندي بيت لوحدي، يااااه بيت لوحدي بعيد عن ماما و"شهاب" البيت بعد بابا -الله يرحمه- بقى وحش قوي.

تختلس نظرة أخرى لأكرم ثم تتمتم: (الله يرحمك يا بابا)

*****

يومًا ما اشتهيت قطرات من عذوبةٍ تُحييني أنثى للأبد

فجاءتني طفقات نارك لتروي زهرة على قبر إحساسي بك!

طفقات النار

ما لبثت طفقات نار شهوته أن التهمت مجرى عِفتها الملتهب، في هجمة مباغتة مسرعة لم تمهلها لتشعر بما يجب أن تشعر به أنثى في قلب عاصفة الإحساس، هجمة بربرية سريعة غير مبالية بشعور من تحتاج لقافلة من التقديم والترغيب والحرث لسائر مواضع ملذات جسدها الغارق في الحرمان في عمق استقباله للطفقات الأنانية.

انزاح "أكرم" بجسده الضخم من فوقها بغتة غير مبالٍ بالتعبير المرتسم على وجهها الذي اصطبغ بحُمرةٍ قانيةٍ تلائم أنفاسها التي لم تكن قد هدأت بعد!

التقط أنفاسه مستلقيًا على ظهره دون النظر إلى "غرام" التي كانت قد دفنت وجهها في الوسادة بلا حراك يُذكر سوى أنفاسها المتسارعة بشدة، تحرك على الفور إلى الحمام الملحق بغرفة النوم فألقى بنفسه تحت مياه الدش مغتسلًا وهاتفًا "حضري لي غيار يا غرومتي".. "غرام" يلا يا بت متناميش.

في دقائق معدودة أنهى اغتساله وعاد للغرفة متشحًا ببشكيرٍ كبيرٍ لم يستخدمه في تجفيف المياه التي غمرت جسده فكان يقطر ماءً على أرض الغرفة..

كانت لا تزال بالسرير وحانت منها اهتزازة مفاجئة حين عاد للغرفة صائحًا

- "أووف على كسلك يا ولية.. أنتِ لسَّا في السرير.. يلا قومي هاتي لي هدومي واعملي لنا لقمة ناكلها علشان نازل.. يلا ياختي دا أنا راجل شقيان وراح من عمري أسبوعين آه دا أنا بضحي والنعمة"

لا يجد ردًّا على مزحته السمجة فيستطرد:

- "زي ما قال الدكتور اللي جه ف التليفزيون مع الولية المذيعة دي اسمها إيه؟ ما تقولي قال إيه؟ مش قال كل مرَّة بتنقص من عمر الراجل أسبوعين بحالهم هههههه علشان تعرفي بس إني بضحي علشانك وبعمل معاكِ واجب".

في بطءٍ تحركت "غرام" من مكانها فالتحفت بروبها الحريري مغمغمة

-"هدومك في الدولاب.. أنا هاعمل الأكل.. وشكرًا على الأسبوعين مش عارفة كنت هعيش ازاي من غير تضحياتك".

- يا بت أنتِ لازم تقلبيها عكننة؟ دا أنا بهزر.. ما حدش يهزر معاكِ يا غم أنتِ.. يلا حضري الأكل بسرعة علشان نازل..

في خيبةٍ تتوجه للحمام لتلقي بنفسها تحت مياه الدش التي كانت حيلةً ممتازةً لتغطية دمعة سالت حدادًا على مشاعرَ لم تكتمل، وشبقٍ لم يجد أبدًا طريقه إليها!

*****

الحرام

في توتر فركت "غرام" كفيها.. ألقت نظرةً على شاشة هاتفها الذكي الذي أشار إلى الساعة العاشرة مساءً.. حدثت نفسها "اتأخرت وأكرم هيتخانق معايا.. أووف أعمل إيه؟"

ألقت نظرة على اللافتة التي تحمل اسم الطبيبة "هالة السيد" طبيبة أمراض الذكورة والطب الجنسي".. ما لبثت أن حدثت نفسها: "مش همشي.. لازم حل".

مضت نصف ساعة أخرى قضتها "غرام" في مزيدٍ من التوتر والنظر لدقائق على شاشة هاتفها وما لبثت الممرضة أن هتفت باسمها مشيرة إلى باب غرفة الطبيبة فتحركت في لهفةِ مَن ينشد الراحة والحل والغوث خلف هذا الباب.

ابتسمت لها الطبيبة ابتسامة مُرحِّبة:

- اتفضلي يا مدام.. خير إن شاء الله؟

- ءءء.. أنا عندي مشكلة كبيرة يا دكتور.

- بشويش.. خير اشرحي لي.

- جوزي عنده مشكلة وأنا تعبانة مش عارفة أعمل إيه؟

- أيوه مشكلة إيه فهميني؟

- ممكن أسأل حضرتك سؤال الأول؟

- اتفضلي.

- هو فعلا كل مرة جوزي بينام معايا فيها عُمره بيقل أسبوعين؟

ارتفع حاجبا الطبيبة في دهشة وغالبت ضحكتها هاتفة:

- بتقولي إيه؟ مين اللي قال لك الكلام دا يا مدام؟

- جوزي.. جوزي هو اللي قال لي كده.

- قالك إيه بالظبط؟

- قال لي إنه سمع في برنامج تليفزيوني إن كل مرة جماع بتقلل من عمره أسبوعين، ومن ساعتها كل مرة بينام معايا فيها بيقول لي كده بعدها.. بقيت بحس بالذنب وبستنى الجملة دي كل مرة حتى لو بيقولها بهزار.. قولي لي من فضلك.. دا حقيقي؟

- لا طبعًا ما فيش الكلام ده.. يا مدام العلم بيقول إن الرجالة النشيطين جنسيًّا هم أصحاب العمر الطويل طالما كانوا أصحاء مش أصحاب أمراض مزمنة أو إعاقات تمنع أو شيء من هذا القبيل .. يعني عكس اللي بتقوليه دا خالص.

- مش أنا اللي بقول ..

- تمام.. هو بس واضح إنه فيه مشكلة.. قولي لي أنتِ قلتِ لي بتعاني من مشكلة.. قولي لي التفاصيل.

- ءءء هو أنا مش عارفة أشرح لحضرتك إزاي.

- على مهلك وفهميني..

- أنا ما بحسش إن علاقتي بجوزي كفاية.. حاسة نفسي كأني مش متجوزة.. مش.....

- كملي حضرتك....

- ءءءءءء

- ممكن تهدي وتشرحي لي بصراحة وبالتفصيل؟ أنا طبيبة ولا حياء في العلم.. فهميني.. عنده مشكلة في الانتصاب مثلا؟!

- لأ.

- أومال في إيه؟

- مش.. مش بلحق أحس ءءءء

- آه.. عنده سرعة قذف؟

- أيوه و ءء هو مش حنين يعني مش..

- لا بشويش عليا بس يا مدام، نتكلم في تخصصي علشان حكاية الحنية دي عايزة طبيب نفسي مش أنا خالص، خلينا في مشكلتك الأولانية واللي هي مش مشكلة قوي يعني.

- إزاي؟!

- رجالة كتير قوي عندهم المشكلة دي يا مدام ودي حاجة ليها أسباب كتيير متعلقة بالكبت الجنسي وإدمانهم العادة السرية قبل الجواز وأمور تانية وبياخد لها علاج عادي وبشويش عليه كدا في العلاقة متقفشيش عليه بسرعة شكلك جامدة عليه حبتين هاهاهاهاها

- أنا ءء.. هو مش معترف إن عنده مشكلة.. مش عارفة أشرح له أصلا.. أنا عمري ما حسيت معاه بـorgazim .

- عمرك؟ نهائيًا؟ ولا مرة؟

- ولا مرة.

- أومال بتحسي بإيه؟

- مممممم.. بحس بانبساط.. زغزغة كده.. بحس إني مُثَارة.. عايزة أكمل .. لكن ده ما بيتطورش أكتر من كده ولا بيوصل لرعشة؟

- مش يمكن بتحسي وأنتِ اللي مش فاهمة نفسك ولا إحساسك؟ على فكرة دي مشكلة شائعة عند ستاتنا، لازم نقول الحق برضو كتير بيبقوا مش فاهمين إحساسهم ولا بيساعدوا أزواجهم على .....

- بقول لحضرتك مش بحسه.. أنا عارفة إحساس الرعشة وعمري ما حسيته مع جوزي.

- عارفة؟ عارفة منين طالما عمرك ما حستيه مع جوزك؟

تطرق غرام في صمتٍ فتعاود الطبيبة حثها على الحديث:

- بصي يا مدام.. أنا بحاول أساعد حضرتك.. مش بشكك في كلامك ولا مش مصدقاكِ.. بالعكس.. بحاول بس أسمع منك وأفهم علشان أقدر أشخّص وأعالج.. ممكن تشرحي لي بالظبط علشان أقدر أساعدك؟ ممكن تجاوبي سؤالي علشان أقدر أحدد حجم المشكلة؟.. فهميني.. عارفة منين بقى إحساس الرعشة؟

- مممممم عارفة من نفسي..

- من نفسك؟! آه فهمت..

- كل مرة بيخلص في دقيقة ويقوم يجري على الحمام.. لا بياخدني حتى في حضنه ولا بيفكر يسألني حاسة بإيه ولا اكتفيت زيه ولا لأ.

- وبعدين؟

- ءءءءء.. ولا حاجة أنا بفضل في السرير وب ءءء بريح نفسي.

- مفهوم..

- عارفة إن دا يمكن يكون مش صح؟

- هو ما بيحسش بده؟

- لا.. عمره ما حس بيا.. بيخرج من الشاور يلاقيني قتيلة في السرير.. ما بيركزش ويمكن ما بيهتمش.. بيترمي جنبي على السرير ويسحب الغطا وينام فورًا!

- وأنتِ؟

- بفضل مرمية مكاني زي ما أنا.. كتير بعيط من غير صوت.. ببصله وبيبقى نفسي أصحيه أقوله حس بيا.. في الآخر بقوم من جنبه آخد شاور وأصلي وأعيط لربنا علشان يرشدني وبرجع أنام.

- بصي هي الحكاية مش بالدراما اللي بتوصفيها دي.

- دراما؟

- قصدي أنتِ باينك ست حساسة زيادة عن اللزوم.. دي مشكلة ستات كتير ومش كلهم بييجوا يحكوها بإحساسك ده.. كان لازم يتعالج بدل ما تسكتي وتتعاملي مع نفسك والوضع يتفاقم.

- أنا قلت له.. قصدي لمحت له مرة إني ما خلصتش ومش مكتفية.

- وقال لك إيه؟

- تجاهلني ودخل أخد شاور ونام.

- وبعدين؟

- ومرة لمحت له إنه محتاج علاج و.....

- وإيه؟

- زعق معايا وضر..... قصدي كان هيضربني وقال لي مفتحش بقّي تاني.

- يمكن طريقتك يا مدام.. قصدي يعني مش بتعرفي تثيريه كويس.. الراجل محتاج شوية دلع برضه دي أمور نفسية بتساعد جدا.

- حضرتك أحلف لك إني بعمل كل اللي أقدر عليه معاه وبلبس حلو وبتدلع و...

تبدأ دموع "غرام" في الانفجار في صمتٍ على وجهها الذي يصطبغ باللون الأحمر

- مممممم ... ممكن تهدي وتبطلي عياط، أنا مش بتهمك بحاجة علشان تدافعي عن نفسك.. بصي.. أنا هتكلم معاكِ كَسِت قبل ما أكون دكتورة.

- اتفضلي.

- هو في الأمور التانية عامل إزاي؟

- أمور تانية؟!

- يعني في البيت، في الصرف.. عندك أولاد؟

- وعد وأحمد.

- طيب ومع ولادك؟

- هو أب معقول الحقيقة بحسه بيحب الولاد.

- بتحسي؟!

- هو مبيقعدش في البيت خالص أصلًا بس أكيد بيحب الولاد؛ دول ولاده.

- ولو إني حاساكي مصرة تجملي الشكل الخارجي للحقيقة بس هقول تمام أكيد بيحب ولاده وحكاية القعاد في البيت دي قصة ستات البلد كلها مش وقت كلام فيها خالص .. قولي لي.. بيصرف؟

- بيصرف أيوه.. حريص شوية بس دا علشان بيتنا ومستقبلنا أنا عارفة.

- تمام.. بصي أنا هكتب لك دوا.

- وأديهوله؟

- لأ.. دوا ليكي.

- أنا؟!!

- أيوه.. اسمعيني بس.. هكتب لك دوا يهديكِ شوية.

- يهديني؟!

- أيوه يا حبيبتي يعني يخليكي أهدى من كدا شوية.

- أنا هادية.. بس أنا بتألم وتعبانة من اللي بيحصل لي.

- يا مدام افهميني أنا هكتب لك دوا يهدي الهيجان اللي عندك دا شوية فترضي بقى بنصيبك وتحمي بيتك من الخراب.

- أحمي بيتي من الخراب؟! أنا اللي هخرب بيتي؟! مش مفروض حضرتك دكتورة وأنا جيالك علشان تتكلمي معاه وتعالجيه؟ أومال الحالات الكتير اللي بتتباهي بيها في التليفزيون إنك عالجتيها وخلتيهم أُسر سعيدة دي إيه؟ كذب؟! كل دا كذب؟!

- لا مش كذب يا مدام.. دي حالات بييجوا بنفسهم علشان يتعالجوا.. يعني مريض جاي يتعالج مش مريض رافض يتعالج وأدخل أنا في مشاكل وشوشرة على سمعتي.. اسمعيني.. إحنا في مجتمعنا الشرقي دا أصعب حاجة على الراجل إنك تهميه في رجولته كده، وتحسسيه إنه ما بيكفيكيش.. طالما مش هو اللي حاسس بأزمة وعاوز يتعالج يبقى حكايتك خلصانة ومقدرش أعمل لك حاجة.. نصيحة.. طالما أب جيد وبيصرف يبقى عيشي وخدي الدوا اللي هكتبهولك ده، هيريحك قوي ولا هتحتاجي حتى تريحي نفسك بنفسك من وراه..

- بس.. بس دا حرام!

تنهي الطبيبة كتابة الوصفة الطبية وتمد يدها لغرام بالروشتة متمتمة:

- آسفة بجد، أنا متعاطفة معاكي جدًّا بس مقدرش أعمل لك أكتر من كده!

تنتفض غرام متجاهلة يد الطبيبة ووصفتها الغاشمة وتندفع لباب الغرفة والدموع تغرق وجهها ومنه لباب العيادة ثم للشارع حيث يبتلعها الزحام فتضيع وسطه ويضيع أملها في مخرج.

*****

البرد الدافئ!

في سرعة أزاحت "غرام" القفل الرابض على باب شقتها وأفسحت المجال لطفليها حيث تقدماها في خطوات مترددة قاطعتها هي بحماس مصطنع حاولتْ بثه فيهما مبادرة إياهما:

- حمدا لله على السلامة يا حلوين، أخيرًا في بيتنا لوحدنا.

ابتسم "أحمد" متبادلًا نظرات مترددة مع شقيقته "وعد" فأكملت الأم:

- يلا يا حبايبي على أوضتكم ووضبوا هدومكم في الدولاب وأنا هحط حاجتي في أوضتي وهاجي أساعدكم.

في تردد تتساءل "وعد":

- ماما، هي تيتة "ناهد" هتفضل زعلانة مننا علشان سيبناها وجينا هنا؟

يرمقها شقيقها بنظرة معاتبة مردفًا:

- بس يا "وعد" متضايقيش ماما، تيتة "ناهد" بتحبنا ومش هتفضل زعلانة مننا.

تذعن الفتاة لنظرات شقيقها فتغمغم:

- إحنا اتعودنا نقعد مع تيتة بس، لكن خلاص يا ماما هنتعود على بيتنا ده.

تُفلت "غرام" الأمتعة التي تحملها وتقترب من أولادها محتضنة أكتافهم فتجلس بهم إلى أقرب أريكة مردفة

- بصوا يا حبايبي، أنا عارفة إننا نقلنا فجأة من بيت تيتة، بس هو الطبيعي إننا يبقالنا بيتنا لوحدنا اللي نبقى فيه براحتنا، مش كدا ولا إيه؟

يغمغم الفتى وتتبعه شقيقته: "كدا يا ماما".

تحتضنهما "غرام" مغمغمة:

- حبايب ماما، دا أنا ناوية أعمل أوضة لكل واحد فيكم بس نخلص ترتيب حاجتنا ونشتري أوضة تانية ليكم، إيه رأيكم؟

تهلل أسارير "أحمد" هاتفًا:

- أيوه أنا عايز أوضة لوحدي.

- عيون ماما يا سي "أحمد"، أوعدكم إن الأيام اللي جاية هتكون أحسن كتير من كل الأيام اللي فاتت، يلا يا حبايبي عندنا ترتيب كتير، "أم محمد" مرات البواب منضفة الشقة بس لازم نرتب حاجتنا في الدواليب ونرتب كل حاجة على مزاجنا، تمام يا حلوين؟

- تمام يا ماما.

تشرع "غرام" في ترتيب الأغراض ومساعدة طفليها في الاستقرار بغرفتهما حتى ينقضي النهار وسط الترتيب واستقبال عامل توصيل السوبر ماركت وتحضير الغداء واستقبال زيارة مفاجئة من "أم محمد" زوجة البواب التي جاءت لعرض خدماتها أو استقصاء الوضع وهو ما استشعرته "غرام" من نظرات المرأة الفضولية فصدتها وأعلنت شكرها على جهدها بتنظيف المنزل وأنها سوف تتصل بها لدى الحاجة مرة أخرى.

***

تتأمل "غرام" طفليها النائمين من فرط الإرهاق فتحكم الغطاء على أجسادهما الصغيرة في تلك الليلة الشتوية شديدة البرودة، تبتسم لدى تذكرها لاعتراض ابنتها للنوم بعيدًا عنها هاتفة قبل النوم:

- ما إحنا عند تيتة "ناهد" كنا بنّام جنبك في السرير الكبير يا ماما.

تبتسم غرام لدى تذكرها لوجه ابنتها حين رضخت لرغبتها في الاستقلال كلٌّ بغرفته فتستقبل سريرها وبطانيتها على مضض ثم لا تلبث أن تذهب في عالم الأحلام خلال دقائق قصيرة.

تدلف لغرفتها التي تفننت في ترتيبها منذ ساعات الظهيرة فتبتسم سعيدة راضية متأملة مكتبتها الصغيرة وجهاز الراديو فتديره فيصدح بالموسيقى فتخفض "غرام" صوته حتى لا توقظ طفلها، تخلع الروب الثقيل الذي كان يغطي جسدها فترتجف من برودة الليلة وكأن البرد يراجعها بقرارها، فتقرر في حزمٍ سحب كتاب لتقرأه بفراشها الواسع الذي يذكرها اتساعه بوحدتها، تجلس بالفراش وتبدأ في القراءة باستمتاع إلا أنها تشعر بالبرودة الشديدة فتقوم لإحضار غطاء آخر تضيفه للفراش، تحين منها نظرة للجزء الفارغ من الفراش فتتذكر "أكرم" بجسده الضخم الذي كان رغم فظاظته ووحشيته يجعل من وجوده بالجوار سببًا في شعورها بالدفء!

تهز رأسها منكرة الفكرة وكأنها تتمنى لو تُسقط كل ذكرى له برأسها، أن يعود عدمًا كما كان قبل أن تعرفه! تضيف طبقة ثالثة من الغطاء بالفراش فيبدأ شعور الدفء بالاقتراب قربًا حثيثًا، بينما يتسرب إلى مسامعها صوت الراديو الخفيض بكلمات لمطربها المفضل

((على بالي عيد اللي عشته معك بس مش معك
وحسّ اللي حسّيته إلك بس مش إلك
مشتاق للطريقة اللي حبيتك فيها بس مانّي مشتاقلك!!))

*****

أتلمس حريتي بجذرِ عُصفورٍ قد اعتاد أسر

قفصه!

الخروج من الشرنقة

في ارتباك واضح عبرتْ "غرام" باب الكافيه الكائن بالحي الراقي، تلفتت حولها في قلق إلى أن استقر نظرها على رجل أربعيني وسيم الملامح، تزين وجهه لحية بدأ بياض الشيب الخفيف يداعبها ليزيد الرجل وسامة وجاذبية، ضجت عيناه ابتسامًا حين يلمحها تقترب منه بفستانها البسيط أخضر اللون وملامحها الهادئة التي تنطق بالحذر!

في حماس يبتسم الرجل ويقف مستقبلًا ومصافحًا "غرام"

- أخيرًا يا بنتي.. عاش من شافك يا "غرام".

- إزيك يا "عمر".. واحشني والله.

- بكاشة والله لو كان صاحبك واحشك ما كنتيش تغيبي وتغلبيني على ما أشوفك كل ده!

- غصب عني والله يا "عمر" مش عارفة أقول لك إيه.

- لا هتقولي وتقولي كمان.. دول كام سنة.. مش عارف أعد والله وزيدي عليهم سنة كاملة من ساعة ما عرفت إنك انفصلتِ عن "أكرم" ما كنتش عارف أوصل لك فيها ولا أتطمن عليكِ! يلا نطلب قهوتنا وتحكي لي.

- يلا.. قهوتي سادة.. دبل.

- إيه؟! سادة؟ من إمتى يا "رومة"؟

- يووووه.. من زمان.

- تغيير دا بقى؟!

يشير إلى النادل فيقترب فيطلب منه القهوة على عجلٍ ثم يبادرها بالحديث:

- طمنيني عليكِ.. كنت هتجنن لما عرفت إنكِ انفصلتِ عن جوزك.. كنت عاوز أتطمن عليكِ وأكون جنبك.. إحنا عشرة سنين يا بنتي.. جوزك بس اللي كان غلس ومش بالع فكرة إنك تكوني سبب تعارفنا أنا وهو.. ما كنتش برتاح له بس علشانك كنت مستعد نكون أصدقاء بس ...

يتوقف عن الاسترسال.. ويعلو وجهه الأسى والضيق فتلتقط هي طرف الحديث:

- كمل يا "عمر".. أنا خلاص الذكريات دي بقت بعيدة قوي بالنسبة لي، وموضوع صداقتكم أو صداقتنا كأسرتين يعني أنا اعتذرت لك عنه كتير أيامها واعتذرت ل"مها" مراتك.. "أكرم" مكانش الراجل الاجتماعي الطبيعي المتحضر اللي بيعمل علاقات اجتماعية مع حد برا إطار عيلته وأصحابه اللي شبهه.

- المرة الوحيدة اللي اتقابلنا فيها كانت كارثة، آسف والله مش قصدي هاهاها.

- كارثة بس!! أنا كنت في نص هدومي من سخافته معاكم والهبل اللي عمله، ما كنتش عارفة أعمل إيه؟!

- عدى وفات خلاص يا بنتي، كان كل قلقي عليكِ وكل خنقتي إني كنت عاوز أفضل قريب، حقك عليا بعد العشرة دي كلها أكون موجود لما تحتاجيني.

- للدرجة دي كنت حاسسني تايهة ومحتاجة سند وقتها؟!!

- كانت واضحة لأي حد يا "غرام".. أي حد.. مش شرط صديق عمرك أو أي حد بيقراكي كويس.. الراجل دا كان "مِحنة" حقيقية كنت شايفك فيها وما كنتش قادر أعمل لك حاجة، اللي ما كنتش فاهمة بجد إزاي قدرتِ تستمري كل ده؟ إزاي رضيتِ وعيشتِ؟ مش هخبي عليكِ في مرة كنا سهرانين مع "نبيلة" صاحبتنا وجوزها وجت سيرتك ومحدش فينا توقع تكملي مع "أكرم"، الغريب إنك كملتِ وخلفتِ

وبعدتِ عنا واختفيتِ تقريبًا وقلنا الحمد لله توقعاتنا وأفكارنا ويمكن انطباعنا كله عن جوزك مش حقيقي، فضل جوايا هاجس مقلق كل ما أفتكرك وأسأل عليكِ طنط كانت تقولي تمام!

- طنط؟

- عاملة معاكِ إيه صحيح؟ أنا عارف مامتك كويس، عمرها ما كانت أم سلسة معاكِ، طمنيني عاملة إيه معاكِ بعد الانفصال؟

- عاملة سجّان وحارس للزنزانة، عاملة زي القاضي اللي حاكم وحبس ونفذ وبيتابع حكمه بنفسه.

- للدرجة دي؟

- وأكتر يا "عمر" أمي عمرها ما كانت أم حنينة ولا صاحبة ولا محتوية ولا "شغل المحن" دا زي ما بتقول دايمًا.. أمي كانت راجل قاسي لابس واحدة ست هههههه، مش شايفاني غير عار هيجيب عار للعيلة المصونة.

- وجبتيه؟!

- بنجاح ساحق يا جدع هههههه.

- عاملة معاكِ إيه بجد؟

- مش عاملة حاجة خلاص.

- يعني إيه؟!

- خلاص يا "عمر" خرجت من الشرنقة، هربت.

- إزاي؟!

- وقت ما أجبرت "أكرم" يطلقني كانت مش مصدقة نفسها إنه سمع كلامي وعمل كده، حاولت تمنعه بس أنا في لحظة شفت نفسي ميتة فعلًا، عدت عليا أيام

ميتة بس بتنفس، خايفة على نفسي وعلى ولادي اللي عيونهم بتنطق طول الوقت بالخوف والحذر، لقيتني باستمراري معاه بموتهم زي ما أنا ميتة بالظبط.

- هربتِ منه بسبب الولاد بس؟

- يمكن الولاد كانوا شرارة الصحيان لواحدة مستسلمة ومتحملة ومكملة وهي ميتة فمكانش فارق معايا شيء، لا عيش ولا عيشة، بس لقيتني باستمراري في الحياة دي بحكم على ولادي بنفس المصير ونفس الموت ودا حرام، أمي شافت إن الوضع الطبيعي إني أقعد معاها، خاصة بعد ما "أكرم" راح باع شقتنا في وقت قياسي وبقى أدام القانون لا يملك شقة، وقتها كنت مستسلمة لأمي ومحطمة تمامًا مكانش وارد في خيالي حتى إني أروح أعيش في الشقة اللي بابا -الله يرحمه- كان جايبهالي وشايلها للزمن زي ما كان بيقول دايمًا.

- الله يرحمه كان راجل "جميل" اسمًا وصفةً.

- جدًّا يا "عمر"، الله يرحمه لو كان عايش ما كنش كل دا جرالي.

- دي أقدار يا "غرام" كملي قولي لي مامتك سابتك تعيشي لوحدك؟

- لا طبعًا أمي رفضت بشكل قاطع وتقريبًا أخدتنا بالغصب أنا وولادي وأنا ما كنتش في حالتي الطبيعية برضه واحدة لسَّا قايمة من الموت بعد اللي عملته في نفسي.

- محاولة الانتحار؟!

- أيوه.

- مش مصدق إنك عملتِ دا لحد دلوقتي!

- الحقيقة ولا أنا، بس اللي كنت فيه ما كانش قليل، عمومًا محاولة الخلاص بالطريقة دي كانت غلطة استغفرت ربنا عليها كتير.

- الحمد لله إنك بخير، كملي عملتِ إيه مع مامتك؟

- استسلمت لها وسبت نفسي ومر الوقت وابتديت أفوق لقيت أمي بتعمل مع ولادي نفس اللي عملته معايا، بتمحي شخصياتهم وبتعقد "وعد" اللي أكيد هتجيب لنا العار زي أي بنت أصيلة فقلت مبدهاش، أخدت القرار ووقفت لأمي لأول مرة ونفذت، وفي يوم وليلة كنت ناقلة لبيتي تاني ومستقلة بولادي.

- بتتكلمي جد؟

- صدقني.

- مش مستوعب برضه إزاي وصلتِ لده بعد استسلامك؟

- خفت على ولادي يا "عمر".

- ليكي حق، بس جبتِ منين القوة؟

- من ربنا.. ما ليش غيره يعينني.

- ونعم بالله.

- وبصراحة بعد الطلاق بشهور قررت أروح لدكتور نفسي من ورا ماما.

- برافو عليكِ.. كنتِ محتاجة دا فعلًا وكنت هنصحك بيه لو سألتيني، أنتِ مانفصلتيش انفصال عادي أبدًا، كنتِ محتاجة دعم نفسي أكيد، ولادك كمان محتاجين يا "غرام".

- معاك حق.. أنا بحمد ربنا إني عملت ده، آه أنا لسّا مكملة معاه ومحتاجة علاج لسه، وولادي كمان بس أنا دلوقتي أحسن كتير، على الأقل قدرت آخد خطوة صح في حياتي الجديدة.

- مش عارف أقول لك إيه ولا أعمل لك إيه بعد كل ده؟

- قل لي مبروك.. مبروك على الخروج من شرنقة الموت والجري ورا أنفاس الحياة.. مبروك لولادي إن أملهم اتجدد في إنهم يعيشوا عيشة طبيعية بدون عقد ولا كوارث نفسية.. قل لي مبروك يا "عمر".

- مبروك يا ستي.

- بس كده؟

- مش فاهم؟

- عاوزة منك حاجة كمان.

- اؤمريني.

- عاوزة أشتغل يا "عمر" عاوزة أصرف على نفسي وعلى ولادي، طول ما أنا مش عارفة أصرف على نفسي مش هقدر أبقى مسئولة عن نفسي ولا حرة في نفسي.

- بس كده؟ من بكرة تنزلي معايا الشركة دا أنتِ هتنوريها.

- تسلم يا "عمر" ربنا يخليك بس أنا مفهمش حاجة في شغلك ولا في الهندسة ومش عاوزة أكون عبء عليك الحقيقة.

- بتهرجي أنتِ صح؟

- لا مبهرجش.. أنا محتاجة مساعدتك فعلًا بس عاوزة أشتغل بجد مش مجاملة

- ياه على دماغك، ماشي يا ستي.. استني مني تليفون قريب قوي

- بجد؟!

- بجد طبعًا.. عندي حد من الناس اللي بيني وبينهم بيزنس وأعتقد شغلك في شركته هيكون مناسب

- مش عارفة أقول لك إيه بجد

- متقولّيش.. اعملّي.. اشتغلي وفوقي وكوني بخير واحمي ولادك وخلي بالك منهم.. ما عنديش أي نية إني أضحك عليكِ وأقول لك إن قرار استقلالك دا قرار سهل و"واو" و "أووه" حاجة تجنن وشجاعة وأزقك أكتر ما أنتِ مزقوقة من نفسك، الحقيقة لأ.

- مش فاهمة؟! عاوز تقول إيه؟

- عاوز أقول لك قرارك مهم وشجاع وبدعمك فيه جدًّا لأنه هيأثر قوي في حياتك وحياة ولادك بس إحنا في مصر مش في أمريكا

- يعني إيه؟؟

- اهدي بس وهدّي تونك اللي اتحول فجأة ده.. عاوز أحضرك ل أ.ب مجتمع مصري وتعامل مع ست -آسف يعني- مطلقة ولوحدها، أنتِ مضطرة تدافعي وتحمي وعنيكِ تكون في وسط راسك (تويتي فور سيفن) يا "غرام"

- بتخوفني؟

- لا والله دا أنتِ صديقتي وأختي أنتِ عارفة معزتك كويس في قلبي، بس أنا فعلًا مشفق عليكِ من الناس والمجتمع والعيون وواجبي أنبهك.. خدي بالك من نفسك ومن ولادك وأنا دايمًا موجود يا صديقتي وقت ما تحتاجيني أنا موجود.. اتفقنا؟

ترجع "غرام" بظهرها لتستند على المقعد وتسرح بعينيها خارج زجاج الكافيه للحظات لتعود للنظر إلى صديقها وكأنها تستوعب كل ما صدمها به دفعة واحدة، ثم ما تلبث أن تعود للنظر إلى عينيه بثبات مرددة: "اتفقنا يا عمر"

*****

الطَّرقات

للطرقات الليلية الفزِعة وطأة داكنة.. وطأة تلقي بظلال سوداء كئيبة في أعتى القلوب رباطة للجأش.. جميعهم يخشونها ويخشون معرفة ما وراءها..

هكذا حدّثت "غرام" نفسها وسط تسارع أنفاسها وضربات قلبها لدى سماعها للطرقات المحمومة على بابها.

نهضت من فراشها ملقية نظرة هلعة على طفليها النائمَين بغرفتهما ولفحت وشاحًا عشوائيًّا حول شعيراتها المتناثرة حول وجهها متجهة لباب المنزل في سرعة وتوجس بعد أن سترت جسدها وأخفت لباس نومها، في قلقٍ تختلس النظر عبر عين الباب السحرية فتجد حارس المنزل وبعض الجيران يتسارعون عدوًا على خطوات السلم ففتحت الباب في فزع متسائلة:

- فيه إيه؟

يجيبها أستاذ "أمين" جارها الذي يقطن الدور السادس:

- اقفلي محبس الغاز بسرعة يا بنتي.

تفتح فمها لتستفهم منه سبب ما يطلب منها فيختفي الرجل الذي يرتدي منامته من أمامها فينعقد لسانها من الذهول..

من فورها تتجه لمحبس الغاز فتغلقه كما طُلب منها ثم تحكم رباط الروب حول جسدها وتتجه لشرفة المنزل حتى تستطلع ما يحدث فتجد بعض جيرانها بالأسفل والجميع ينظرون إلى أعلى المنزل شاهق الطوابق وما إن ترفع عينيها لأعلى حتى

تنتابها قشعريرة هلِعة بعد أن تصطدم عيناها بانعكاس ضوء أحمر يعكس ألسنة لهب يتطاير فوق سطح المنزل!

تكتم صرخة هلِعة كادت تخرج من فمها متسائلة عما عساها تفعل وتعود تنظر إلى الأسفل حيث يقف حوالي نصف عائلات جيرانها بالشارع يرتدون مناماتهم ونعال المنزل ويرتعدون من فرط الرعب وكلمات فزعة تخرج متناثرة من أفواههم:

- البيت هيقع لو ماسورة الغاز فرقعت يا ساتر استر.

- يمكن المواسير ولعت خلاص فوق وإحنا ما سمعناش الصوت.

- المطافي مش ممكن توصل بالسرعة دي إحنا رحنا في داهية والبيت هيقع مستنيين إيه؟!

- كله من ضرب النار اللي ضربه أصحاب العريس الجديد اللي لسّا واصل العمارة اللي جنبنا، لو ربنا ستر إحنا لازم نعمل له محضر ونوديهم في داهية جيل بايظ ما يعرفش المسؤولية!

ينقبض قلبها لدى سماعها تلك الكلمات.. تتصاعد أنفاسها من التوتر، تعود لداخل منزلها، تدور حول نفسها فزعة وتفكر في أن تحدث أمها أو توقظ طفليها وتجري بهما على الشارع كما فعل جيرانها، تهتف في ضيق:

- أنتِ فين يا "سلمى" دا وقت تسيبيني فيه؟

تلقي نظرة ثانية على وجه "وعد" الصغيرة.. يدهشها الهدوء والوداعة على وجه طفلتها والذي لا يتواءم مع ما يدور حولها من فزع وهلع.. لم يكن يتناسب مع شبح الموت المحدق بثلاثتهم..

تهدأ دقات قلبها لثوانٍ وتحدث نفسها: "ما فيش حاجة وحشة هتحصل.. ربنا مش هيضيعنا.. ما ضيعناش قبل كده، ومش هيضيعنا دلوقتي.. مش هيضيعنا..

مش هصحّي الولاد وأفزعهم وأنزل بيهم الشارع، ما فيش حاجة وحشة هتحصل يا رب يا رب عمرك ما سبتنا يا رب خليك جنبي".

تغمض عينيها ثم تردف لنفسها: "أنا شايفة الحريقة بتخلص وبتنطفي.. الحريقة بتنطفي وبترجع كل حاجة أمان.. إحنا مش لوحدنا ربنا هِنا.. ربنا هِنا".

تظل تكرر الجمل في هستيريا ثم تترك غرفة أطفالها وتعود للشرفة لتراقب الهرج أسفل المنزل، تلمح أحد جيرانها يخرج طفاية الحريق من سيارته هاتفًا:

- مش هنستنى المطافي يلا كلنا نحاول نطفيها بنفسنا.

يتعالى هتاف آخرين:

- عندك حق يلا بينا.

يهرع آخر ثم آخرون بطفايات حريق سياراتهم التي أخرجوها متجهين لأعلى المنزل في محاولة لإخماد الحريق بعد تأخر قوات المطافئ.. تمعن "غرام" النظر من أعلى في وجوه جيرانها الفزعة.. تتأمل جارتها الفزِعة وهي تلتقط أنفاسًا متقطعة وتعطي طفلهما لزوجها ليحمله عنها بعد أن خارت قدماها فما عادت تحملها ووجه آخر وهو يضم أولاده لصدره، وعيناه متعلقة بالنيران أعلى ...

ينقبض قلبها والوساوس تنهش عقلها: هيحصل إيه لو ماسورة الغاز فرقعت؟ ولا كانت فرقعت والنار كلها شوية وتمسك في البيت كله زي ما بيقولوا؟ يلا خدي عيالك وانجدي نفسك متشيليش ذنبهم لو حصلكم حاجة!

تعود لتجيب وساوسها: "لا لا ما فيش حاجة هتحصل ربنا مش هيسيبنا ربنا مش هيسيبنا".

تنتقل عيناها في هستيريا بين النيران الساطعة بالأعلى والسماء وتظل تنقل نظرها حتى تستقر عيناها على السماء فتتعلق عيناها بها باكية.

- يا رب أنتَ مش هتسيبني، مش كده؟ أنا مش لوحدي أنتَ معايا؟ أنا عارفة يا رب.. أنا عارفة.

تعود للداخل لتلقي نظرةً على طفليها النائمين في وداعة عجيبة تنظر إليهما وتتعجب من عدم سماعهما للجلبة الدائرة حولهما، تبتسم في هدوء وتسليم وتغمض عينيها وتتخيل نفسها تكتب في دفتر مذكراتها غدًا:

" لعل ملاكًا أرسله الله ليهدئ روعهم ويسربل عليهم سكِينة لا كاسر لها في تلك الليلة التي مرت بسلام"

تترك غرفة أطفالها لتعود للشرفة حيث تتعالى أخيرًا أصوات عربات المطافئ وينزل الرجال منها مسرعين لأعلى المبنى فترفع عينيها إلى النيران التي تبدأ في الاختفاء بالتدريج بعد دقائق ويبدأ اللون الأحمر المفزع أن يرحل إلى زوال..

تمر عشر دقائق بطيئة لا تكف فيها عن النظر إلى السماء ولا التمتمة والحديث لربها مشيحةً بنظرها عن جيرانها الفزعين وأطفالهم الباكين حتى نزول رجال المطافئ معلنين انطفاء الحريق بالكامل وشاكرين الرجال الذين هرعوا بأنابيب الإطفاء الخاصة بسياراتهم للبدء في الإطفاء واحتواء الحريق حيث يتحول بكاء الأطفال وفزع الفزعين إلى استبشارٍ وفرحٍ يغمر الجميع فتهرع للداخل لتحتضن طفليها باكيةً حامدةً شاكرةً ربها، وما يلبث النوم أن يرخى جفونها القلقة مسدلًا ستارًا من رحمةٍ على ليلةٍ لا تنسى..

*****

كأنني قد خُلقت حضنًا يحتوي الجميع لكنه يفتقد أن يُضَم!

رقصة الحياة

تواصلت دقات جرس الباب وأسرعت "وعد" للهتاف: "مين"، ومن خلفها هتفت "غرام":

- (ما تفتحيش يا وعد إلا أما نعرف مين)

تنظر من العين السحرية وتسمع صوت بنات جارتها "سلمى" بذات الوقت:

- (افتحي يا طنط غرام)

تتهلل أسارير وجهها وتفتح الباب فتندفع الفتيات الثلاث للتنافس على الارتماء في أحضانها ومن خلفهم والدتهم التي ابتسمت ابتسامة عريضة تُعبر عن سعادتها بهذا الحب المتبادل بين جارتها وبناتها.

تغلق "وعد" الباب في حين تدعوهم "غرام" للدخول لردهة الاستقبال.

- نورتِ يا "سلمى".. وحشتيني ووحشوني البنات.

- لسَّا راجعين من سفرية البلد أول إمبارح، يا دوب إرتحنا يوم، وحشتيني ووحشتوني كلكم.

- حمدا لله على سلامتكم يا رب تكون أجازة سعيدة.

تظهر ملامح الهم على "سلمى" فتتساءل "غرام":

- خير يا حبيبتي ما لك؟ شكلك مش مبسوط.

- ياختي عادي.. هو أنا ينفع أبقى مع جوزي وأهله في حتة واحدة وأبقى كويسة هههههه مستحيل طبعًا.

- ما ينفعش الكلام دا يا "سلمى".

- ياختي ينفع.. ولا ينفعش غيره.. إخواته دول عقارب وأمه العقربة الكبيرة ما وراهومش إلا حرقة دمي وقرفي وطبعا رجعنا مش طايقين بعض.

- اتكلمي مع جوزك يا بنتي إيه اللي مسكِّتك؟ اتكلمي معاه بالراحة كده، لو هما بيضايقوكي فعلا تسكتي ليه؟ احكي له بشويش وأنا متأكدة إن جوزك بيحبك وهيحاول يصلح أي خلاف ما لوش أي لازمة بينكم.

- منا عارفة والله يا "غرام" إنه بيحبني وأنا لولا إني بحبه ما كنتش أتحمل.

- خلاص طالما عارفة إنه بيحبك، وأنتِ بتموتي فيه أنا عارفة، يبقى تصفى البواخة اللي حاصلة دي ما لهاش داعي.. انتم بكره أجازة.. يلا سيبي لي البنات يباتوا عندي واطلعي اسهري مع جوزك واتكلمي معاه وفرفشوا كده.

- مش عارفة أعمل معاكي إيه بس يا "رومة" على طول مغرقاني بطيبتك وذوقك.

- هاهاهاها قال يعني أنتِ مش راسمة على كدا من الأول.

- يا كسوفي هو أنا مكشوفة كده، والنعمة أنت جمايلك مغرقاني

- ما فيش الكلام ده إحنا إخوات يا حبيبتي.. يلا اطلعي شقتك.

- إيه ده.. أنتِ عاوزة تضيعي عليا القهوة الحلوة بتاعتك؟ لا يمكن أبدًا

تضج ضحكة "غرام" وتقوم في الحال متجهة للمطبخ وتُسرع خلفها "سلمى"

- أيوه كده، أشرب القهوة علشان أطلع للراجل فايقة.

- هههه عيوني يا عيوني.. بس مش هوصيكي بقى.. ظبطيه.. حبة دلع م اللي اتمنع في البلد.. كفاية غم، الله يسترك.

- ماشي ياختي أما أشوف آخرة نصايحك الممحونة دي إيه؟

- آخرتها نلحق الراجل قبل ما يزهق.. يلا أهي القهوة جهزت يلا نخرج نشربها في البلكونة.

- بلكونة إيه يا مفضوحة باللي أنتَ لبساه ده.. ألا صحيح ياختي من ساعة ما دخلت وأنا عاوزة أسألك لا مؤاخذة إيه قميص النوم الساخن اللي أنتِ لابساه ده..

- ما له؟

- ما له إيه يعني دلع قوي وأنتِ يعني.. ما تزعليش مني يعني مش قصدي.

- انجزي

- لابساه لمين يعني؟

- لابساه لنفسي يا "سلمى".. هو علشان ما فيش راجل في البيت يبقى أقعد منكوشة ولابسة جلابية كستور من بتوع ستي.. هو إحنا سنة كام قولي لي

- مش قصدي والله دا أنا بفرح بيكي وربنا بنشكح لما بشوفك بألواناتك دي يا أختي

- وبعدين يعني أنا مش لابسة بيبي دول ساخن؛ دا قميص نوم عادي وطويل والبلكونة مقفلة ستاير يا فالحة واللا نسيتِ؟! هبص على الولاد وأحصلك يلا إسبقيني

تسرع "سلمى" بصينية القهوة إلى الشرفة وتلحق بها "غرام"

- البنات قاعدين بيلعبوا؟!

- آه يا حبيبتي

- بيحبوكي حب يا "غرام"

- أنا اللي بحبهم والله.. بناتك دول حضنهم بركة

- ساعات بحس إن "حسن" نفسه في ولد.. ساعات بيلمح كده تاني زي ما عمل في المرتين الاخرانيين

- تاني يا "سلمى"؟! قصدي رابع؟

- والله منا عارفة

- بصي دي حاجة تخصك أكيد.. بس اسألي نفسك أنتِ صحتك وطاقتك يتحملوا طفل رابع؟ وجوزك اللي بيشكي من انشغالك بالولاد دايمًا هيستحمل طفل كمان؟

- هيتحمل يا "غرام" لو جه ولد.

- أنتِ بتتكلمي جد يا "سلمى" هو لسًّا فيه رجالة بتفكر كده؟

- أيوه.. فيه.. "حسن".. وأهله كمان.

- مش هقدر أقول لك غير فكّري كويس دي خطوة مش سهلة ولو جت بنت بقى هيكون الوضع ايه؟؟

- مش عارفة يا "غرام" بجد محتارة بين اني أحاول أرضيه وبين انها تيجي بنت وأتعك في عيل جديد على الفاضي

- "سلمى" الخلفة عمرها ما تتحسب كدا أبدا.. راعوا ضميركم في أرواح بتجيبوها للدنيا ما لهومش أي ذنب.. الولاد مش ورد في عروة الجاكتة. قبل ما تفكروا في الخلفة رابع أرجوكم فكروا في العيل اللي جاي ده، محوشين إيه علشانه.. وقبل ما تردي مش قصدي فلوس.. لا أبدا.. طاقة.. حب.. قدرة على التربية المحترمة.. تعليم.. فكّري كويس.

- مممم ... هفكر.. ءءء حلوة ستارة البلكونة بتاعتك دي.

- بتغيري الموضوع.. ماشي يا "سلمى".

- أبدا يا قلبي أنا بحب ذوقك فعلًا.

- ذوق إيه بس.. أنا بكره الستارة دي جدا.

- يا لهوي بتكرهيها!!

- ما فيش بلكونة مفروض يبقى فيها ستارة يا ست انتي.. الستاير دي للشبابيك.. أنا حطيتها غصب عني علشان أداري شباك الجيران عن عنيا وأتحرك في بيتي براحتي وأقعد فيها براحتي أنا والعيال.. البلكونة مفروض تتملي زرع ونور.. يلا الحمد لله، بكره ربنا يكرم وأجيب للولاد بيت تاني أحسن من دا كمان.

- إخص عليكِ ما هو أنتِ لو ما كنتيش جيتي العمارة هنا ما كناش بقينا جنب بعض يا بنتي دا أنا كنت بتنشق على أخبارك وشوفتك لحد ما ربنا جمعنا تاني يا قلبي.. ما كنتيش عايزة تبقي جنبي؟!

- يا بنتي دا انتم نعمة.. الحسنة الوحيدة للمكان ده، مش عاوزة أكرر تفاصيل اللي حصل وانتم مسافرين لما ماسورة الغاز ولعت.

- إسكتي دا أنا قلبي إتخلع لما كلمتيني حكيتِ لي

- كنت هتجنن وحسيت إني لوحدي من غيركم.

- بس أنتِ قلبك جامد يا غرام، أو بمعنى أصح قلبك بقى جامد، أنتِ ما كنتيش كدا أبدًا، اسأليني أنا، دا إحنا عشرة يا بنتي، لو كنت مكانك كان زماني جارية بقميص النوم على السلم وما كنتش هقعد فيها ثانية واحدة، جبتيه منين الثبات ده؟

- مش عارفة يا "سلمى" كنت حاسة بمسئوليتي عن الولاد كبيرة قوي، حسيت ان كل دا مش بتاعي بتاع ربنا وبس وانه معايا وبيكلمني زي ما بكلمه، كنت كل ما أدخل أبص في وش "وعد" أستغرب من هدوءها، آه أوضتهم في آخر الشقة وبعيدة عن الشارع فطبيعي متحسش بحاجة بس كان هدوء وشها بيمدني بهدوء وثبات غريب سبحان الله، قعدت أغمض عيني وأكلم نفسي وأكلم ربنا، ما صدقتش نفسي لما كل دا خلص.

- وايه حكاية عينيكِ اللي بتغمضيها دي يا ستي؟ أنتِ عملتيها يوم ما المخفي "اكرم" إتصل وكنتِ بتردي عليه غمضتي كذا مرة وبعدها سألتك قلتي لي ده "manifestation" وهحكيلك بعدين، إيه الحكاية بقى فهميني

- هو أنتِ مش طالعة لجوزك يا بت أنتِ؟!

- أفهم الأول

- هفهمك يا دوشة

- فهميني يا أختي

- لما كنت متجوزة "أكرم" كانت بتعدي عليا أوقات من صعوبتها ووحشتها يا "سلمى" كنت بتمنى يخترعوا آلة زمن خرافية تبعدني عن اللي أنا فيه فجأة، كنت بفكر كدا بجد وأقعد أغمض وأتخيل إن فيه قوة خارقة شالتني من أدامه وأخدتني بعيد وبعدين لقيتني بكلم نفسي لما أغمض عيني وأقولها ما تخافيش في يوم هييجي واللي بيحصل ده هيقف وأنتِ مش هتكوني هنا وأتخيل نفسي فعلًا بعدت عنه وفي أمان وبس يا ستي لقيتني بهدا قوي وبقدر أفصل عن اللي بيجرالي وأفكر كويس ومن ساعتها أي موقف صعب أو سيئ بتعرض له وبتوتر بلاقي نفسي بهرب وبغمض وألاقي الحل وأنا مغمضة وأكلم نفسي بيه في ثواني وبفتح وبهدا وأواجهه.

- وده اسمه الإيه قلتِ؟ مانيفستيشن؟!

- أيوه يا بنتي بعدها قريت إن دا علم وإن تجسيد الأشياء ممكن يجذبها لو تخيلناها بيقين وتصديق انها هتحصل بإذن الله طبعًا.

- ياااه، يا بختك والله، كنت فاكراكي بجد بتهربي من خوفك أو قلقك بس دا مسموش هروب يا "رومة" دا تكنيك مواجهة من اللي بيألفوه بتوع علم النفس والناس دي.

- والله أنا ما كنتش أعرف ساعتها بتوع علم النفس بس أعرف إن الحاجة أم الاختراع وإن الأوقات الصعبة اللي بنعدي بيها بتهدينا منح كتير قوي لو استقبلناها وفهمناها صح هتفرق معانا كتير، كتير قوي.

- الحمد لله إنه خلص يا حبيبتي بس برضه أنتِ وجودك هنا أحلى حاجة حصلت بلا شمس بلا بتاع

- أنتِ مش هامك علشان أنتِ في الحداشر يا ستي وشايفة الشمس لا أنا ما ليش دعوة

- معلش يا حبيبتي بُكرة ربنا يعدلها.. بس اوعي تمشي وتسيبيني بعدها هتطلق يا "غرام" لو ما كنتيش جنبي.

- بعد الشر يا بنتي.. اجمدي أنتِ بس كده، وبطلي مناقرة في جوزك وتركيز زيادة..

- لا ياختي أنا المهتمة بالتفاصيل

- خليها تنفعك

- يعني مهتمش بيه يا ولية

- مش قصدي يا "سلمى" قصدي ما تخنقهوش.. بلاش التركيز الزيادة ده في الجدول كأنك أبلة الناظرة.. رحت فين وجيت منين.

- ويا ريته بيقول.

- ما هو ما بيقولش عِند فيكي من الحصار.. اهدي عليه وسيبيه شوية من غير أسئلة.

- وهيقول لوحده؟

- يمكن يا "سلمى" يمكن.. فكك من الجدول وركزي شوية في اهتمامك بيه هو.. في أوقاتكم مع بعض.. في الكواليتي أوف تايم يا بنتي ما فيش راجل مش عايز دلع وحنية

- يوه يا "غرام" ما ياما دلعنا وما فيش فيه فايدة بوزه شبرين برضو.

- يبقى عايز يجدد يا ستي.. شوفي إيه الجديد واعمليه.

- اللي هو ازاي يا ست الخبيرة

- دوري وشوفي.. اسألي.. اعملي سيرش على كورسات للمتجوزين على الإنترنت..

- دورات للمتجوزين؟! هههههه دورات بيعملوا فيها إيه يا عبقرية زمانك؟

- خليكي أنتِ كدا دماغك مقفلة.

- لا بجد دورات للمتجوزين اللي هو إيه يعني وليه؟ هيعلموني أتجوز يعني هههه مش قادرة هموت منك هههههههه

- لا يا تحفة هتعيشي.. بس هتعيشي بشكل أحسن.. افهميني.. اقري.. احضري حاجة ولو أونلاين عن تجديد حياتكم.. تعرفي إني لسًّا سامعة على دورة لتجديد الحياة الجنسية للمتجوزين اسمها "نواعم" هههه.. ما تاخديها يا "سوسو" يمكن تفيدك

- نواعم يا ضايعة، هموت منك وربنا تجديد إيه بس بعد تلات عيال أنتِ في البلالا وحياة أمي.

- ياختي اللي أعرفه إن اللي بيحب حد بيعمل كل حاجة علشان يسعده

- أما نشوف ياختي.. أنا هطلع بقى وبكره أنزل لك نشوف حل في البنت بتاعة الفيسبوك اللي بيكلمها دي.. قلتِ لي هتفكري هنعمل إيه وتقولي لي ولا قلتِ ولا عيدتِ؟!

- لا ماحنا مش هنعمل حاجة

- نعم؟؟

- افهميني.. ركزي مع جوزك.. تركيزك معاها مش هيفيدك بحاجة

- ازاي بقى منا هخليها تخلع من طريقه بالذوق أو بالعافية عادي يعني ممكن أسيح لها وأفضحها

- وبعدين؟

- ولا قبلين

- هيدور على غيرها يكلمها يا "سلمى"

- نطفشها برضو

- يا سلام!!

- أومال أسيبهولها

- لا.. تسيبيها هي وتركزي معاه هو..

- إشمعنى؟

- بصي يا "سلمى" جوزك لو ما كانش اداها فرصة ومساحة ما كانتش هتبقى في حياته، غير اننا ما نعرفش أصلًا إيه اللي بينهم.. يبقى هو لا اتخطف ولا اتلعب في دماغه.. هو عنده حتة فاضية في قلبه وعقله إملها وهو هيبعد عنها وعن أي ست تانية ويبقالك لوحدك.. حبيبتي يا "سلمى" افهميني.. (ركزي في اللي ليكي وسيبك من تضييع طاقتك في اللي مش هتعرفي تسيطري عليه) سامعاني؟

- آه

- آه إيه؟ قولي ورايا (هركز في اللي ليا ومش هضيع وقتي في اللي مقدرش أسيطر عليه)

تطلق "سلمى" تنهيدة تتأمل فيها "غرام"

- ما لك يا ستي بتبصي لي كدا ليه؟

- صعبان عليا والله بختك القليل ده.

تلمع عيون "غرام" بدمعة تجاهد أن تخرج وهي تمنعها فتطلق زفرة من صدرها وتجيب صديقتها:

- يا ستي ولا قليل ولا حاجة كل واحد بياخد نصيبه

- حلوة وعاقلة ومعجونة بكهن النسوان وما عندكيش راجل.. حرام والله

- ولا حرام ولا حاجة كله بتاع ربنا يا ستي وأنا اكتفيت شكرًا مش عايزة

- منه لله.. الله يجازيه سد نفسك عن الدنيا وطفاكي دا أنتِ كنتِ شمعة منورة

- أهو راح لحاله بقى يحاسبه ربنا ما لناش فيه إلا حقنا اللي ربنا في يوم هيرده.. أنتِ مش هتبطلي رغي واللا إيه.. يلا اطلعي لجوزك ياختي.

- نكدت عليكِ أنا يقطعني

- لا يا حبيبتي ما تقوليش كده

- مش طالعة ولا نازلة أنا هقعد أونسك وأتأسف لك طول الليل.

- ست إنتي، يلا من غير مطرود ما توجعيش دماغي أنا فلة يلا اخلعي.

- ماشي يا قلبي ربنا ما يحرمنيش منك أبدًا

تخرج "سلمى" مودعة أطفالها

- يلا أشوفكم بكره يا بنات.. ما تتعبوش طنطكم "غرام"

- حاضر يا مامي

- شطار حبايب مامي.. جيالك يا منيل.. تصبحي على خير يا غرومتي

- تلاقي الخير يا قلبي.. إنجوي.

تغلق "غرام" الباب خلفها وتلتفت للأطفال متسائلة

- "تفتكروا هنعمل إيه دلوقتي"

تصيح "كنزي" الصغيرة بفرحة

- هنعمل حفلاااااه

تضحك "غرام" مجيبة

- صاااااح

تتجه غرام إلى جهاز الساوند وتشغله.. ينطلق الصوت عاليا

(حبيبي بالبنط العريض.. غالي واقرب م الوريد. حالتي تتشخص جنون.. بيقولولي أنا بيك مريض.. أتاري كل ما أحب فيك.. بدمنك وبقيت مزاج.. أتلحق بقى دي في ايديك.. مانت في لقاك العلاج)

تفلت غرام شعيراتها من ربطتها فتتناثر على جسدها فتبدأ في التمايل بدلال ويعلو صوت الأطفال وهم يتمايلون معها في مرح صائحين (آه لقيت الطبطبة.. وأقوى لو منتش بعيد.. ضحكتك فيها كهربا.. ببقى زي واحد جديد)

تتمايل غرام ويتمايل حولها الأطفال مبتهجين.. يعلو وجهها ابتسامة هادئة راضية.. تظل تتمايل وتدور بنعومة حتى تخفت الموسيقى.

*****

الشفاء الوشيك

دلفت "غرام" لغرفة الطبيب النفسي بخطوات ثابتة فاستقبلها مرحبًا

- أهلًا "غرام"، نورتِ، هاه.. أخبارنا إيه؟

- أهلًا يا دكتور، أنا بخير الحمد لله.

- شايفك بخير الحمد لله، باين عليكِ.

- بجد يا دكتور؟! واللا بتحفزني.

- هاهاهاها، لا أنتِ تيجي تشتغلي مكاني وتدي جلسات دعم نفسي بدالي يا ست "غرام".

- العفو يا دكتور، مش قصدي والله بهرج.

- أنا بقى مش بهرج، أنتِ فعلًا باين عليكِ إنك بخير.

- الحمد لله، أنا فعلًا حاسة إني أحسن.

- فرق كبير بين الإنسانة اللي دخلت مكتبي أول مرة وبين "غرام" اللي دخلته النهاردة.

- شكرًا ليك يا دكتور، الفضل يرجع لك.

- الفضل يرجع لدعمك لنفسك ولشغلك عليها، صدقيني كان ممكن أشتغل معاكِ جلسات بالسنين وما يبقاش فيه نتيجة لإنه ما فيش استجابة ولا حافز ولا رغبة عند الطرف اللي بيستقبل العلاج، أنتِ كنتِ حالة مريحة قوي يا "غرام" حالة مريحة ومتعاونة وناجحة.

- كنت؟!!

- آه، أفتكر جه الوقت اللي تقدري تدعمي نفسك فيه وتتابعي معايا في حال الاحتياج فقط.

- فعلًا؟!

- آه فعلًا، طمنيني على آخر مستجداتك الأول؟ أولادك ماشيين مع دكتورة "سارة"؟

- الحمد لله، الولاد نفسيتهم أحسن كتير، مش عارفة أشكرك إزاي على ترشيح دكتورة "سارة" علشان تشتغل مع أولادي جلسات دعم نفسي، إنسانة وأم جميلة جدًّا وعاملة مع الولاد نتيجة أنا نفسي منبهرة بيها.

- شوفي، لما جيتِ لي وسمعت منك حدوتتك كان فيه عوامل كتيرة حواليكي محتاجة الشغل عليها والسيطرة بشكل ضروري، العوامل دي لو مظبطتش كان ممكن شغلي على حالتك يبقى عُرضة للفشل، ولادك كانوا أهم عامل من العوامل دي، كان لازم يتعالجوا نفسيًّا زي ما أنتِ بتتعالجي، الضرر اللي خرجتم بيه من حياتكم السابقة كان مشترك، صحيح إنك أخذتِ الجانب الأعظم منه، لكن ولادك أخدوا جزء كان كبير على عمرهم واستيعابهم.

- مش عارفة أقول لحضرتك إيه، الولاد بعد جلساتهم مع دكتورة "سارة" بقوا أحسن كتير معايا وفي مدرستهم، ونفسيتهم بقت مستقرة وتقبلوا فكرة استقرارنا بعيد عن جدتهم خصوصًا "وعد"

- و"أحمد"؟

- سبحان الله، "أحمد" حنين قوي يا دكتور، من زمان على فكرة مش جديد عليه، بس بعد الجلسات بقى حنين أكتر ومتفهم أكتر وساعات بيساعدني أهندل أخته وآخد قراراتي في البيت، مع إنه صغير بس هو مشروع سند كبير ومع الوقت حاسة إنه هيقدر يعلم أخته ده.

- جميل جدًّا، كدا البيت بقى بيئة مريحة بالنسبة لك ما فيهوش مشاكل.

- دا صحيح.

- تمام جدًّا، قولي لي الشغل أخباره إيه؟

- كويس، بتعلم كل يوم حاجة جديدة، عندي رغبة أتعلم، مش عايزة أي حد يقول إني جيت بواسطة أو إني خايبة ومستاهلش مكاني، لأ.. كل هدفي أستاهل مكاني ومركنش على إني جيت الشغل دا بواسطة.

- برافو عليكِ، قيمتك في شغلك معتمدة على تفكيرك ده، خليكي قد تفكيرك وكلامك.

- حاضر، إن شاء الله هعمل ده، ءءءء لا أنا بعمله فعلًا.. صح كده.

يصفق الطبيب وهو يبتسم ابتسامة عريضة مردفًا

- هو ده، لغة الآن، تركيزنا على دلوقتي اللي هو في إيدينا، إحنا مش عاجزين ولا شاكّين إننا هنقدر، لأ.. إحنا فعلًا نقدر.. لا إحنا قدرنا

- الحمد لله

- مامتك أخبارها إيه؟ وصلتِ معاها لفين؟

- عملت معاها زي ما حضرتك قلت لي، المعاملة بما يرضي الله أولًا وبما لا يضرني لأن ضرري لا يرضي الله.

- بالظبط.

- علاقتي بيها بقت كويسة ظاهريًّا، اتغيرت عن وقت الانفصال كتير، ثورتها عليا خلاص ما بقالهاش محل وبقت فاهمة اني مش هرجع في قراراتي الخاصة بحياتي.

- عظيم والله، بتتكلمي معاها؟ واللا لسَّا بتغلطي غلطة زمان؟

- بص حضرتك، أنا عارفة إني غلطت زمان لما كنت ساكتة ومخبية اللي بيجرالي عليها، ورغم إني كان لي مبرري قدام نفسي لأنها عمرها ما سمعتني ولا حضنتني إلا لما انهرت وانفجرت فيها.

- لما حاولتِ الانتحار؟

- بالظبط، وبعدها طلبت من "أكرم" الطلاق وهي حاولت ترجعني عن قراري، وقتها انفجرت فيها بكل اللي كنت مبقدرش أقوله كل السنين دي، غلاظة وعنف وقلة احتواء وغباء في القلب والعقل، ما كانش قدامها إلا السكوت.

- ما فيش أم طبيعية ممكن تتحمل إن بنتها تتعرض للإجرام ده.

- أمي مش أم طبيعية ومش حابة أتطرق للجزء ده، الحقيقة أنا خلاص مسامحة ومش شايلة لها أي إحساس وحش ومش بفكر، هعمل إيه بس، أمي يا دكتور مش هربيها يعني ولا هحاسبها، كفاية عليا انها استسلمت للي أنا مقرراه، يعني خلاص ما فيش شد واستسلمت لفكرة إني استقليت وعشت لوحدي، بتطب عليا كل شوية كأنها بتفتش علينا أنا والولاد، بس تمام يعني مش بتضايق بالعكس بفرح والولاد بيفرحوا وخلاص بتجنب مناطق الخلاف معاها لأنها مش هتتغير زي ما أنت قلت لي.

- بالظبط.

- ف خلاص الاحتكاك معاها بقى قليل قوي والوقت معاها ما بقاش موجع ولا تقيل زي زمان.

- جميل، وصديقاتك.. أخبارهم إيه؟ آخر جلسة قلتِ لي إنك بتعيدي تقييم علاقات وبتنهي بعضها؟

- حصل.

- إزاي؟

- الأمر كان مؤلم جدًّا الحقيقة

- عارف

- إحنا كستات صدماتنا لما بتبقى في صديقاتنا بتبقى وجيعة كبيرة يا دكتور

- علشان عاطفيات

- مش الفكرة، بس إحنا كستات بنعشق التفاصيل وبنشاركها مع بعض، فلما بتيجي تبعد عن حد شاركك كل التفاصيل الموجعة أو المفرحة دي بيبقى الأمر موجع جدًّا بس بيبقى درس ومحنة لو عديتها بتعيش أحسن كتير

- بقيتي أحسن؟

- آه الحمد لله، لما بعدت عن اللي اتغيروا عليا فجأة ارتحت

- قلتِ لي الغيرة ووضعك الجديد كانوا السبب

- حقيقي لكن مش في كل الحالات، في بعضهم وجودي بينهم لوحدي وهما معاهم أزواجهم خلاني أشوفهم بشكل عمري ما تخيلت إني أشوفه، غيرة وترقب وحذر، صدمات في كل مرة أشوفهم فيها وفي كل مناسبة أو فرح وأعياد الميلاد نتوجد فيه سوا، وصديقة مثلًا بعدت عنها لأنها عشرة وأنا عارفة دماغ جوزها كويس

- ثانية واحدة، بعدتي عنها علشان دماغ جوزها؟! مش فاهم

- دماغ جوزها يا دكتور من بتوع لو كل الستات العاملات يقعدوا في البيت الرجال العاطلين هيلاقوا شغل والستات مش هتبقى واقفة للرجالة راس براس والمجتمع حاله هيتعدل

- نعم؟!

- آه والله، والستات المستقلات بالضرورة عندهم مشاكل وقطعًا هما سبب المشاكل ووو

- آه فهمت.

- بالظبط كده، هي أصلًا عندها مشاكل معاه ومع أهله، فمع وضعي الجديد أنا واثقة إنه ممكن يقولها صاحبتك ميلت دماغك

- دماغ خربانة بجد وبتسيء للرجال أكتر ما تسيئ للستات صدقيني، يعني اللي ما لهاش أب ولا زوج ولا أخ يعولها تصرف منين؟ تشتغل واللا تعمل إيه؟ بجد دماغ خربانة.

- دا صحيح يا دكتور، لما فكرت وفلترت بعدت بقى وقلت أريح دماغي

- إيه ده؟! بعدتي عن صديقاتك كلهم؟

- لا الحقيقة لأ، فضل فيهم كام واحدة، عددهم قليل صحيح بس أصدقاء حقيقيين، بيسندوني وموجودين علشاني وأنا كمان موجودة علشانهم بلا أحكام ولا ظنون ولا أفكار كلها عبث زي غيرهم.

- جميل، وخلي بالك، هتلاقي نفسك قادرة تدخلي في علاقات صداقة ناضجة من هنا ورايح، ومش هتتوجعي صدقيني

- تاني يا دكتور؟

- هتخافي شوية في البداية زي دلوقتي كده، لكن بعد كدا هتقدري تعملي ده، الدنيا مبتخلصش ولا بتقف على حد، مش كدا والا إيه؟

- صحيح

- ووووو"أكرم"؟

- هههههههه حضرتك لسًّا فاكر؟

- آه طبعًا، طلبك في فترة العلاج الأولى إني ما قولش اسمه أدامك أبدًا

- ما كنتش متحملة أسمع حتى اسمه.

- حقك، اللي شفتيه معاه مش قليل، في النهاية أنتِ إنسانة وآلامك لازم تتقدر ويتعمل لها حساب.

- يااااه، آلامي لازم تتقدر ويتعمل لها حساب!! تعرف حضرتك لو فيه خمسة ستة في الدنيا دي فاهمين الكلام ده، كانت فرقت كتير

- هههههههه، خمسة ستة بس، لا الحقيقة فيه كتير عارفين وفاهمين الكلام ده

- هما فين دول بس؟!

- موجودين، يمكن تقابلي منهم شوية ويمكن كتير، مش معنى إنك ما قابلتيش حد كده إنه ما فيش، عارف إنك عانيتِ كتير، بس معلش شوية صبر على الابتلاء وربنا هيمدك بمدده صدقيني.

- مصدقة حضرتك جدًّا، القوة الغريبة اللي ابتدت تتسلل لنفسي جت منين يعني؟ أكيد مدد من ربنا.

- الحمد لله يا "غرام"، هاه.. ما قلتليش.. عاملة إيه مع "أكرم"؟

- الحمد لله، دلوقتي قادرة أتعامل معاه إلى حد كبير.

- ولسه، بمرور الوقت هتلاقي نفسك أصلب وأقوى.

- أنا مُصرة على ده.

- وموضوع القضية؟ لسَّا بتفكري فيه.

- وهنفذ خلال أيام، حق أولادي ومش هفرط فيه

- متخيلة رد الفعل

- مرعوبة بس مش هتراجع، لو ما طالبتش بالحق هيضيع ومش هسامح نفسي

- ربنا يقويكِ، أنا موجود لو احتاجتِ أي استشارة.

- حضرتك تعبت معايا

- وأنتِ استجبتِ وحللتِ التعب ده يا ست "غرام" ربنا يوفقك في حياتك، دلوقتي تقدري تواجهي حياتك بدون جلسات الدعم المنتظمة دي.

- بجد؟

- بجد جدًّا، وأنا موجود لو احتاجتيني أي وقت.

- مش عارفة أقول لحضرتك إيه؟ ولا أشكرك إزاي؟

- اشكري ربنا على رحمته والفرصة التانية اللي وهبها لك واستغلها كويس، واشكري نفسك على القوة والتحمل والخلق التاني اللي سمحتِ لها بيه، اشكري نفسك واهتمي بيها.

- الحمد لله، شكرًا يا دكتور.

- شكرًا ليكي أنتِ يا "غرام".

*****

محكمة

- آلو، أيوه يا ماما.

- إيه اللي أنتِ عملتيه ده؟

- عملت إيه؟

- أنتِ رفعتي قضية نفقة على أبو العيال؟!

- أيوه.

- الله؟! هو أنتِ يا بنتي ما لكيش أهل تشوريهم؟!

- ليا يا ماما بس أنا عارفة رأي حضرتك في الموضوع ده.

- تقومي تروحي تتصرفي من ورايا وترفعي قواضي وتدخلي محاكم على آخر الزمن زي الستات اللي أي كلام.

- القواضي والمحاكم إتعملت علشان تجيب الحقوق يا ماما ومش عيبة.

- بس بلاش كلام فاضي أنا مش عارفة أنتِ حالك اتشقلب كدا ليه؟

- حالي ما تشقلبش ولا حاجة يا أمي، والستات اللي بترفع قضايا مش أي كلام ولا بطالين دول زيهم زي أي حد في المجتمع له حق ورايح للقانون يجيبهوله، مش فاهمة مبتقوليش ليه على الناس اللي بترفع قضايا مواريث ولا أي نوع من القضايا بطالين وأي كلام

- عايزة تمرمغي سمعتنا في التراب يا غبية والناس تشاور عليكِ وتقول بتاعة محكمة الأسرة أهه، أنتِ مش عارفة الناس بتقول إيه على الستات بتوع محكمة الأسرة ردي عليا؟

- آه يا ماما عارفة، بس دي الناس الغبية الجاهلة، اللي ما عندهاش ضمير ولا رحمة، ومش عايزة أدعي على حد وأقول لما يتحط هو ولّا حد عزيز عليه مكان الستات اللي بيسخر منهم دول يبقى ييجي يورينا هيقول إيه.

- أنتِ مش هتبطلي هري فاضي.

- أنا آسفة يا أمي بس أنا قلت لك حق ولادي وهجيبه ودا مش عيب

- ما أنتِ بتهببي تشتغلي وسكتّ وما قلتش حاجة وأي فلوس بتطلبها بديهالك علشان تكملي وتكفي طلبات العيال، عايزة إيه بقى؟

- عايزة حق العيال، أبوهم ولازم يصرف عليهم، مش فاهمة حضرتك معترضة ليه؟

- علشان غبية، ولا حد هيعبرك وهتهدلي نفسك بالسنين من غير ما تاخدي حق ولا باطل

- ليه يا ماما؟ البلد فيها قانون وكل القوانين في مصلحة الأولاد.

- دا كلام على الورق يا مغفلة، مش هتوصلي لحاجة أكرم هيظبط أموره وورقه ويطلع فقير قدام المحكمة وهو يعرف طوب الأرض يعني أي محامي شاطر من بتوعه هيطلعك من الحكاية دي من غير ولا مليم، اسحبي الهبل دا كله وانا هكلم أمه وأتفاهم معاها.

- ما فيش فايدة أنا كلمته كتير وكلمت طنط وما فيش أي فايدة وهو قالي "اخبطي راسك في الحيطة" إيه رأيك بقى؟

- دا كلام بيغيظك بيه بس.

- كلام إزاي وهو ما صرفش على ولاده مليم من يوم ما كان عندي من شهور.

- ما أنتِ اللي عكننتيه لما قلت لك باعت مع أمه علشان ترجعوا، وهيتأسف لك ويعدل حاله، ما كنتِ إتلميتي أنتِ وجوزك وولادك، إنما أنتِ ما بقتيش تسمعي الكلام زي زمان وذنب ولادك على فكرة في رقبتك.

- ذنب ولادي؟ في رقبتي أنا؟ يعني مش في رقبة أب خالي من الرجولة والإحساس بالمسئولية؟ مش في رقبة راجل كل اللي يعرفه عن القوامة هو مد الإيد وفرض السيطرة؟ راجل كل اللي يعرفه عن الأسرة هو الصوت العالي وانه يعاملنا زي ما نكون ممتلكات ليه يحطها مكان ما يحطها؟ ذنب ولادي في رقبتي أنا؟ ماما خلاصة الكلام أنا مش هتنازل عن حق ولادي وواضح انه اتصل بيكي وإلا ما كنتيش عرفتِ بالقضية بلغيه انه لو عايزني أتنازل يراعي ولاده ويرجع لهم حقوقهم.

- أنا لا هبلغ حد بحاجة ولا لي دعوة بالفضايح اللي بتعملها دي وعلى رأيه "اخبطي راسك في الحيط" علشان تتعلمي تسمعي كلام أمك وتبطلي تفضحينا وتجيبي لنا العار"

- لا معلش يا أمي سؤال بس لما أنتِ بتكلميه هو وأمه ما تقولي له ييجي يشوف عياله اللي نسيهم.

- هو أنتِ هتطلعينا من موضوع وتهري ف التاني؟

- لا يا أمي بتكلم جد العيال بيسألوا عليه.

- هقول لأمه ماشي ولو إن هو كدا يعني أنا عارفة ما فيش فايدة.

- هو إيه اللي هو كده؟

- هو كدا يعني فيه رجالة لما تطلق، تطلق الست وعيالها.

- عيالها؟!!

- بقولك إيه هو كدا مش هنقعد نلوم على الراجل.

- ماما أنتِ بتتكلمي بجد ازاي كدا أنتِ موافقة على اللي أنتِ بتقوليه ده؟!

- يووووه مش هنخلص أنا لا موافقة ولا أي كلام من ده، بس دا الحاصل.. الواقع يا بتاعة المدارس وكل الناس شايفة وعارفة إن دي حقيقة وبطلي تغرزي دماغك الفارغة دي في الرملة، ما تتعبيش نفسك بالبلدي يعني، هو كده.. بصي حواليكي ياختي وتعالي شاوري لي على راجل تعرفيه بيراعي عياله بعد ما طلق أمهم وبيتعامل معاهم زي الأول ولّا حتى بيبص في وشهم، وشاوري لي برضك على اللي بيطلق الإتنين الست والعيال، بصي حواليكي وبطلي سذاجة تعبتيني.

*****

ذكريات تُميت ونظرة تُحيي

نظرة

مالت الشمس للهدوء وراء بعض الغيوم الدخيلة على يوم صيفي تقليدي حيث جاوزت الساعة الرابعة عصرًا، وهو ما جعل "غرام" تتراجع في مقعدها بمكتبها لتتجرع كوبًا من الماء بسرعة كبيرة كمن كان يلهث بسباق ساخن.

دق جرس الهاتف بمكتبها فأجابت وهي تنظر إلى الرقم الداخلي الظاهر على الشاشة لتتحقق من محدثها:

- أيوه يا "ناجي" بك.

- أستاذة "غرام"، "خالد" هيعدي عليكِ يعرفك بعميل جديد له شغل كبير معانا الفترة الجاية إن شاء الله هو خلص معايا وراح مكتب خالد بيمضي شوية ورق.

- تمام حضرتك.

- بكره لينا جلسة مع بعض علشان نتكلم في تفاصيل شغله.

- تمام جدا.

- هشوف جدولي وهكلمك الصبح أبلغك اجتماعنا إمتى.

- ربنا يتمم الشغل دا على خير بإذن الله.

- يا رب يا "غرام" الراجل محترم وشركته كبيرة وشغلنا معاه مكسب

- على خير يا فندم، مع السلامة.

تنهي "غرام" الحديث ملتفتة لبعض الأوراق على مكتبها فترتبها إيذانًا باقتراب نهاية اليوم وتتحرك لتُخرج من دولاب مكتبها ملفًّا ضخمًا تتحقق من بعض أوراقه باهتمام لتقاطعها دقات الهاتف فتسرع لتفحصه لتتراجع في ضيق وهي تقرأ اسم أمها عليه فتغلق صوت الهاتف وتتركه صامتًا ليتم دقاته التي لا تلبث أن تعيد

نفسها حيث يبدو أن أمها تصر على الحديث إليها في هذا الوقت إلا أنه يبدو أن الابنة لا تقل إصرارًا على التجاهل فتتجاهل الدقات في ضيق فينهي الهاتف رناته، وما هي إلا دقائق حتى يعاود هاتفها الصامت إضاءة شاشته فتقطب "غرام" حاجبيها إلا أنها ما تلبث أن تغير انطباع وجهها بالفضول بدلًا من الدهشة إذ يظهر اسم صديقتها "سلمى" فتسرع بالإجابة:

- "سالومي" إيه الأخبار، أنتم كويسين؟

- كويسين يا "رومة" ما تقلقيش.

- أومال بتكلميني ليه في الشغل؟ انطقي.

- أمك ياختي كلمتني

- ياختاااااي

- بالظبط كده

- طلبتني ومردتش عليها

- أنا عارفة يا نيلة ما هي لما لقتك ما بترديش طلبتني أنا إدتهملي في جنابي على أساس أكلمك أديهوملك

- يييه مش هنخلص أنا عندي شغل مش فاضية بجد.

- وأنا ما لي بقى أنا كنت قاعدة في حالي بعيالك وعيالي والأمور رز بلبن لقيت تليفون البيت بيرن ياختي رديت وعينك ما تشوف إلا النور مدفع إفطار رمضان وانطلق

- ليه خير فيه إيه؟

- نفس الكلام اللي قالتهولك أدامي يا بنتي لما كانت هنا آخر مرة

- تاااني؟

- آه والله، شكله طليقك عامل لها صداع وقارفها هو وأمه مكالمات وكل كلامها مش عاوزين منه حاجة ولازم تتنازلي عن القضايا اللي رفعاها وتبطلي فضايح

ومحكمة الأسرة دي للستات اللي مش كويسة اللي بتهدل الرجالة وأنتِ اللي خلتيه يعند علشان مش عاوزة ترجعي له وبلا بلا بلا بلا نفس كلامها بتاع المرة اللي فاتت بقولك

- ما فيش فايدة

- معلش يا "غرام" أمك من عالم تاني وما فيش فايدة من الجدال معاها بجد اصبري عليها وخلاص.

- هي أمي وبس يا "سلمى" دي أمي وخالتي وأمك أنتِ كمان، ما شفتيش كانت بتبصلي إزاي لما كنت عندك يوم عيد ميلاد بنتك، كفرت علشان بجري على حق عيالي لازم أخرس وأخالف أمر ربنا وأصرف أنا وأتذل لأمي علشان تكمل لي من جيبها هي كمان، بس ندخل محاكم لأ دا عيب جبت لنا العار وفضحتينا اووف

- طيب اهدي ويلا تعالي الساعة داخلة على خمسة قاعدة عندك ليه؟

- خلاص بقفل شغلي وهقابل عميل ونازلة على طول

- لسه هتقابلي عميل؟

- لا هتعرف عليه بس على السريع

- طيب يا ستي مستنياكي أنا معاكي النهاردة جوزي طفشان عنده شغل.

- أنا جاااي هههههههههه يلا سلام

تضع هاتفها جانبًا ثم تلتفت للملف الضخم فتسحب منه بعض الأوراق ثم تعيده لدولاب الملفات وتتجه لمكتبها متفحصة الأوراق إلى أن يتناهى لمسامعها صوت نائب المدير منهمكًا في الحديث باهتمام مع شخص غريب فتتمتم لنفسها "العميل الجديد بقى" وتلتفت لباب غرفتها الذي يظهر "خالد" وخلفه عطر قادم هكذا حدثت نفسها وهي تبتسم للقادم الذي سبقه عطره إليها حيث عرفها "خالد" بالعميل الجديد.

- مهندس "محمود تاج" يا أستاذة "غرام".. أستاذة "غرام" هي اللي هتنهي مع حضرتك باقي بنود التعاقدات في الجزء الخاص بالمشتريات والشحن للبضاعة اللي هتيجي من بره.

تبتسم "غرام" للرجل الذي كان هادئ الملامح، مريحًا كعطره الذي ألهاها للحظات قبل أن تستعيد تركيزها وترحب به في الشركة كعميل تتمنى أن يستمر تعاونه معهم لفترة طويلة.

كانت ديباجة شديدة التقليدية تلك التي بادرته بها لكن ثمة شيء بنظرة عينيه وهو ينظر إليها جعلها تتحدث صدقًا وهي تتمنى استمرار بقائه هنا!

ينتهي التعارف التقليدي السريع مع اتفاق على لقاءات قادمة لإنهاء التعاقدات والحديث بتفاصيلها، يبتسم الرجل مرة أخرى ويعاود السلام عليها بقبضة يده القوية، وعيناه الهادئتان العميقتان لا تفارقان ملامحها مكررا

- "لينا كلام كتير مع بعض إن شاء الله".

*****

عيشة

ترجلت "غرام" من سيارتها بجراج العمارة، شرعت في إغلاقها وحمل بعض الأغراض التي أحضرتها في طريقها لأطفالها، ما إن اقتربت من باب غرفة "عيشة" وجابر البواب زوجها حتى لمحت "عيشة" تجلس في مدخل الغرفة يبدو عليها الإنهاك والضعف فبادرتها

- إيه يا عيشة ما لك؟ أنتِ كويسة؟

- الحمد لله يا مدام "غرام".

- أنتِ لوحدك؟

- آه

- أومال فين "جابر" والعيال؟

- في الشغل يا مدام، جابر مع بتوع الصيانة بينضفوا الخزانات فوق والعيال كل واحد بيعمل حاجة.

- طيب أنتِ ما لك؟ شكلك تعبانة؟

- شوية كدا يا ست وهبقى كويسة

- يعني تعبانة؟ خير يا حبيبتي عندك إيه؟

- لا ما فيش كان فيه حاجة كدا وسقطت.

- إيه؟ كنتِ حامل؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، أنتِ مش لسًّا مسقطّة من كام شهر وقلتِ مش هعملها تاني؟!

- أهو حاجة حصلت غصب عني كدا يا ست.

- يا "عيشة" أنتِ عندك أربع عيال ما شاء الله وصحتك أصلًا مش قد كدا ولما سقطتِ آخر مرة نزلنا لك أنا و"سلمى" واتطمنا عليكِ وقلتِ توبة.

- أعمل إيه بس يا ست وحياة النبي أنا ما قادرة.

- مش قصدي والله أضايقك وبصرف النظر عن مليون حاجة عايزة أقولها لك ومش هتفهميها بس على الأقل شوفي صحتك اللي بتضعف مع كل حمل وسقط.

- تسلمي يا رب يا ست الكل، معدتش أعيدها والله، أنا قلت ل"جابر" عندك أربع عيال وسقطت تلات مرات، كفاياك يابن الناس

- رحتي المستشفى؟

- آه رحت المستوصف الصبح مع "جابر" ورجعت عملت الأكل علشان ياكلوا وينزلوا الشغل

- عملتِ أكل، بتقولي إيه؟! أنتِ لازم تقعدي في المستشفى أصلًا بمنظرك ده.

- يا مدام المستشفيات مش للي زينا، أنا أديني قاعدة أهه، و"جابر" الله يكرمه ما طلعنيش أمسح السلم زي كل يوم وقال لي إرتاحي يا "عيشة".

- لا كتر خيره الحقيقة، أستغفر الله العظيم يا رب، أنتِ دلوقتي محتاجة حاجة

- تسلمي يا مدام، خيرك سابق.

تتنهد في يأس كاظمة الكثير من التأنيب وتُخرج بعض النقود من حقيبتها لتدسها بيد المرأة الشاحبة متمتمة:

- كلي كويس يا "عيشة" وارتاحي ما تروحيش بيوت تشتغلي اليومين دول ولا تطلعي تنضفي سلالم العمارة ولو عزتي حاجة خبطي عليا.

- تعيشي يا ست الكل، ربنا يراضيكِ ويعدل لك المايلة يا رب

تبتعد "غرام" عن المرأة وهي تتمتم بالاستغفار حتى تصل إلى باب المصعد فتستقله لشقتها.

***

ما إن يظهر الصوت الرنان لمفاتيح "غرام" بباب الشقة حتى ينطلق الأطفال الخمسة نحوها مهللين بوصولها وخلفهم صوت "سلمى" يأتي من المطبخ.

- حمدا لله على السلامة يا "رومة" يلا تعالي جوعتينا.

- معلش والله غصب عني

- مش كلمتك قلتِ لي داخلة على البيت أهه، رحتِ فين؟

- يووه، دي حدوتة هحكيلك بعدين

- طب يلا غيري وتعالي نتغدى

تبتسم في شكر لسلمى متمتمة:

- أوك حبيبتي هغير لبسي وجاية.

ثم تلتفت للأطفال مردفة:

- يلا روحوا لموا لعبكم وكراسات الرسم من على السفرة علشان كلنا نساعد "سالومي" بقى.

ينطلق الأطفال إلى السفرة في حين تدخل هي غرفتها لتبدل ملابسها سريعًا وتغتسل لتعود بعد دقائق للمطبخ لترحب بها صديقتها بحرارة.

- حمدا لله على السلامة يا قمر طمنيني أخبار الشغل إيه؟

- فل الحمد لله، إيه الروايح العظيمة دي، تسلم إيدك يا حلوة تاعبينك معانا

- ولا تعب ولا بتاع أنا أول ما "حسن" قال لي سهران في الشغل أخدت الأكل ونزلت أكمله هنا وقلت العيال تلعب سوا وأحنا نرغي، يعني يومك في الشغل كان حلو؟

- آه الحمد لله مرهق بس ماشي حالي

- ماكان لكيش أنتِ التعب دا كله يا برنسيسة

- يا خطاي أنتِ هتعملي زي المخفي "أكرم" اللي كان شمتان فيا أول ما اشتغلت؟! لا يا بنتي الشغل للست العادية شغل للدماغ والبال بدل ما نقعد نهري وللوحدانية

سُترة وسند وغطا للضهر، الشغل دا أهم حاجة الست مفروض تعملها لنفسها، الشغل قيمة للي ما لهاش قيمة يا "سلمى".

- أنا.....

- لا أنتِ كفاية عليكِ "حسن" والتلات بنات يا دوب الله يعينك، أنا آسفة مش قصدي أنتِ برا كلامي ده.

- مش قصدي بس يعني الست قيمتها برضو في حياتها وعيلتها والناس اللي بيحبوها وبتحبهم يا "غرام" والقيمة مش لازم شغل يعني الست مكانتها جوا بيتها دي قيمة بالدنيا وما فيها.

- على عيني وعلى راسي بس مسيرهم في يوم يختفوا من حواليها واللي هيفضل لها شغلها واللي عملته منه.

- اتغيرتي يا "رومة"، اتغيرتي قوي.

- للأحسن صدقيني، فهمت حقيقة حياة كل ست عايشة في بلدك دي، احنا في مجتمع متخلف عمره ما خلى لأي ست "دِيّة"

- كله من قاسم أمين اللي بوظ لك دماغك

- قاسم أمين؟!! قاسم ذات نفسه قال الشغل حلو وإثبات الذات جميل وكل حاجة بس في مصر لأ.

- في مصر لأ؟ إزاي يعني؟!!! بتهزري أنتِ صح؟

- فيما معناه يعني ما قالش بالنص.

- لا وضحي أحسن هصدقك!

- صدقي، الله يرحمه كان راجل حكيم وفاهم.

- يا شيخة روحي، دا سحلنا وراه، قصدي سحلكم إنتم أنا لسَّا بعقلي.

- صدقيني، ما فيش حد يوهب نفسه لقضايا وطنه وكمان قضايا جنس آخر غير جنسه ويتحمل كل الهجوم دا ويبقى عادي.

- ماشي يا ستي هو راجل مش عادي أنا مش هبقى جاحدة وأنكر، بس إيه حكاية إنه قال شغل الست حلو بس في مصر لأ؟! بتهبدي.. صح؟

- تعالي نغرف الأكل وأفهمك، طبعًا ما بهبدش يا ضايعة

تتجه الصديقتان للمطبخ في حين تستطرد "غرام" حديثها بحماس:

- قاسم يا ستي قبل وفاته اعتذر من كل قلبه على المبادئ اللي حاول ينشرها واللي حارب طول عمره علشانها

- بتقولي إيه؟ رجع في كلامه المنيل، يوه لا مؤاخذة المرحوم!

- حصل يا "سلمى"

- إزاي كده؟!

- زي ما بقول لك كده، الراجل طول الحاجة وعشرين سنة اللي كانوا عمر دعوته شاف في بلدك أهوال، لدرجة إنه أشفق على الستات من دعوته ونزل مقال واعتذر

- أول مرة أعرف الكلام ده

- بصراحة الكلام كان منطقي بالنسبة لي جدًّا، أنا بقولك أهه إن الشغل في نظري رحمة وسُترة لكل ست، نور في العقل وتحقيق للهوية ووو... لكن في نفس الوقت بفكر ألف مرة أسيب شغلي وأروح شغل تاني ظروفه أحسن، دا كفاية التحرش يا سلمى

- "قاسم أمين" لو كان عرف بالتحرش كان قال إيه

- هيقول إيه بس أكتر من اللي قاله، إستني حجيب كتابه من المكتبة

- يا بنتي يلا علشان ناكل خلاص طالما اتأسف يبقى رحمة الله عليه

- طبعًا يا بنتي وهو اتأسف وبس، دا أنا لو أقرا لك قال إيه هتحسي إنه كان عايش معانا[1]

- لا خلاص صادقة الله يرحمه بقى ما عدتش أقلش عليه تاني احنا آسفين يا أستاذ "قاسم"

- الراجل كان عنده أمانة وشفافية غريبة

- معلش اعذري جهلي بقى ألف رحمة ونور عليه، مبسوطة كده؟

- مش فكرة مبسوطة، بس هو الراجل حذرنا من فساد المجتمع من زمان، ويا ريتنا عرفنا نعمل حاجة

- مش قوي كدا يعني

- بصي، مش الكل، التعميم هبل طبعًا، بس احنا راجعين لورا قوي في حكاية التحضر والأخلاق دي، آه فيه رجالة جدعة ونضيفة بس دول مفروض يعملوا إيه مع التيت اللي زي "وليد" و"أكرم" وأمثالهم.

---

[1] كتب قاسم أمين مقالًا قبل وفاته بفترة قليلة قال فيه:

((لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج في (تحرير نسائهم) وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق الحجاب وإشراك المرأة في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم ولكن ... أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال وأخلاقهن بكل أسف ما جعلني أحمد الله ما خذل دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي... رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا عليها بألسنة البذاءة، وما وجدت زحامًا فمرت به امرأة إلا تعرضوا لها بالأيدي والألسن)).

- يعملوا اللي يعملوه بقى إحنا ما لنا خلينا في رجالتنا يا أختي.

- هههههه ماشي خليكي في رجالتك يا ستي أنا باااااس

- مسيرك تقعي

- فاشاااار، قولي مسيرها تروق وتحلى

- طيب ما هي كدا تروق وتحلى

- لا يا "سلمى" أنا نفسي أقدر أصرف على ولادي من غير ما أمد إيدي لأمي وتسمعني كلمتين، نفسي ولادي يكملوا استشفاءهم ويتعافوا تمامًا من اللي حصل لهم من وجودهم مع "أكرم"

- وراجل يا "غرام" راجل يونسك ويعوضك

- مش لازم يا "سلمى"

- مش لازم؟!!

- مش شرط بجد، الشمس اللي نفسي تنور في حياتي هي شمس الأمان وقلة القلق على نفسي وعلى ولادي، أنا لو مش هادية ومتطمنة من جوه، ولا ميت راجل يرجعوا لي الشعور ده.

- إفرضي جه راجل نقول له لأ؟!

- كله بأوانه يا "سلمى" دي بتاعة ربنا، لو جه نبقى نشوف، ما جاش ما جراش حاجة يعني الدنيا مش هتقف، أرزاق يا قلبي ويقسمها الرزاق ما لناش فيها حيلة.

- ربنا يراضيكِ ويطمن قلبك يا قلبي.

- يا رب يا "سالومي"

- ما قلتليش كان فيه مغامرات في الشغل النهاردة ولا إيه؟

- أنتِ اتعودتِ على الساسبنس يا ست أنتِ، هَشِدّ مع حد كل يوم؟ أنا مش شرانية أنتِ عارفة.

- حوش حوش الوداعة أنتِ مش لسًّا شابطانة في واحد زميلك من كام يوم؟

- أيوه بيعصبوني أعمل إيه بس دا كان من كام يوم يعني.

- قشطة بقى يلا على السفرة قبل ما نلاقي طنط طابة علينا علشان تسمعك الكلمتين.

- ياختاااي سمعتهم يا حبيبتي اتطمني.

- بتهرجي، إمتى؟

- وأنا راجعة في السكة ياختى أنا أروح للتهزيء بنفسي ومش هستنى تطلبني، كلمتها اعتذرت لها علشان كنت مشغولة في الشغل وقالت لي اللي عاوزة تقولهولي وسكتت وخلاص.

- ربنا يهديهالك معلش.

- عادي بقى أمي هعمل لها إيه؟

- أمك زي أمهات كتير قوي في البلد دي عندهم الواد فرخة بكشك، ألا صحيح فين الفرخة بتاعتكم؟

- في شغله يا حبيبتي ومع مراته وبيشتكي إني ما بسألش عليه

- أخوكِ دا ما عندوش دم يا بت يا "غرام"

- ياختي يسيبني في حالي بس ويبطل يقوّم ماما عليا وأنا أبقى فل

- ربنا يهدي

- يا رب.. يلا يا ولاد الغدا

***

قصة غرام

في المساء تودع "غرام" صديقتها بعد وقتٍ حافلٍ بالحكي واللعب مع الأولاد، تطمئن على "وعد" و"أحمد" بعد أن غلبهما النعاس ثم تتوجه لغرفتها في إجهاد واضح فتستلقي على فراشها، في إنهاك شديد تتجه يدها للأباجورة لتغلقها إلا أن لمعةً ما تظهر بعينيها وكأنّ هناك شيئًا ما تذكرت أنها ترغب بكتابته، في همة تخرج دفتر مذكراتها وتفتح صفحةً جديدةً فيه فتسطر:

((لم أعد أرَ رجالًا يهتمون بطلّتهم ولا بمظهرهم بصورةٍ كبيرةٍ، ثم يشكون وبمنتهى الوقاحة من مظهر النساء وطلاتهن!!، قابلت اليوم نادرًا من النوادر، رجلًا وسيمًا مهندمًا يسبقه عطره، عطر هادئ ومغرٍ بذات الوقت، يفتون بأن عطر المرأة حرام وأنه يغوي، ليتهم يعلمون ما يجهلون وما قد يفعله بنا عطرٌ ساحَر لرجل جذاب! أحسبني لو كنت "غرام" الأنثى القديمة فقط، لكنت غُويت من عطره وطلته، سعيدة بنفسي الجديدة وبقراري بالابتعاد وعدم الاهتمام أو الانجراف مع أي موجة تقترب))

تغلق الدفتر وتضعه بمكانه متمتمة لنفسها ساخرة:

"يعني بالعربي يروح يسبل لحد تاني بالبرفيوم بتاعه ده أنا paaaaaass"

*****

الثانية

انبعث صوت الموسيقى الهادئة الخافتة من جهاز الكمبيوتر الخاص ب"غرام" بمكتبها، حانت منها نظرة على ساعة مكتبها حيث كانت تشير إلى الثامنة والنصف وهو ما دفعها للابتسام إذ لا زال لديها نصف ساعة قبل بدء مواعيد العمل الرسمية لتحتسي قهوتها وتسترخي قبل بدء النشاط الحافل ككل يوم.

في استمتاع ضمت كوب قهوتها الخزفي الساخن واستنشقت رائحته المحوجة الزكية.

ما لبثت أن سمعت طرقات خفيفة على باب مكتبها فهتفت: "إتفضل"

فتح الباب وظهر "تامر" زميلها من خلفه

- يا صباح الهنا

- صباح الفل يا "تيمو" تعالى إتفضل قهوة

يشير "تامر" إلى كوب نسكافيه ضخم في يده

- ما أنا قلت آجي أشرب النسكافيه بتاعي معاكِ بقى قبل ما تيجي ٩

- خير ما فعلت، قل لي أخبارك إيه؟

- مممم فل

- مممم دي وراها كلام ولّا إيه؟

- يعني مش عايز أدوشك على الصبح

- لأ إدوش أنا قربت أخلص قهوتي وفقت خلاص، ما لك فيك إيه؟

- قرفاااان، مش طايق

- قرفان من إيه؟ فهمني.

- "خديجة"

- مراتك؟ تاني يا "تامر"

- لا بقول لك إيه أنتِ نصرتيها عليا لما حكيت لك المشكلة اللي فاتت إنما المرادي بقى لأ.

- إشمعنى

- علشان النكد عندها دا حاجة "بيلت إن" يا "غرام" موهبة كده، وحاجة تطفش أتخنها راجل حتى لو كان ابنها.

- نكد للنكد يعني؟ متجوزها كئيبة أنت يعني وكنت حابب تضيف لحياتك شوية كحلي غامق

- أبدًا والنعمة دي كانت فرفوشة ولذيذة وهبلة كمان آه والنبي لما اتجوزنا كانت هبلة هبل التنين.

- مممممم يعني متجوزها فرفوشة وهبلة ومبتركزش في حاجة

- أينعم

- وبعد ما اتجوزتك بقت نكدية وبتركز في التفاصيل وخزان مليان أحزان.

- قصدك إيه؟

- قصدي التحول دا لازم تعرف سببه طالما حصل وإنتم متجوزين، عارف لو كنت قلت لي هي كدا أصلًا ما كنتش اتهمتك ولا حملتك أي مسئولية إلا أنك إزاي تتجوز ست نكدية، بس أنت بتعترف بنفسك يا "تامر" إنها عمرها ما كانت كدا قبل ما تتجوزوا، إيه بقى؟

- "غرام" أنا عايز أتجوز تاني

- إيه؟؟ تتجوز تاني؟! يا دي النيلة!

- نيلة ليه بقى؟ أنتِ هتحرّمي اللي ربنا حلله؟

- لا خالص بس قبل ما تبني بيت تاني صلح الأولاني يا "تامر"

- ما هو علشان يتصلح والله

- إزاي يعني؟!

- يعني ممكن لما يبقى عندي بيت مستقر وهادي أقدر أستحمل "خديجة"بقرفها وهمها ونكدها يعني تبقى جوازتي التانية في مصلحتها

- "تامر" أنا ما ليش علاقة بجوازتك التانية؛ لكل مقام مقال.

- يعني مش ضدها

- أنا لا مع ولا ضد يا عم دا شرع الله ما بعلقش على أحكام شرعية أنا.

- كويس أومال إيه بقى

- أنا بقول لك تفصل بين الاعتبارات، يعني ما تقوليش عاوز أتجوز علشان أقدر أستحمل مراتي! طيب ما تاخد مهدئ وكدا تستحمل مراتك برضو، طيب ما تصبر لله وكدا تستحمل وتاخد ثواب بنيتك، فبلاش تلعب اللعبة دي معايا

- مش فاهم حاجة أنا، أنتِ إيه رأيك في حكاية جوزاي دي يعني؟

- ييييه بقول لك ما ليش صالح أنا، رغبتك دي حاجة تخصك مقدرش أحكم فيها وفكرة الجواز نفسها ما ليش أفتي فيها ولا حد يقدر؛ دي أحكام ربنا وأي كلام فيها هري فاضي.

- أومال إيه؟!

- اللي بقولهولك إفصل.. حل مشاكلك مع مراتك كأنك مكمل معاها بدون فكرة الجوازة التانية دي، ده أوبشن ما فيهوش نقاش علشان بيتك وعيالك وحياتك ونفسيتك إلا لو كنت ناوي تنفصل عنها وتسيبها تشوف حالها؟!

- إيه دا لأ طبعا؛ دي أم عيالي أنا مش ناوي أسيبها، لا خالص.

- كويس، اللي ناوي يكمل يحل يا معلم، كمالة بدون حل عك وتراكم للغم ما لوش أي معنى، حل مشاكلك معاها بقى ووصل مركبكم لشط أمان وبعدين نتكلم في أي حاجة تانية.

- أنتِ بتسَجِديني يا "غرام" مش كده

- أبدًا والله.. اتخيل كدا معايا إن نكد "خديجة" أثره عدى المحيطات والبحار زي ما بتقول ووصل لبيتك التاني ونكد عليك عيشتك أكتر هتعمل إيه بقى؟ هتتجوز تالت؟

- وما له، شرع الله.

- وما له يا سيدي ربنا يزيدك تمسك بالشرع هههههه، بس هي مش سلسلة مشاكل فوق بعض وانت بتستفها، خليها سلسلة دلع وشخلعة زي مانت عايز، مش صح ولّا إيه؟ حل مشاكلك في بيتك الأول وبعدين ابقى افتح التاني لو لسًّا عايزه، ماشي؟

- هفكر، بقولك إيه الساعة بقت ٩ إلا خمسة، هَجْري علشان العميل إياه بتاع شركة "الصفا" جاي، خلي بالك ودا راجل ولا بتوع الجيش مواعيده بدري بدري.

- مهندس "محمود تاج"؟

- آه عم "تاج" دا وغالبا هيعدي عليكِ تخلصي له شغله كمان أنا هطير.

- فل يا "تيمو"

- فل يا ريسة

*****

تحرش

انتصف النهار، كانت "غرام قد أنهت الكثير من مهام أول اليوم التقليدية وفرغت لإنهاء بعض المكالمات مع العملاء حين لمحت أحد العملاء يقف بباب مكتبها يتفحصها بابتسامته السمجة دون حديث!

لم تكن المرة الأولى التي يحتك بها ويقتحمها بتلك الصورة الفجة، "هكذا حدثت نفسها"

- أهلًا أستاذ "وليد" فيه أي خدمة أقدر أقدمها لحضرتك؟

في جرأة يدخل إلى مكتبها ويجلس على الكرسي المقابل لها مردفًا

- خدمة؟! دا إحنا اللي نخدمك بعنينا يا أستاذة

- أفندم؟؟!!

- بس أنتِ ترضي وتؤمري

- أرضى؟!

- ترضي عنا

- أستاذ "وليد" أعتقد حضرتك شغلك معايا منتهي من المرة اللي فاتت

- مش متأكد

- لا يا فندم أنا عارفة ومتأكدة

- ما أنا قلت أجيلك تعزميني على فنجان قهوة في مكتبك علشان نعرف نتكلم

- آسفة جدًّا حضرتك أنا مشغولة زي ما حضرتك شايف، دا غير إني منتظرة عميل على وصول.

تهشها نظرات "وليد" المتحرشة الفجة، نظرات تغتصب كل جزء تستطيع الوصول إليه في جسدها وهو يتحدث إليها، وعلى الرغم من أن ملابسها كانت تغطي سائر بدنها وتكسوه إلا أنها شعرت أنها عارية أمامه!

نفثت بغضب وشعرت بدمائها تفور، تحترق من الداخل خاصة أنه عاد للحديث متجاهلًا إشارتها له بالرحيل

- وهو فيه عميل تاني هيقدّرك قدي؟ قال عميل تاني قال!

- أستاذ "وليد" إيه اللي حضرتك بتقوله ده؟

- اسمعي مني بس، ما حدش هيقدَّر كل دا قدي.

تنتفض غرام لتقف بمقربة من باب مكتبها مبادرة إياه بصوت متوترٍ عالٍ نسبيًّا

- لو سمحت إتفضل لإني عندي شغل مهم وحضرتك معطلني

يهم "وليد" بالرد عليها إلا أن صوتًا يخترق التوتر ويأتي من خلف "غرام"

- مساء الخير "غرام" هانم، يا ترى حضرتك فاضية حسب معادنا

تلتفت "غرام" للعميل الذي أتى بوقته وتشير إليه بالدخول في توتر وهو ما يجعل "وليد" ينظر لكليهما نظرات وقحة حذرة يغادر على إثرها مكتب "غرام"

- طيب أشوفك وقت تاني أنا يا أستاذة.. ونكمل الكلام براحتنا بقى

تشيح "غرام" بوجهها في اتجاه النافذة ويضج وجهها بالاحمرار من الغضب والحرج في محاولة منها للسيطرة على الأمر في وجود العميل المُنقذ الذي تشير إليه بالجلوس.

- إتفضل يا باشمهندس "محمود" ورق حضرتك جاهز فيه بس تفصيلة صغيرة هناقشها مع حضرتك وبعدها يبقى تمام، تحب تشرب إيه

- لا شكرًا يا هانم مش حابب أعطل حضرتك.

- لا يا فندم دا وقتك وأنا كنت منتظراك

تمسك بالهاتف وتطلب رقمًا داخليًّا مردفة:

- قهوة مظبوط بن محوج يا "علي" وشاي أخضر ليا

يتفحصها "محمود" ثم يبادرها

- ميرسي لذوقك يا هانم، فاكرة نوع قهوتي

- نورتني يا فندم دي أمور بسيطة وحضرتك من أهم العملاء عندنا

- الأهم إني عميل مش غلس ولا متطفل

تطرق برأسها صامتة فيستطرد "محمود"

- كنت حابب أتدخل بصراحة ويبدو إن وقت وصولي كان مناسب، شكلك كان متضايق

يضطرب وجه "غرام" للمرة الثانية وتحاول التماسك مردفة:

- It's nothing I can't handle

يدرك "محمود" الإشارة التي أتته منها بعدم راحتها للحديث بالأمر الذي بدا أنه يحرقها فيصمت على مضض وهو يتفحصها جيدًا ثم يستجيب لحديثها في أمر الأوراق الخاصة بشركته، يظل يتحدث معها بالعمل وإن كان ذهنه بالحقيقة شاردًا وغاضبًا بشأن التحرش الصريح الذي رآه ولا يعلم كيف يقوم بأكثر من منعه بالتدخل كما فعل اليوم.

*****

ليست هناك عواصف عصية على شراع مقاتل راغب في الحياة

شكوى!

تنهمك "غرام" في تصفح عدد من الملفات على جهاز الكمبيوتر الخاص بها، تنتبه لطرقة واحدة خفيفة على الباب يطل بعدها وجه "تامر" مندفعًا ناحيتها وعلى وجهه علامات الانزعاج.

- صباح الخير يا "غرام" إيه اللي سمعته ده؟!

- صباح الفل يا "تامر" خير.. سمعت إيه؟

يدخل مغلقًا باب المكتب خلفه مردفًا:

- اشتكيتِ العميل بتاع "المروة"؟؟ إيه اللي حصل؟ ما قلتليش ليه؟ فهميني.

- آه حصل.

- إيه اللي حصل؟ وليه ما قلتليش على طول بدل ما تدخلي ل"خالد".

- "خالد" نائب رئيس مجلس الإدارة وأنا كنت داخلة ل"ناجي" بك وملقتهوش فطبيعي الشكوى تتقدم ل"خالد" علشان يصعدها ل"ناجي" بك.

- فهميني اللي حصل.

تطلق زفرة حادة وتشيح ببصرها عن "تامر" الذي يعاود الحديث:

- إتكلمي، حتى لو الكلام تقيل على قلبك، إحنا مش زمايل بس إحنا إخوات قبل أي حاجة.

- هو الموضوع مهين يا "تامر" قبل ما يكون تقيل على قلبي، ولولا إنه عدى الحدود ما كنتش إتكلمت.

- عدى الحدود؟! وهو التحرش له حدود؟

- في مجتمعنا طبعًا له حدود.

- مش فاهمك.

- قصدي له حدود بنتحملها كَسِتات قبل ما نتكلم

- ليه يعني؟

- بتسأل؟ على أساس إن أنتِ مش من هنا؟

- والزفت "وليد" دا عدى الحدود إزاي؟ وليه ما قلتليش بدل ما تدخلي ل"خالد"؟

- وانت إيه مشكلتك إني دخلت ل"خالد"؟

- كنت هتصرف أنا وهتفاهم علشان الدماغ غير الدماغ.

- ثانية واحدة بس هو إيه اللي الدماغ غير الدماغ؟ هو مش الحق واحد والصح واحد ولّا هي تفرق لما أشتكي ل"تامر" بدل ما أشتكي ل"خالد"؟!!

- بطلي فلسفة أنتِ فاهمة.

- لا مش فاهمة بقى، اللي أفهمه إن ليَّ حق وإني غلطت لما سكت من أول لمحة شكيت فيها إن كلام الزفت "وليد" دا يحتمل معاني تانية، خاصة إنه كان مصحوب ببصات بجحة وتجاوزات واضحة واللي أفهمه إن أي مكان محترم مفروض يأمن بيئة نضيفة محترمة للي شغالين فيه وفي مجتمعنا ده، خصوصًا الستات.

- كلام الفيمنست اللي مش هينفع معاهم

- أنتِ اللي بتقول كدا يا "تامر"؟

- أنتِ عارفة كويس إنه مش قصدي أي تغافل عن التجاوز بس عارفة كمان رأيي في الحكاية دي وانهم لازم يحمونا كلنا من التحرش، كله يحترم نفسه يا أختي ستات ورجالة ولّا أنتِ مش من هنا ولّا إيه؟

تبتسم "غرام" ابتسامة باهتة فيردف "تامر":

- والنبي يا شيخة لانتي ضاحكة مش واخدين منها حاجة، فهميني عمل إيه سي زفت خلصيني بقى عاوز أرجع ل"خالد" لأنه برضه رفض يقول لي تفاصيل وإحنا عاوزين نخلص الحكاية دي.

- مش عارفة أقولك إيه بس هو من أول تعامل لي معاه وهو بصاته كلها تعدي ومش مريحة وطول ما احنا بنتكلم في الشغل عنيه مش في عيني خالص.

يحمر وجهها وتشيح بوجهها فيدفعها "تامر" لاستكمال حديثها.

- تفاصيل.. لو سمحتِ قولي تفاصيل معلش

- ما فيش يا "تامر" هو اللي قلته ده، عنيه بتعمل scanning لجسمي طول ما بيكلمني لدرجة إني ببصله مش مصدقة إنه بيبص لي كدا واحنا في اجتماع شغل.

- وبعدين؟

- كنت بتعمد أقصر كلامي معاه وأنهي اجتماعاتي بيه بسرعة بس هو في منتهى السماجة وبعدين ابتدى يتكلم كل كلامه بشكل يحتمل أكتر من معنى وأنا خلاص بقيت هتجنن مقدرتش أسكت.

- قال لك إيه؟ اتكلمي.

- كلام كتير يحتمل معنيين ومع بصاته الحقيرة بقى معنى واحد وواضح للأعمى، تعبت ما بقتش قادرة أتحمل بجد.

- أيوه زي إيه قولي لي الله يكرمك.

بصوت خفيض تجيبه:

- قال لي "عايزة فين"؟

- إيه؟؟؟

- طلبت منه يمضي ورق وبحط الأوراق قدامه يبصلي بمنتهى الحقارة ويقولي "عايزة فين"، قلت له نعم؟ قال لي: قصدي عايزة الإمضاء فين؟

- الوسخ!

- وكلام من دا كتير.

- لا معلش إيه تاني؟

- لا يا "تامر" كفاية بقى.

- معلش محتاج أفهم كل اللي قلتيه ل"خالد".

- ما قلتش ل"خالد" كتير على فكرة أنا قلت له مثال للكلام، كل كلامه بالشكل دا يا "تامر" أناقشه في البنود بتاعة العقد علشان أوصل معاه لتسوية في البند موضع الخلاف، يبص بصة "حمدي الوزير" ويقول لي (حاضر والله هريحك بس ريحيني) ولما وشي يتغير وأبتدي أراجعه في الكلام يغيره ويبص في الورق يتكلم عادي

- أنتِ قلتِ الكلام دا لنائب رئيس مجلس الإدارة؟

- أيوه، أومال أقوله لمين؟ ما بقتش قادرة أتحمل البني آدم ده، ومش عايزة أتعامل معاه.

- معلش يا "غرام" بس أنتِ غلطتِ.

- إيه؟ أنت اللي بتقول كدا يا "تامر"؟

- ما هو علشان أنا "تامر" بقول لك كده، أنا مصدقك وفاهمك ومتأكد عمياني كدا إنك مشتكتيش إلا بعد ما بقيتي مش طايقة فعلًا.

- أومال غلطت في إيه؟

- كان ممكن تقولي لي وأنا أدخل أقولهم.

- تفرق في إيه؟

- تفرق إن "خالد" لما دخل ل"ناجي" بيه قاله إنك مأفورة وإن الكلام عادي جدًّا وإنك إزاي واخداه بمعنى تحرش واللي فهمته إن الكلام بينهم انتهى على كده؛ لأنه ما فيش دليل على أي تحرش غير فهمك للكلام ونظراته اللي ما حدش شافها غيرك!

- أنا بتبلى عليه يعني؟! ليه؟

- مش دي الفكرة يا "غرام" لو كنتِ قلتِ لي أنا راجل كنت جيت حضرت معاكي الاجتماعات ولّا كنت دخلت نطيت في كرش الإدارة وش إحنا رجالة وفاهمين بعض، إنما شكوتك أنتِ هتتموه وكل اللي هنطلع بيه شوشرة حواليكي.

- يعني أنا علشان ست كلامي مش مُصدق؟ إنما أنتَ لو قلت نفس الكلام كانوا هيصدقوك؟ بتقول إيه؟!

- إهدي بس أنا مش هسكت، "وليد" دا أصلا معتاد تحرش ودا العادي بتاعه يعني لطافة زيادة مع النسوان ومرة لمَحْتُه مميل على "علا" بتاعة المبيعات ولما دخلت اتعدل في وقفته وهي مشتكتش وأنا مش هتبرع وأسأل كل واحدة في الشركة (هل تم التحرش بيكي النهاردة؟!) وسكت وطنشت.

- "علا"؟!

- آه يا ستي "علا" وطبعا أنتِ ربطتِ دلوقتي هي سكتت ليه؟

- هي لسَّا بتضايقك؟

- هي عبيطة الحقيقة فاكرة إني علشان راجل أبقى متاح أكيد وأول ما حت هووووب هبُر وأجري وراها

- تحرش صريح كده؟! هو فيه إيه؟

- طب "وليد" دا آخره يبص ويقل أدبه في الكلام علشان إحنا في محل شغل أول وآخر، قال فاكر مش هيتقفش علشان هيقولولك دا كلام عادي واثبتي إن قصدي

وساخة، إنما دي عدت كل الحدود والنعمة لازقة لي ولبسها زي الزفت وحركات هباب ووو

- وانت ساكت ليه؟ عاجبك وموافق يعني؟

- لا يا ستي مش كل راجل بيتعرض للتحرش ويسكت يبقى مبسوط وعاجبه الموضوع قوي، ممكن يكون جدع ومش عايز يفضحها أو صعبانة عليه أو مش عايز يتقال عليه طري أو مليون سبب غير إنه يكون مبسوط صدقيني

- وبعدين؟

- ولا قبلين أنا قصتي هينة الحقيقة بالنسبة لقصتك

- اشمعنى

- علشان أنا راجل يا ست "غرام" الوضع غير، ما تنكريش، أنا هتصرف

- مع "علا"؟

- لا طبعا "علا" دي إيه اللي تشغلني دي غلوبة قوي يا بنتي بكل اللي بتعمله ده أنا بتكلم عن زفت "وليد" دا ما تقلقيش أنا هتصرف

- مش عارفة أقولك إيه يا "تامر"؟

- ما تقوليش احنا إخوات وزمايل وأنا عارفك زي كف إيدي ده ومتأكد إنك مش بتتبلي على الزفت ده.

- ما كنتش عاوزاك تتدخل

- ما ينفعش يا "غرام" معلش خلينا واقعيين من غير سندة راجل الحكاية مش هتمشي والموضوع مش هيخلص وهتتعك أكتر ويمكن يتهموكِ أنتِ بالتجني عليه، إهدي وأنا هتصرف، أنتِ عندك إيه دلوقتي؟

- ما فيش شوية متابعات مع الست "علا"

- ييه.. جبنا سيرة القط
- آه بالظبط كده، طلبتها أصلًا خمس مرات على مكتبها ما بتردش
- الله معك أنا هروح أشوف اللي ورايا وما تقلقيش هتصرف في موضوعك
- شكرا يا "تامر"
- شكرًا على إيه يا بنتي إحنا رجالة جدعان ما نرضاش بالظلم ولا الوضع المايل
- أنا متأكدة، ربنا معاك.. سلام

يبتسم "تامر" ابتسامة طيبة ويخرج من المكتب فتتنهد "غرام" في ضيق، وترفع سماعة الهاتف الداخلي لتطلب رقمًا ما يبدو أنه لا يجيب فتضع السماعة وتخرج من مكتبها متجهة عبر رواق طويل لغرفة مكتب تطرقه طرقةً واحدةً ثم تفتحه بغتةً فترفع فتاة ثلاثينية وجهها المصطبع بكثيرٍ من الأصباغ والرموش الصناعية والألوان التي توحي بأنها تتأهب لحضور احتفال أو مهرجان.

ترفع الفتاة وجهها من هاتفها الجوال وتتغير ملامحها وهي تحدق ب"غرام"

- أهلا يا "غرام"
- أنتِ تليفون المكتب عندك عطلان يا "علا"
- لا خالص
- أومال طلبتك كتير ما بترديش
- آه يمكن صوته مقفول
- مقفول؟!
- آه تلاقيني قفلته وأنا في البريك ونسيت أفتحه
- البريك كان من بدري مفكرتيش تشوفيه

- آسفة نسيت

تحين من "غرام" لفتة موجهة لهاتف الفتاة

- إحنا مش هنعقل بقى يا "علا"

- يووه يا "غرام" بقى هو أنا بعمل إيه يعني؟! دي شوية تسالي كدا

- تسالي؟!

- آه تسالي، وأهي الأيام بتعدي وشكرًا

- أنتِ بتقولي إيه؟

- إيه الغريب في كلامي يعني؟ بقول إني بتسلى؟ لا عادي أنتِ بس اللي قديمة حبتين، الستات دلوقتي بتتسلى زي الرجالة بالظبط، مساواة بقى هههههه

- "علا" أنا خايفة عليكِ، إحنا زمايل وأنتِ زي أختي بجد ما ينفعش اللي بتعمليه ده.

- هو إيه اللي بعمله؟ بشيت مع رجالة؟ غلطة فظيعة قوي كده؟ إيه الأفورة دي يا "غرام"

- بتشيتي بهدف إيه؟ أنتِ لو بتكلمي حد معين بتحبيه أو مرتبطة بيه بهدف الجواز والارتباط الرسمي ما كنتش إتكلمت أو علقت، إنما أنتِ وحسب ما أنتِ بنفسك حكيتِ لي كل يومين بحكاية.

- آه هما بتوع "الفيسبوك" دول كدا يومين وإقلب، بزهق يا أختي

- بتفكري إزاي

- بفكر زي الناس يا حبيبتي ب "have fun "

- وهي الناس بتفكر كده

- آه دلوقتي بقى دا الترند، هاف فان وروقي نفسك وقشطة اللي بعده

- ليه؟ ما ترتبطي بإنسان محترم وتعملي عيلة

- على أساس إن دا متوفر أصلًا، من كترهم يا ست "غرام"

- منكرش إن فيه أزمة بس فيه رجالة محترمين طبعا

- أنتِ اللي بتقولي كده؟

- ما تخلطيش الأمور يا "علا"، آه أنا اللي بقول كدا ومش معنى إني شفت رجالة مش محترمة أعمم

- الصنف شاحح يا حبيبتي، وأنا مش هقعد أحط إيدي على خدي في طابور العوانس، وفي الآخر أتجوز واحد عاهة أمضيه على قايمة بالشيء الفلاني ويوم ما يجيله مزاج يرميني يكفر سيئاتي علشان أبريه لجل ما يعتقني، لا يا قلبي أنا هستمتع بحياتي وشكرا

- ياااه.. دا أنتِ دماغك سودة قوي!!، ما عندكيش حتى أمل واحد في المية إنك ترتبطي براجل بجد!، على أي حال أنتِ اللي هتتضري في الآخر صدقيني، كل حد بنعرفه بيسحب من طاقتنا وعمرنا وحياتنا.. بياخد مننا حتة! ومش كلهم بيمروا بسلام وأفتكر مش هفكرك بالراجل إياه اللي طلعت شغلانته حساسة وطاردك وكنتِ هتروحي في داهية لولا ستر ربنا

- أنا غلطانة إني حكيت لك

- مش غلطانة أكيد، يا "علا" إحنا كويسين لنفسنا، ملتزمين لنفسنا، ما حدش هيسقف لنا في آخر اليوم ويدينا جايزة علشان إحنا نضاف ومحترمين، إحنا متماسكين لنفسنا ومبنقعش في الغلط علشان نفسنا

- أنا ما بعملش حاجة غلط أساسًا ما تبصي حواليكي يا ست الديناصورة

- وأبص حواليا ليه؟ علشان كلهم كده؟ لا مش كلهم كده؛ أنتِ اللي عايزة تشوفي الكل كدا علشان تدي نفسك مبرر، وحتى لو الكل كده، فدا مش مبرر، مش

علشان الكل حرامية أسرق أنا كمان بمنتهى الأريحية وأقول مبروك السرقة ما بقتش حرام، نهايته.. أنتِ حرة بس من فضلك أمورك الخاصة متأثرش على شغلك وتليفون المكتب ما يتقفلش تاني لأي سبب من فضلك، دلوقتي طلعي ملف شركة "السعيد" وحصليني على مكتبي عندنا شغل

تخرج "غرام" من مكتب "علا" حانقة في حين تشيعها الأخرى بنظرات لا مبالية ثم تعيد فتح شاشة هاتفها وتضغط على رز تسجيل الرسائل الصوتية بتطبيق الواتس آب متحدثة "سوري يا بيبي حاجة سخيفة قاطعتنا هخلص حاجة وأرجعلك امواااه"

*****

تحقيق حالة!

علا صوت "غرام" حانقًا منكرًا وهي تتحدث عبر هاتف مكتبها

- - إنتِ بتقولي إيه يا "نجلاء"؟ دبلة إيه دي اللي لو لبستها هعفي نفسي من الأرف ده؟! يعني هوّ المتحرش هيبطل يتحرش لو تخيل إني متجوزة؟ مش قادرة أفهمك يعني!!

- أتاها صوت زميلتها بالعمل بالفرع الرئيسي عبر الهاتف

- - أيوه يا "غرام" لو لبستِ دبلة في إيدك وفهموا إنك متجوزة ما حدش هيقدر يغلس عليكِ إنما اعذريني معلش فكرة إنك مش لابسة دبلة ومتكلمتيش عن حالتك الاجتماعية بوضوح فطبيعي الموضوع يبقى محلّ تعليق وشك ومطمع طبعًا لو كنتِ فعلا عازبة

- - موضوع إيه اللي يبقى موضع شك؟! هو فيه إيه؟ أنتِ بتتكلمي جد يا "نجلاء" ولّا بتهزري ولّا إيه؟ هو أنا جاية أشتغل في شركة ولّا جاية أتقدم في مكتب جواز؟ أنا إيه علاقة شغلي بحالتي الاجتماعية فهميني، وأكذب ليه وألبس دبلة في إيدي علشان أوهمهم إني متجوزة؟ ولما أتعرض لمضايقات من عميل سخيف وأشتكي يبقى رد الفعل بالسخف ده؟ للعلم هو تقريبا ما سابش حد إلّا واتحرش بيه

- - يمكن يا "غرام" بس اللي واصل للفرع الرئيسي هنا هو حكايتك أنتِ بس معاه ءءءء

- - "حكايتي"؟ أنتِ بتقولي إيه؟؟ أنا ما فيش حكاوي لي معاه.. من فضلك خليكِ محددة في توصيف الأمور أنا شكوتي واضحة إنه تم التحرش بي من الراجل دا أكتر من مرة وأفتكر طلبي بأنه ما يدخلش الفرع تاني طلب "فير" وموضوعي كفاية.

- - مش عارفة الحقيقة أنا كان كل هدفي من نصيحتي ليكي مصلحتك وكنت بكلمك كأخت ليكي وصديقة يعني أنا كان قلبي عليكِ فعلا ما تخيلتش يكون دا رد فعلك

- - "نجلاء" أنا ما عنديش حاجة أخبيها ولا أعلنها.. أنا ببساطة جاية أشتغل مش جاية أتكلم في شئون خاصة فساعدوني في إن بيئة شغلي تبقى طبيعية وما فيهاش ضغوط.. مش دا الكلام اللي بتقولوه في الايفنتات بتاعة الشركة؟ مش دا الكلام اللي بيبتدي بيه الجي إم كلامه كل ميتنج.. حققوه بقى

- - عمومًا هيحصل تحقيق طالما أنتِ مش عايزة تنهي الموقف وتسحبي شكوتك.

تحين منها نظرة إلى شاشة هاتفها التي تنير بصورة "سلمى" فتنهي حديثها مع "نجلاء" قائلة:

- - مش هسحبها طبعًا.. أنا مغلطتش في حاجة والعكس هو الصحيح وإتغلط في حقي جدًّا ومتمسكة بالحق ده

- - هنشوف بعد التحقيق.. مع السلامة

تلتقط هاتفها وتجيب صديقتها:

- خير يا "سلمى" طلبتيني كذا مرة كان معايا تليفون شغل

- أنتِ إيه اللي كاتباهولي في الواتس آب ده؟

- زي مانتي قريتي

- إشتكيتي الجدع المتحرش؟

- آه

- مش قلت لك بلاش

- لا ما فيش بلاش أنا قلت كل اللي حصل وكل اللي قالهولي

- بتهرجي أنتِ بجد قلتِ لهم كدا فعلًا؟

- آه قلت لهم كل الكلام الحقير اللي "وليد" قالهولي

- أنتِ بتدخلي نفسك في مشاكل كبيرة وبتجيبي لنفسك الكلام والشوشرة لسمعتك

- أنا؟!

- أيوه طبعًا، أبسط حاجة هتتقال لك أو تتقال عليكِ أنتِ إزاي فهمتِ الكلام ده؟!

- ليه وأنا بقيت مُدانة دلوقتي علشان فاهمة الكلام؟ سلمى أنا داخلة على الأربعين، إيه مبنمشيش في شوارع البلد دي ولّا بنحط في ودائنا قطن؟! ما كفاية دفن لروسنا في الرمل بقى ما كل ست وبنت بتمشي في شوارع البلد دي ولّا حتى بتتفرج على تليفزيون فاهمة مفردات التحرش دي كويس

- آه فاهمة بس مابتقولش علشان هيتقال عليها خِبرة فبنسكت يا حبيبتي وبنعمل نفسنا مش فاهمين، ما طول عمرك بتسكتي إشمعنى دا عملتِ معاه كده؟

- علشان تعبت وعلشان كان سكوتي طول عمري غلط زيي زي أي ست ومعدتش هسكت تاني ودا حقي وبدل ما تقطميني مفروض تسنديني؛ دا أنتِ صاحبتي.

- والله من قلقي، أنا بحبك وبخاف عليكِ.

- بتخافي عليا غلط يا "سلمى"، خافي عليا من تكرار دا كل ما بسكت، لأن دا اللي بيحصل لكل ست وبنت بتسكت على تحرش ومبتشتكيش، بيتكرر وهيفضل يتكرر لحد ما تقول لأ، عارفة.. النهاردة قريت على فيسبوك كان فيه حد كاتب إنه لازم عقوبة رادعة للمتحرشين والمغتصبين تصل إلى حد إزالة "عضوه" في حال ثبوت التهمة عليه

- إزالة إيه يا عنيا؟ ودا راجل اللي كاتب الكلام ده؟!

- آه راجل مشهور قوي بس شفتي التنوير والكلام المحترم

- راجل يا حبيبتي، بيتكلم براحته ويقترح اللي هو عاوزه، ما حدش يقدر له على حاجة، إنما إحنا ولايا

- لا إحنا مش ولايا، إحنا اللي عاملين في نفسنا كده

- ياختااي، مش هنخلص، يا ستي أنا خايفة عليكِ

- ما تخافيش أنا ما عملتش حاجة غلط وربنا معايا

- غلبتيني

- إدعيلي

- ربنا يحميكي وينجيكي يا نور عيني.

تغلق الهاتف وتلقيه على مكتبها محملقة في الفراغ خارج شباك المكتب، تُحدث نفسها ساخرة "كمان هبقى متهمة علشان مرضتش أقبل بالوساخة! دا كابوس"

تحرك رأسها يمينًا ويسارًا طاردة كل ما يعكر صفو أفكارها، تغلق عينيها معتصرة دمعة كانت تُجاهد ألا تسقط إلا أن هجوم رموشها المفاجئ أسقطها بلا تردد.. تُحدث نفسها مرة أخرى "إهدي وهوني على نفسك، أنتِ سامعاني.. لو كل الدنيا ظالمة فربنا هو الحق العدل وربنا هيساعدك والموضوع هينتهي زي ما ربنا يحب مش زي ما هما يحبوا، فاهماني؟ الموضوع هينتهي على خير..

تُكرر لنفسها عدة مرات "الموضوع هينتهي على خير.. الموضوع هينتهي على خير" حتى تهدأ وتفتح عينيها ببطء فتشرب كوبًا من الماء وتجاهد في شق طريق للابتسام على وجهها الحزين.

*****

الفارس

في هدوء وجه رئيس قسم المشتريات حديثه ل "غرام" التي وقفت لدى باب غرفته استعدادًا للرحيل منها

- صدقيني يا مدام "غرام" إحنا كلنا إخواتك هنا وأنا كان قصدي .....

يعلو صوت "غرام" التي تقاطعه بانفعال واضح:

- أستاذ "سمير" شكرًا لاهتمامك.. شكرًا لاهتمامكم كلكم بس الموضوع اللي فجأة بقى موضوع الساعة في الشركة وكل حد فيكم عاوز يقعد يتكلم معايا فيه وينصحني ألِمّ الفضيحة وهو موضوع مش محتاج كل الكلام ده، ولا محتاج الانزعاج الرهيب دا كله الحق واضح والصح واضح.. بعد إذنك.

تلتفت لتبتعد بخطوات منزعجة عن باب غرفة مدير المشتريات لتصطدم بعميل لم تنتبه لوقوفه لدى باب الغرفة المجاورة فترتبك وتقف معتذرة:

- آسفة يا فندم

- إزيك يا "غرام" هانم

- أهلًا يا باشمهندس "محمود" نورت.. بعد إذنك

يتابعها "محمود" بنظراته حتى تختفي داخل مكتبها فيصمت قليلًا ثم يتوجه بحديثه لنائب مدير الفرع الذي كان يصطحبه للخارج في أثناء حديثهما عن العمل فيبادره بطلبه المفاجئ

- معلش يا أستاذ "خالد" هو ممكن أدخل ل "ناجي" بك مرة تانية فيه حاجة بس عايز أبلغه بيها

- آه طبعا يا باشمهندس اتفضل اتفضل

في سرعة يُفسح "خالد" الطريق ل "محمود" عائدًا لغرفة مدير الفرع ومبلغًا إياه برغبة "محمود" في الحديث معه بأمر طرأ

- "محمود" بك.. اتفضل يا فندم

- آسف "ناجي" بك بعطل حضرتك
- يا باشا دي شركتك.. اتفضل اتفضل.. خير يا رب
- خير إن شاء الله.. الحقيقة في طريق خروجي سمعت عن طريق الخطأ "غرام" هانم بتتناقش مع "سمير" بك في موضوع كده

يتدخل "خالد" سريعًا في الحديث مردفًا

- ءءءء إحنا آسفين والله على المظهر المش مظبوط اللي أنتِ شفته.. احنا شركة محترمة وما فيش كلام من ده، وانت عارف الستات أفورة بشكل مُخجل الحقيقة
- أفورة! حضرتك بتقول إيه؟ حضرتك عارف أنا داخل ل "ناجي" بك ليه؟
- ليه يا باشمهندس؟
- علشان أأمن على كلام "غرام" هانم وأقول لحضرتك إنه حصل أمامي التحرش غير اللائق بيها من الشخص اللي اشتكت منه
- ءءء إيه اللي حضرتك بتقوله ده وإزاي دا يحصل كده؟
- واضح إنه بيحصل يا فندم والأستاذة لما اشتكت اتحطت في خانة الاتهامات واتحاصرت بالضغوط زي ما انا شايف كده..
- لا لا سمح الله ما فيش اتهامات ولا حاجة بس هو أنت عارف المجتمع اللي احنا فيه وبيئة العمل مش مفضل فيها .....
- مش مفضل فيها التحرش بالنساء طبعا دا قصد حضرتك؟!
- ءءءء طبعا طبعا يا باشمهندس.
- تمام يا فندم أنا كان لازم أقول شهادتي دي لحضرتك بس وأتأكد من حرص شركتكم على حقوق موظفاتها
- طبعا يا فندم
- مع السلامة

*****

شكر

- آلو.. مساء الخير يا باشمهندس "محمود"

- "غرام" هانم أهلًا أهلًا

تصمت ثم تبادره وهي تتلعثم في الحديث

- ءءء الحقيقة كنت عايزة أشكر حضرتك على موقفك المحترم اللي حصل في الشركة.. أنا عرفت النهاردة بس من أستاذ "خالد" بقرار وقف التعامل مع "وليد فوزي" وحفظ التحقيق معايا وعرفت إن حضرتك كنت السبب المباشر في التطور دا بكلامك مع "ناجي" بك

- الحقيقة أنا ما عملتش حاجة

- إزاي بس؟ حضرتك موقفك على راسي بجد.. احنا في مجتمع ظالم ودي حقيقة ونادرًا ما تلاقي حد بينصر واحدة ست، خاصة لو راجل

- مممم بصراحة أنا موقفي كان لنصرة الحق.. الحقيقة يعني.. مش علشان أنتِ واحدة ست.. أنا ما بحسهاش كده.

- مممممم آه تمام.. شكرا لحضرتك على أي حال

- صوتك إتغير ليه.. سامحيني أنا شخص صريح ما بعرفش ألون الكلام

- لا أبدًا ما فيش حاجة.. متشكرة على أي حال موقف حضرتك حل مشكلتي في الشركة وأنصفني حتى لو ما كنتش تقصد تنصفني

- أنا ما قلتش كدا على فكرة.

- بصرف النظر

- واضح إنك فهمتيني غلط

- لا خالص

- خالص إيه بس.. طيب أنا عندي اقتراح.. طلب

- اتفضل

- يعني ممكن نشرب مع بعض قهوة.. دا بمناسبة نهاية المشكلة وفرصة أشرح لك قصدي من كلامي

- ءءءءء

- تمام كدا موافقة يبقى بكره الساعة ٧ في سيفن هارتز

- ما قلتش موافقة

- لا أنتِ موافقة وكريمة مش هتردي سائل طيب كل نواياه طيبة زيي

- طيّب؟!

- موافقة يعني؟

- لا بعلق على كلمة طيب دي

- ما لها؟

- ما فيش

- لا بجد ما لها؟

- يعني.. هو فيه راجل طيب؟

- يا خبر!!

- آسفة بس مش أنتَ لوحدك اللي صريح هنا

- تمام.. كدا في عدد ٢ سوء تفاهم بيننا على رأس جدول أعمال اللقاء.. سجليهم عندك أنا عارف إنك شاطرة في الأمور دي

- هههههههه

- دي ضِحكت.. يا فرج الله

- هههههههههههههههههههه

- لا لا دا كتير عليا.. يلا هشوفك بكره إن شاء الله.. ليلتك زي الفل.. سلام

- سلام

*****

كل البدايات كانت بخُطوة

نخطوها ونحن لا نعلم إلى أين تقودنا

فقط قلوب خائفة مُعلقة برجاء ألّا يكون المآل وجعًا جديدًا

بداية

عبرت "غرام" باب المطعم الراقي، سبقها للأمام عطرها الخفيف الدافئ، احتواها فستانها وردي اللون، تزين بورود تلونت بألوان البيج والكشمير، انسدل شعرها الكحيل من فوق كتفيها هادئًا لامعًا متموجًا كَليلٍ لا بدرَ فيه، وتزين وجهها بحمرة شفاه وردية خفيفة غطت شفتيها فبدا وجهها جزءًا لا يتجزأ من فستانها.

عبرت إلى داخل المطعم وجالت بنظرها فلم تلمح "محمود"، توقفت بمكانها في حيرة مقطبة حاجبيها، ما لبثت أن شعرت بخطوات تقترب خلفها وصوت يبادرها بهدوء

- "غرام" هانم

هزت رأسها للنادل الأنيق فأشار إليها لسلم قريب فتبعته حتى الطابق العلوي الأهدأ والشرفة المزينة بأضواء صغيرة الحجم بدت كالنجوم على حائط الشرفة.

أشار إليها النادل مرحبًا مرة أخرى ثم اختفى.

كان "محمود" ينتظرها حيث أشار النادل، كان بسيطًا وسيمًا ولأول مرة دون سترة ورابطة عنق رسمية، فقط يلبس قميصًا ناصع البياض يظهر خلف أزرته المفتوحة بأعلاه سلسال فضي يحمل رسمًا لشجره الحياة، وبنطالًا أسود اللون، كانت شعيرات لحيته ورأسه قد هُندمت بإتقان.. بدا لها كرجلٍ مختلفٍ تماما عن ذلك الصارم الرسمي الذي تقابله بعملها بين وقت وآخر

بادرها "محمود" مرحبًا ومساعدًا إياها في الجلوس قائلًا:

- نورتِ يا هانم

ابتسمت "غرام" ابتسامة ذات مغزى

- واخد بالي أنا من ابتسامتك دي من زمان كل ما أقولك يا "هانم"

- هههههه دا حقيقي، من أول مرة شفتك في الشركة وانت بتقولي كده.

- لي حق بصراحة.. ولّا إيه؟

- الحقيقة كانت كلمة غريبة إنها تتقال لي في الشغل، العادي "يا أستاذة" وأحيانا "يا مدام" ولو إني ضد أي ألقاب في الشغل غير "أستاذة"

اعتدل "محمود" بجلسته وهو يظهر اهتمامًا ويسألها:

- وليه بقى؟!!

- يعني بشوف إن الحالة الاجتماعية دي شأن خاص للأنثى يعني شيء سخيف السؤال هي "آنسة" ولّا "مدام"، سؤال في غير محله وبيئة العمل الاحترافية الأفضل فيها الألقاب الرسمية يعني "أستاذ" و"أستاذة".

يبتسم "محمود" مكررًا

- بيئة العمل الاحترافية مممممم تشربي إيه؟ ولّا نتعشى الأول؟!

- مش مقتنع بكلامي؟

- لا أبدًا مقتنع لإنه كلام منطقي إلى حد كبير

- بس....

- ليه فيه بس؟

- مش عارفة حاسة إن فيه بس

- صح.. كنت هقولك كلام منطقي بس فيه حساسية كبيرة وراه

- حساسية؟!

- آه.. حساسية من ذكر الحالة الاجتماعية

تهم بمقاطعته في تحفز فيستطرد مؤكدًا: "اللي هو مش شغل حد طبعا لكن يعني مش قوي كدا أنتِ حنبلية شويتين".

ترفع حاجبيها فيستطرد "هتاكلي إيه يا حنبلية".

يشير إلى النادل الذي يأتي بقائمة الطعام ويختاران ما سيتناولانه

تنظر غرام إلى زجاجة الماء وتهم أن تصب كأسًا لتشربها فيسبقها إلى الكأس ليصبها لها، تتناول الكأس التي صبها لها في محاولة منها لإخفاء مشاعر الإعجاب بالمبادرة البسيطة المُلفتة، تقذف الماء البارد بجوفها عله يخفف من توترها..

- عايزة أشكرك تاني على موقفك المحترم في الشركة، بس ءءءء

- عايزة تفهمي جملتي

- الحقيقة آه

- الموضوع بسيط وسهل، أنا نصرت الحق والحقيقة في الموقف ده بشكل مجرد قلت اللي شفته وما سبتش إنسان-إنسان هه- في موقف ظالم زي ده.

- إنسان؟

- آه إنسان.. يعني لو كان الموقف العكس كنت هعمل نفس اللي عملته

- العكس!! إزاي يعني؟

- عادي، أقصد لو راجل هو اللي كان في مكانك والمتحرشة ست كنت هتصرف نفس التصرف.

- تمام بس أنت مش شايف إنك بتبالغ شوية؟

- ببالغ إزاي؟

- يعني فكرة إن المتحرشة تكون ست، والراجل يكون في موضع المظلوم.

- مش وارد؟

- وارد بس بنسبة أد إيه في واقعنا ده؟ أعتقد إن القاعدة هي العكس

- معاكي بس هي نسبة مش قليلة برضو زي مانتي متخيلة، اسأليني أنا هههههه.

تتفحصه في صمت متجاهلة استكمال الحديث في هذا الاتجاه فيتراجع برأسه للخلف ويطلق ضحكة عالية تجعلها تنظر حولها غير مستريحة لهذا الشخص الذي تشعر أنها تقابله لأول مرة، يقاطعهما النادل بالطعام فيشرعا في تناوله مكملين حديثهما.

- مش مصدقة إن فيه ستات متحرشة ولّا إيه؟

- لا أكيد فيه بس....

- بس إيه؟

- بس مش كتير كدا لدرجة إننا نساوي بين الفئتين

- طب وحياتك كتير، بقول لك اسأليني أنا

- مش محتاجة أسأل، ويمكن التحرش بالرجالة أكتر مما هو ظاهر ومعلن بس دا أكيد لسبب مهم مش عايزة أقوله.

- وليه؟! قولي، خدى راحتك في الكلام خالص

- يعني، ببساطة التحرش بالرجالة لو هو كتير زي ما بتقول يبقى غير معلن لأنهم مبيشتكوش، مبسوطين أو متقبلين يعني فمش بيشتكوا ولا بيرفضوا

- عاجبهم الوضع يعني؟

- أكيد

- وليه أكيد؟

- أومال إيه؟

- ليه ما تقوليش إنه شياكة من الراجل أو إنه ما يحبش يحرج ست أو –عفوًا يعني- يفضحها؟

- والله وارد دا يبقى نبل منه لكن صعب تكون دي القاعدة، أكيد دا جزء بس والباقي عاجبه الوضع ومستجيب.

- أو متجاهل.

- وارد، على كل حال ما فيش راجل مظلوم.. هما بيعرفوا يحموا نفسهم كويس قوي.

- طبعًا طبعًا ما هو ما فيش رجالة طيبين، مش قلتِ كدا هههههههه

- أنا ما قلتش كده

- لا قلتِ، ومفهمتكيش الحقيقة، قصدي مفهمتش بتهزري ولّا بتتكلمي جد؟!

- بتكلم جد طبعا، يعني دي صفة مش دايمًا عند الرجالة يعني فكرة راجل طيب ومسالم ووو دي مش فكرة popular قوي

- آه.. ليه؟ ما قابلتيش راجل طيب، كل الرجالة اللي في حياتك شرسة ولّا إيه هههههه

امتقع وجه غرام وحاولت السيطرة على توترها

- ءءءء

- أنا بهزر على فكرة ما لك؟ أنا مش قصدي أضايقك.

- ما فيش حاجة تضايق

- تحبي أطلب القهوة

- لا يا ريت تطلب الشيك وإحنا متفقين طبعا إني عازماك

- ما فيش الكلام ده؛ أنا صعيدي أصلًا وما فيش شيك قبل القهوة.

- إيه ما فيش ما فيش دي؟

- اه ما فيش أنا قلت كدا وخلاص

ترفع غرام حاجبها في دهشة وتلزم الصمت حيث يرفع النادل الطعام ويغادر لإحضار القهوة

- عايزة تعزمي راجل صعيدي على "الوكل" ينفع إكديه

يقولها بلكنة صعيدية رديئة للغاية فتطلق ضحكة تحاول أن تغالب بها توترها

- لا واضح إنك صعيدي فعلا هههههههه

- لا بجد جذوري صعيدية بس والدي -رحمة الله عليه- من مواليد القاهرة وانا بالتبعية وأرضنا في الجيزة وكل أشغالنا واستقرارنا هنا من زمان

- بعيدًا عن أي حاجة أنا عايزة أشكرك تاني على موقفك بصرف النظر عن دوافعك اللي وراه

- فارق معاكي قوي الموضوع ده

- موضوع إيه؟

- دوافعي وإني ما نصرتكيش علشان واحدة ست واني قلت لك كنت بنصر الحق

- أنتَ حر

- آه أكيد حر بس أنا مقلتلكيش إني مش مهتم إني أنصر واحدة ست أنا قلت لك إن قيمة الحق مجرد أهم عندي من جنس الشخص اللي بنصره راجل أو ست دا يخلينا حقانيين أكتر يا ستي

- فهمتك

- فهمتيني؟ بنظرة النمرة الشرسة دي؟ دا أنا خفت

- يا خبر.. أنا أخوف باشمهندس "محمود تاج" بحاله

- أنا إنسان على فكرة.. الشغل والمكانة دي حاجة وقعدتي معاكي دلوقتي كإنسان حاجة مختلفة

- أكيد دي حاجة تفرق معايا كتير

- تصوري إني معرفش عنك حاجة كإنسانة، اللي أعرفها ست "غرام" الأستاذة الحازمة الدينامو في شغلها

- هههههههه أنا إنسانة بسيطة وعادية جدا

- أشك

- صدقني، أنا دنيتي بسيطة جدا

- كنتِ بتكلمي ابنك في التليفون لما كنت في مكتبك من كام يوم

- أيوه

- الله

- إيه؟

- لو تشوفي ابتسامتك اتغيرت إزاي لما جبت لك سيرة ابنك، هتقولي الله

- طبيعي سيرة حبيبي.

- ربنا يخليه يا ستي.. وحيد؟

- لا عندي "وعد"

- ربنا يخلي

- ميرسي، ءءء معندكش ولاد صح

- ولاد إيه بس مش لما أتجوز

- معقول؟ مش متجوز؟

- الشغل أخدني، طول عمري دراع أبويا اليمين وأهم حد بيساعده وأحلامي مبتقفش عند حد ووو وبس

- ربنا يوفقك لكل حلو دايمًا

- وأنتِ؟

- أنا إيه؟

- قصدي أنتِ مش متجوزة صح؟

- ءءء لأ

- أظن إحنا مش في الشغل ومش مضطر أقول لك يا أستاذة ومسألش عن حالتك الاجتماعية و....

- لا عادي

- مش باين إنه عادي

- خالص، بس حياتي الخاصة مش من مواضيعي المفضلة اللي بحب أحكي فيها.

يسند ذقنه بيده ويقرب وجهه بغتة من وجهها عبر المائدة كمن يهم بسماع حدوتة مبتسمًا و قائلًا:

- أومال بتحبي تحكي في إيه؟

للحظة يلتقي انعكاس الأضواء بلون عينيه العسلية وتظهران لها كبئرٍ من العسل الصافي شهي الطلة مغري المذاق، تحملق بهما على التوالي ثم تتراجع للخلف مشيرة إلى فنجان القهوة الذي نفد.

- الشيك، قلت الشيك بعد القهوة

يتراجع للخلف بهدوء في حين تظل بئر العسل تلوح لها، وهي مرتكزة عليها لا تبرح وجهها وملامحها، لا يلبث أن يشير إلى النادل ليحضر الشيك منهيًا بذلك توترها الكبير كما ظنت وإن كان بالحقيقة قد بدأ.

*****

ابتسامة

تغلق "غرام" باب شقتها من الداخل وتضع المفاتيح على الكرسي القريب من الباب فيلتفت لها "أحمد" الجالس للعب على جهاز التابلت الخاص به بينما تنتبه "وعد" وسط عرائسها وألعابها مع صديقاتها بنات "سلمى" .

يندفع الخمسة أطفال نحو "غرام" مطلقين سرينة سعادة عالية فتستقبلهم بأحضانها سعيدة.

تظهر "سلمى" آتية من المطبخ وبيدها طبق كبير به "ساندوتشات" فترحب بصديقتها:

- يا أهلا يا هانم.. يلّا يا ولاد على الأكل ساندويتشات البانيه جاهزة

- والفرايز

- والفرايز يا أحمد بيه يا غلباوي.. يلّا يا "وعد" خدي طبق الفرايز من المطبخ وع السفرة

تشير "غرام" إلى باب المطبخ

- أجيبه أنا

- لا يا حبيبتي أنتِ قدامي على أوضتك

تستسلم "غرام" لاستجواب صديقتها المحتمل

*****

والوجع القديم وحْشٌ نائم لا أود إيقاظه

بئر العسل

تلقي غرام بحقيبتها على السرير وتقفز بجانبها، وتقفز صديقتها أمامها مباشرة، مباغتة إياها بالتساؤل:

- هاااه.. عملتِ إيه؟

- مممم ولا حاجة.

- ولا حاجة إزاي؟ اعترفي

- ما فيش يا "سالومي" قابلته وشكرته على اللي عمله وشربنا قهوة واتعشينا وشكرته تاني ووبس.

- ووبس؟!!

- آه ووبس.

- بت يا "غرام" مخبية عليا إيه؟

- مش مخبية عنك حاجة

- أومال عملتِ إيه؟

- زي ما قلت لك بالظبط شكرته وشربت معاه قهوة

- بس؟

- آه بس

- مممم طيب انطباعك عنه إيه؟

- مممم مش عارفة يا "سلمى" حسيت إنه شخص مختلف خالص عن "محمود" بيه بتاع الشغل العميل الجد المحترف في شغله

- مختلف إزاي؟

تلقي "غرام"بظهرها لوسادتها محدقة بسقف الغرفة ومجيبة:

- مختلف يعني حد تاني خالص، يعني لبسه غير اللبس المنشي بتاع الشغل ما فيش بدلة، ما فيش كرافتة، ما فيش كلام رسمي

تستلقي صديقتها بجانبها مقاطعة إياها

- كان لابس إيه؟

- كان لابس قميص أبيض بسيط وشيك في نفس الوقت وبنطلون إسود، شكله كان أصغر قوي من اللوك بتاع الشغل ده

- وإيه كمان؟

- كان لابس سلسلة فضة حلوة قوي.. عارفة شجرة الحياة على شكلها كده

- سلسلة؟ في رقبته؟!

- أومال فين يعني؟!

- دا كان فاتح زراير القميص أيوه بقى الروش هههههه

- ياختاااي مش قادرة أقول لك

- لا قولي

- تعرفي حشائش السافانا

- يا جمال النبي هههههههههه

- اللهم صلِّ عليه هههههههههه

- طب ما هو عجبك أهو

- بقولك إيه أنا قلت لك قبل ما أروح إنه أحرجني واضطريت أقابله علشان أشكره

- يا بت عليا أنا برضو، أحرجني واضطريت

- آه والله كان لازم أشكره

- أيوه طبعا لازم نشكروه، المهم قضيتِ وقت حلو؟

- آه.. حلو قوي

- كنتِ لطيفة وكده

- ءءءء آه

- مش مرتاحة لك!!

- بشويش عليا من غير ما تهبي زي البوتاجاز

- أهب إيه؟ دا أنا هجيبك من شعرك أقسم بالله، عملتِ إيه مع الراجل؟!

- معرفش يا "سلمى" أنا ما عملتش حاجة بس كنت طول الوقت متوترة وعايزة أقوم أجري

- تقومي تجري؟!! ليييه؟

- وأقعد ليه؟ ليييه؟ أنا بجد قابلته علشان أشكره

- يا ستي اشكريه مختلفناش، بس يعني هو طلب يشرب معاكي القهوة ليه؟ مش يمكن عجباه وعايز يقرب منك؟

- مش عارفة يا "سلمى"، هو شكله راجل جدع وجدع قوي كمان، كفاية شهادته بالحق والتدخل بالطريقة اللي اتحكت لي بس.....

- بس إيه؟

- بس أنا من ساعة ما قابلته أول مرة وأنا طول الوقت عايزة أجري، مش عايزة أركز معاه ولا أقرب له أصلًا

- بس مش باين أنه بيعمل معاكي زي ما بتعملي

- قصدك ايه؟

- قصدي هو بيقرب مش بيجري زيك

- هو يبان هادي وراسي وعاقل وخطواته بشوييييش ودي في حد ذاتها حاجة توتر وتخليني أهرب

- هههههههههههه يا جبانة

- مش جُبن والله بس هو هدوءه ده بيوترني أصلًا، أنتِ كان لازم تشوفيه وهو قاعد بيبصلي وأنا بتكلم

- كان بيبصلك ازاي؟

- كأنه بيتفرج عليا في هدووووء

- أنتِ قلتِ انه طبعه هادي

- آه قوي بشكل غريب يعني ما تقوليش إن دا رجل أعمال وابن سوق وكده، ينفع تقولي عليه فنان ولّا رسام مثلا.

- الله الله دا احنا ابتدينا نشكر فيه ونشعر أهه

- أنتِ اللي عمالة بتحققي معايا متعتقيني بقى وتسيبيني أنيم الولاد وأنام

- لا ممكن أبدًا

- طب عاوزة إيه؟

- كملي باقي الحكاية

- حكاية إيه؟ منا حكيت لك كل حاجة

- متفقتوش هتتقابلوا تاني إمتى؟

- لا خالص

- مش مهم، كله جاي في السكة، إنما قولي لي

- هاااه

- إيه أكتر حاجة عجبتك فيه النهاردة.

- بصي هجاوبك بصراحة يمكن تطلقي سراحي

- قولي

- هدوؤه يا سلمى، كل حاجة فيه بتنطق بالثقة والسلام، كل توتري كان بيصطدم بهدوءه اللي كان بيبعتهولي كأنه رسالة من عنيه لعنيا علشان أهدى أو

أتعدِي منه، يمكن لأني عشت تجربتي مع "أكرم" في توتر وقلق وصراع طول الوقت فبقى كل أملي في الحياة السلام والهدوء

- بقى ده اللي عنيه قالتهولك
- آه
- وقالت لك إيه كمان
- مين
- عنيه
- عنيه؟! اسكتي يا "سلمى" اسكتي
- منا ساكتة أهه بسمعك
- لا خلاص انتهينا وحكيت لك كل حاجة
- ليه ما كنا لسًّا بنكمل مع عنيه
- لا ما فيش كمالة خلاص يلا من غير مطرود
- ماشي يا ست "غرام" خدامين أبوكم إحنا
- إخص عليكِ يا "سالومي" دا أنتِ تعبك مع الولاد فوق راسي
- قلبي يا رب بتدخليلي من ثغراتي
- هههههههههه
- يلا هروح آخد بناتي وأرحل
- وأنا هغير هدومي وطالعة لولادي علشان أنيمهم
- تصبحي على خير يا روحي
- تلاقي الخير حبيبتي

تغلق باب غرفتها وراء صديقتها وتتجه من فورها ل "الكومود" المجاور لسريرها فتخرج من درجه الدفتر الخاص بمذكراتها والقلم لتفتح صفحة جديدة به وتكتب:

((ربما لا تكون الأنثى بداخلي على استعداد لأن يوقظها أحد بعد فهي لا تزال تتألم وتخاف وتحذر، لكن ثمة بئر من العسل قد صادفتها اليوم، عميقة بلا قرار جذابة تنادي بلا صوت، لا أدري ماذا سأفعل سوى الركض بعيدًا بكل ما قد أوتيت من قوة فالخوف أقوى والوجع القديم وحش نائم لا أود إيقاظه))

تغلق المذكرات وتسمع صوت أطفالها ينادون عليها فتشرع في خلع ملابسها سريعًا هاتفة:

- "جاية حالًا حبايبي".

*****

الوحيدة

- آلو، أيوه يا "رومة".

- أيوه يا "سلمى" فينك؟

- شكلك رجعتِ م الشغل خلاص

- أيوه يا بنتي، من بدري، بصي في الساعة

- معلش مش مركزة خالص

- ليه حبيبتي، خير؟

- أميرة محتاجالنا، محتاجين قعدة فورية معاها

- وما له، نقعد، بس أنتِ قلقتيني فيه إيه؟

- والله ما أعرف يا بنتي، أنا أمي عندي من إمبارح وجيالي بخناقة مع "سعيد" أخويا ومراته وعلى آخرها، و"حسن" كان هنا كمان مش نبطشية في الشغل والبنات وليلة سعاتك، لقيتها باعتالي واتس آب بالليل وأنا مفحوتة في المطبخ بعمل عشا للقبيلة وبهدي أمي اللي قاعدة لي وعمالة تحكي لي على مرات "سعيد" وتزعق ...

- يا لهوي، إيه كل ده؟

- أزيدك م الشعر بيت يا ست الستات، كمان أول يوم "بيريود" وضهري مموتني ورغم كدا واقفة بعمل اللي ورايا أسد يلا فيه إيه ولا نطقت..

- أسد غلبان والله يا "سلمى" الله يعينك أنتِ جبل.

- ولا جبل ولا بتاع أديني شغالة دفع ذاتي زي كل الستات يعني إحنا كلنا كده، المهم ..مردتش طبعًا على الواتس بتاع الهانم

- ياختاااي

- أيواا، اسم الله عليكِ نبيهة، الهبل العادي بتاع أميرة، كأني واحدة فاضية قاعدة لها ولازم أرد في التو واللحظة

- عارفة يا بنتي، عملت إيه؟

- رسايل رسايل رسايل وفويسات وكده برضو، ومبترديش ليه، وكده برضو تسيبيني وترجع تندب وتعيط وأنتِ صاحبتي ولازم تقفي جنبي

- أووووف

- لعّبتني كل الألعاب والله يا "غرام" يعني كلام عادي ما جابش، خناق وزعيق مجابش طب نعيط بقى ونبتز عاطفيًّا، أنا تعبت

- والله أنا تعبت لك يا "سلمى"، قولي لي في الآخر طلعت عايزة إيه؟

- هو بالساهل كده، ساذجة أنتِ وربنا.

- مش فاهمة يا "سلمى".

- يا ستي أنا خلصت عمايل العشا وسمع أمي وحل مشكلة مرات أخويا واتصلت بالمزغودة واتفقت معاها تجيب "سعيد" عند ماما ويستسمحوها على الموقف البايخ اللي هما عملوه

- حلو، وبعدين؟

- وحميت عيالي ونيمتهم وحضرت لسي "حسن" القهوة والمكسرات ودخلت أمي تنام وسمعت شوية رغي على الماشي كده، كل دا خلص حوالي ٣ الفجر

- يا خبر! كل دا وأنتِ تعبانة

- والله ما بشتكي يا بنتي، أنا بحكي لك عادي علشان تفهمي الدنيا مشيت إزاي

- كملي

- كانت وصلت ٣ الفجر يا بنتي قلت لأخونا الشيخ "حسن" عفوًا إحنا خارج الخدمة وأخدت مسكن وع السرير عِدِل، ما كنتش شايفة قدامي

- أقل واجب

- صحيت الصبح ناسية اسمي أصلًا والله يا "غرام" فطرت الراجل الشقيان علشان يروح شغله وفطرت العيال وأمي كمان وخلصت شوية حاجات وبعدها قعدت أشرب قهوتي ومسكت الموبايل بفتح الواتس علشان أرد على المجنونة اللي بهدلتني رسايل واتصالات

- وبعدين إخلصي

- عينك ما تشوف إلا النور، مفهمتش ولا كلمة منها فاتصلت وقعدت ييجي نص ساعة أسمع تأنيبها إني ما كلمتهاش وحاجة آخر غم لحد ما ربنا كرم وعرفت أفسر كلمتين من كلامها الهستيري

- هاااااه

- طليقها إتجوز ياختي

- نعم؟

- آه وربنا، زي ما بقول لك كده

- طب ما يتجوز، هي ما لها؟

- ما لها؟ أنتِ بتهرجي يا "غرام"

- أنا اللي بهرج برضو؟ هي كانت لسَّا بتحبه ولّا إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة

- طبعا يا "غرام" بتحبه وكانت متعشمة يرجعوا

- هو طلب منها كده؟

- لا طبعًا

- أومال إيه؟
- معرفش بقى بتقول دا كان كويس معايا وكلام فاضي من دا كتير
- أستغفر الله العظيم يا رب، طب إيه؟
- لازم نروح لها علشان الوضع صعب
- هي عند مامتها؟
- آه
- طيب هكلمها تيجي هنا عندي، علشان نعرف نتكلم معاها يا "سلمى"
- شايفة كده؟
- آه طبعًا، عند مامتها لا هنعرف نقعد ولا هنعرف نتفاهم معاها
- ماشي يا "رومة"
- المهم أنتِ يا أم البنات، هتعرفي تنزلي
- آه طبعا، هسيب البنات لأمي وأنزل، ما ينفعش نسيبها
- أصيلة يا "سالومي"
- يلا كلميها واطلبيني أنزل لما تيجي
- فل حبيبتي
- سلام

*****

تجعلنا الوحدة أسرى خيالاتنا ورغباتنا

تجعلنا الوحدة نتوهم أشياء كثيرة ونصدق أشياء أكثر!!

الموهومة

تضع "غرام" صينية القهوة والشوكولاتة على المنضدة التي تتوسط حجرة المعيشة بمنزلها موجهة نظرات عتاب لصديقتها "أميرة" ومبادرة إياها:

- هو أنتِ مش هتبطلي جنان يا ست "أميرة" أنا تعبت من كتر ما بصالحك على "سلمى"

- ما هي ما بتردش عليا على طول وأنا زهقت منها

- يا "أميرة" اعقلي والنبي، ما حدش أسير حد يا بنتي وكل واحد وظروفه، أنا خلاص ما عنديش أعذار أقولها ل"سلمى" علشان تبطل تقفش منك

ترمق "أميرة" صديقتها "سلمى" مردفة:

- ما هي مش بتعبرني ولا بتقف جنبي في وقت أزمتي

- والنبي سيبي الغلبانة في حالها دي مفحوتة زيها زينا كلنا ويمكن أكتر، وبعدين تعالي هنا، أنتِ مبتتصليش بيّ أنا ليه؟ يعني بعتّي ل "سلمى" ملقيتهاش متصلتيش بيّ ليه يا بنتي؟

- مممم ما هو بقول "سلمى" غيرنا يعني موجودة و ءءءء

تقاطعها "سلمى" بتحفز:

- قصدك مبشتغلش؟

- مممم آه قصدي موجودة يعني

- إيه اللي بتقوليه دا يا "أميرة"، "سلمى" مبتقعدش يا بنتي، دي مش تعبانة وهلكانة في الدنيا زينا، لأ.. يمكن أكتر مننا كمان، أنتِ فاكرة تفرغها لبيتها دا مريحها زيادة عننا، متهيأ لك.

تنفعل "سلمى" محدثة أميرة:

- هو أنتِ علشان قاعدة ف البيت فاضية تبقى فاكرة كل اللي قاعدين فاضيين زيك، ما فيش تقدير لظروف حد؟!

تتدخل "غرام" لفض الاشتباك موجهة حديثها للصديقتين:

- بنات، إهدوا لو سمحتم، إحنا مش جايين نمسك في بعض، إحنا جايين نشوف أميرة ما لها، وعلى فكرة يا أميرة، دا بترتيب من "سلمى" اللي هي لو مش مهتمة بيكي ما كانتش شغلت بالها وعندها ميت عذر يشغلها

- أميرة: أنا ءءءء

- غرام: أنتِ إيه؟ ممكن تحكي اللي حصل بشويش وتاخدي بق قهوة كدا وتهدي.

وكأن كلمة "تهدي" كانت تعويذة لعكسها إذ تنهار "أميرة" باكية فجأة وتتحدث من خلال دموعها:

- "يوسف" إتجوز يا "غرام" أنا مش مصدقة اللي جرالي، أنا حياتي انتهت خلاص، أنا ما ليش لازمة في الدنيا دي".

تربت الصديقتان على كتف صديقتهما وتردف "سلمى":

- بس يا بت يا هبلة إيه اللي أنتِ بتقوليه ده، هو علشان فيه تجربة باظت نبقى وحشين وكل الدنيا ضلمة؟

- أميرة: كان هيرجع لي يا "سلمى"

- سلمى: مين اللي قال لك بس إنه كان هيرجع لك؟ فهميني.

تجيب أميرة وسط دموعها:

- الفترة الأخيرة بقينا بنتكلم في التليفون وكان هدي وبيتكلم معايا كويس.

- غرام: كان بيطلبك يا "أميرة"؟

- أميرة: تفرق يعني؟

- غرام: حبيبتي ردي عليا

- أميرة: لا أنا اللي كنت دايمًا بكلمه، بس دا عادي علشان شغله أنا فاهمة.

- غرام: وعرفتِ منين إنه عاوز يرجعك؟

- أميرة: بقول لك كان بيكلمني كويس قوي يا "غرام" مش زي وقت ما اتطلقنا

- غرام: قال لك عايز نرجع؟

- أميرة: لا ما قالش بس كان هيقول يا "غرام".

- غرام: وعرفتِ منين؟

- أميرة: بقول لك كنا بنتكلم كويس قوي وطلبت منه يعمل لي خدمة وعملها، كل دا ما يقولش إننا كنا هنرجع وإنه أكيد "ريهام" اللي اتجوزها دي ضحكت عليه وأكيد فيه حاجة غلط، حتى ماما قالت لي كده

- غرام: سيبي كلام ماما على جنب دلوقتي واسمعيني

- أميرة: قولي.

- سلمى: تقول إيه، ما الحكاية واضحة أهه يا بنتي، أنتِ غاوية تعذبي نفسك وتضحكي عليها، "يوسف" ما جابش سيرة رجوع علشان ما كانش في دماغه.

- أميرة: لأ، مش صحيح، أومال كان بيرد عليا ليه؟ وبيتكلم معايا كويس ليه؟ وبيسمعني ليه، أكيد علشان وحشته وعلشان بيمهد علشان نرجع.

- غرام: أميرة، اسمعيني يا حبيبتي، "يوسف" متجوزش فجأة، "يوسف" كان خاطب الأربع شهور اللي فاتوا دول

- أميرة: لأ، كذب، هو مقاليش حاجة من دي

- غرام: لا مش كذب يا حبيبتي، أنا سألت طنط "سميرة" وقالت لي كده، وهو مقالكيش علشان هو مش مجبر يحكي لكل الناس قصة حياته

- أميرة: كل الناس! أنا ناس

- غرام: أيوه يا "أميرة" بعد طلاقكم خلاص انتهينا مش مجبر يحكي لك أي تفصيلة من تفاصيل حياته.

- أميرة: أومال كان بيتكلم معايا ليه؟ وبيرد عليا ليه؟ ويكلمني بالرقة دي ليه؟

- غرام: حتى لو كان اللي بتقوليه دا حصل فعلا، فدا ما يخليكيش تتوهمي إنه عايز يرجع أو إنه لسًّا بيحبك أو أو

- أميرة: أتوهم!! حرام عليكِ، دا كل حاجة كانت واضحة.

- سلمى: هي إيه دي اللي واضحة يا بنتي حرام عليكِ نفسك، هو أنتِ علشان الراجل كان بيتعامل معاكِ بتحضر يبقى خلاص لسًّا بيحبك ونسي الخلافات وعايز يرجع؟

- أميرة: تحضر؟!

- غرام: أيوه يا حبيبتي، طليقك ابن ناس ووقت طلاقكم ما شفناش منه أي حاجة وحشة، آه كان فيه شوية عصبية بس أنتِ كمان كنتِ على آخرك يعني الجنان كان متبادل، بس واضح إنه لما هدي والكام شهر دول عدوا رجع لطبيعته وبقى بيتعامل معاكِ عادي، زي قبل جوزاكم يا "أميرة"

- أميرة: لأ، أنا مش بالعة الكلام دا خالص، "ريهام" عملت له عمل قلبه عليا فجأة، دا إحنا من أسبوعين قعدنا نتكلم ييجي ساعة في التليفون وهزار وضحك لحد ٢ الفجر

- غرام: قال لك عايز أردك؟ قال لك نرجع؟

- أميرة: الكلام دا يتحس

- سلمى: لا يا حبيبتي دا مش من ضمن الحاجات اللي تتحس، دا كلام يتقال عند مأذون يا ستي، وطالما ما قالش يبقى ما كانش فيه موضوع من أصله، عملتِ في نفسك كدا ليه فهميني.

تنهار "أميرة باكية فتربت "غرام" على كتفها مردفة:

- "أميرة" حبيبتي، اللي حصل حصل خلاص، النهاردة كأنه بداية جديدة ونقفل على كل اللي فات، تجربة وعدت ونتعلم منها، وقت ما حصل الانفصال عرضت

عليكِ أشوف لك شغل أو إنك تكملي ماستر في جامعتك قلتِ لي لأ مش وقته وقلت بترتاحي

- أميرة: كنت فاكرة إننا هنرجع لبعض لما "يوسف" يهدى ويبجي يعتذر لي.

- غرام: حبيبتي الرجوع من عدمه دا حاجة بتاعة ربنا مل لناش دخل فيها، أنتِ دلوقتي عندك حياة لازم تهندليها كويس، لازم تعيشيها يا "أميرة" أنتِ لسًّا عايشة وءءء

- أميرة: أنا حياتي انتهت يا "غرام"

- سلمى: بطلي هبل بقى دا أنتِ زي القمر وألف راجل يتمناكِ، مش معنى أنك متوفقتيش في جوزاتك الأولانية إن حياتك انتهت بلاش هبل وحياة أبوكِ.

- غرام: حبيبتي يا "أميرة" اسمعيني، إحنا محتاجين نهدى ونبتدي نخطط لحياتنا، سامعاني، ناوية على إيه، عايزة توصلي لإيه، فاهماني؟

- أميرة: والجواز، تفتكري أنا هتجوز تاني يا "غرام"؟

- غرام: والله بكره دا بتاع ربنا يا قلبي هو وحده العالم فيه نصيب تاني ولّا لأ.

تنكز "سلمى" كتف "غرام" مردفة بضحك:

- يا ست القطر اللي محدش بيعرف يوقفه الملافظ سعد إدي البنية شوية أمل

- غرام: هو أنا قلت لها أنتِ مش هتتجوزي، والله ما أعرف، بس كمان مقدرش أديها أمل كذاب، لازم تبقى فاهمة إن كل الاحتمالات قائمة وإن الجواز حتة من الحياة، جزء مش الحياة كلها واللي مش متجوزين ستات كانوا ولّا رجالة عايشين ومنهم ناس زي الفل مشرفين لنفسهم وللمجتمع وأي حد يتمنى يكون في دايرتهم

- أميرة: أديكي قلتِ (في منهم ناس زي الفل) يعني مش كلهم، مش كلهم عايشين طبيعيين

- غرام: آه طبعًا مش كلهم، لأن اللي اتدمروا من تجربة متوفقوش فيها وكملوا متدمرين مقرروش يساعدوا نفسهم أو يتعافوا، لأ.. قرروا ينهاروا ويستسلموا،

تاني، الجواز جزء من الحياة ونصيب وحاجة بتاعة ربنا زي كل حاجة في الدنيا ممكن يكون لنا نصيب فيها أو لأ، ولو ما لكيش نصيب تتجوزي تاني يا "أميرة" فليكي نصيب تعيشي، ليكي نصيب تنجحي، تساعدي نفسك وتساعدي غيرك، تعيشي يا "أميرة" تعيشي.. فاهماني؟

ترمق "أميرة" صديقتها بعيون باكية فتحتضنها صديقتها وتردف "سلمى":

- من بكره ما فيش قعدة في البيت ولا هري على الفيسبوك ولا الغم ده، البت "غرام" دي عندها حق بصراحة، إحنا نحط خطة يا ست "أميرة" وتمشي عليها، وأنتِ يا ست الفيلسوفة تشوفيلها شغل متدلع كدا معاكِ ولّا في أي حتة خلينا نخلص من غمها

- أميرة: أنا غم يا "سلمى"؟

تحتضنها "سلمى" مردفة:

- يا بنتي بهزر يا بومة بطلي قفش بقى، وحياتك لا تروق وتحلى وهتبقى زي الفل.

تبعد "أميرة" رأسها من حضن صديقتها مردفة:

- وأتجوز يا "سلمى"؟

تحدق "سلمى" و"غرام" بوجه أميرة الباكي ثم تنفجران بالضحك، وتردف "سلمى" :

- وتتجوزي يا بومة، دا أنا م النجمة هدور لك على عريس علشان أخلص من زنك.

تستمر ضحكات الصديقات الثلاث وتتسع ضحكة "أميرة" شيئًا فشيئًا حتى تهدأ وتتطلع للشباك المفتوح بغرفة معيشة منزل "غرام" وتحدث نفسها متمتمة: "ياا رب".

*****

فاتورة سابقة

حانت من "محمود" التفاتة لساعة الحائط القديمة التي تحتل حائط غرفة المعيشة الكبيرة بمنزل والدته، غلبه ضيقه وهو يعاود النظر إلى شاشة هاتفه حيث لم يجد إجابة على اتصالاته ب"غرام" طوال ساعتين منذ العاشرة مساءً، اختلست والدته النظر إليه من المطبخ المفتوح وبادرته:

- أحضر لك العشا يا حبيبي

- لا حبيبتي شكرًا أنا هخلص مكالمات وهنام علشان عندي شغل بدري الصبح

- هتنام من غير ما تتعشى! يعني يوم ما تبات عندي ما تاكلش يا بني؟ ما لك يا حبيبي إيه اللي فيك؟

يعاود محمود الاتصال مرة أخرى ويجيئه صوت "غرام" أخيرًا عبر الهاتف فيخرج للشرفة ويشير إلى أمه بأنه سيتحدث في الهاتف.

- إيه يا "غرام" أنتِ فين؟

- إيه؟ فيه ايه؟

- ما بترديش على تليفونك من ساعتين.

- معلش كان سايلنت ولسَّا فاتحاه حالًا

- ولما فتحتيه حالًا مشفتيش اتصالاتي بيكي؟

- شفتها يا "محمود" وكنت هطلبك لما أروح البيت

- لما تروحي؟! أنتِ بره؟

- آه أنا مع "سهام" و"منة"

- وإيه اللي أخّرك كده؟

- فين التأخير؟ المول كله فاتح وشغال مش بس الريستوران اللي احنا فيه.

- متأخر برضو

- لا مش متأخر ولا حاجة

- لا متأخر، خلصتِ عشا؟

- آه خلصنا

- طيب خليكِ عندك هاجي أروحك

- تروحني؟! أنا بعرف أسوق على فكرة

- هجيلك ونركن عربيتي في جراج المول وأوصلك

- وليه كل ده؟ أنا هروح

- الوقت متأخر

- يووووه الوقت مش متأخر وأنا مش طفلة صغيرة ومحدش يقدر يتعرض لي

- وده إزاي إن شاء الله؟ هيخافوا منك مثلا؟ يا بنتي أنا خايف عليكِ أنتِ فيه إيه؟ إيه مشكلتك؟

- أنا مش عيلة صغيرة يا محمود ولو أنتَ شايف اننا في مجتمع جبان هيستغل فرصة إني لوحدي فتأكد إني بعرف أحمي نفسي كويس.

- يا ربي على الدماغ

- أفندم؟

- أفندم إيه وبتاع إيه؟ يخرب بيت الأفكار اللي في دماغك دي يا شيخة.

- مش فاهمة يعني هو أنا بتكلم غلط؟

- أنتِ هتديني محاضرة في فساد المجتمعات وتغولها على النساء الضعيفات على المسا، براحتك يا ماما روّحي وقت ما تحبي كمان يلا مع السلامة.

يغلق الهاتف وقد احمر وجهه من الضيق، يلقي الهاتف على أقرب مقعد ويستنشق هواء الليل ولا يشعر إلا بيد أمه تربت على كتفه فيلتفت لها:

- عمالة أنادي عليك وأنت ولا هنا في دنيا تانية.. اشرب كباية العصير دي وقل لي ما لك يا حبيبي؟

- ما فيش يا ماما، شوية هبل كدا وأنا هعرف أتصرف

- متأكد؟

- آه ما تقلقيش

- لو مش مرتاح يا بني متفضها سيرة، دا أنتِ ابن عمري اللي ما فيش زيه واللي تتمناه أحلى بنت بنوت

- ماماااا مش هنعيده تاني والنبي

- لا نعيده علشان شايفاك مش مبسوط يا حبيبي

- وغلاوتك عندي ما فيش حاجة

- يا بني دا أنتِ بتاكل في نفسك ومش على بعضك

- أبدًا صدقيني

- حيّرتني يا ولا

- ولا حيّرتك ولا حاجة بقولك بسيطة

- بسيطة إزاي فهمني

- أفهمك، "غرام" متعورة من اللي فات ومتخيلة إن دا هو رد الفعل الصح مع الدنيا.. الدراع والصوت العالي وجر شكل أي راجل

- إيه؟!!

- اصبري بس

- صبرت.. قول

- هي شايفة أما تبقى راجل في تصرفاتها دا هيحميها من المجتمع والناس وبلا بلا بلا غير انه هيديها إحساس بالانتقام من المجتمع اللي ياما نصر واحد حقير زي ابن الجزمة "أكرم" عليها

- وبعدين؟

- ولا قبلين.. واحدة ست شافت أذية كتير في حياتها حلها انها تتطمن لحد ما تصدق وتبصم بالعشرة إن صوابعها مش زي بعضها وإن راجل زفت فيه غيره زي الفل، ساعتها بس جرحها هيدبل وهترجع لأصل قلبها الطيب وفطرتها السليمة، يعني هترجع ست طبيعية

- عليك من دا بإيه يا بني، مبقالكش كام شهر يعني في القصة دي، قصدي أنتَ لسَّا على البر!

- بحبها يا أمي، قلبي متعلق بيها وبحنيتها وبطيبتها اللي بتداريها، خطفتني من أول مرة شفتها فيها، وإحساس الخطف دا اتأكد لما عرفتها، في الأول كنت بتفرج عليها من بعيد، حاطط إحساسي دا على جنب وقاعد بتفرج عليها هي، بعد فترة عرفت أنا ليه اتخطفت كدا لما شفتها، علشان حسيتها يا أمي، حسيتها قوي، روح حيرانة هايمة في الدنيا دي ومش عاوزة ترسى على بر، روح طيبة ونضيفة بس مجروحة

- ما هو دا قصدي يا بني هو دا مربط الفرس في كلامي.

- بصي يا أمي، ما حدش بياخد حد "متعور" من جرح قديم إلا ويمضي على نفسه تعهد إنه يطمنه وميصحيش الجرح دا تاني أبدًا.. ما فيش ست ولا راجل بيرتبطوا بشريك عنده تجربة سابقة إلا ويكون عارف انه مع شخص عنده رواسب وأفكار وأوجاع محتاجة تتداوى وتندفن والحب والأمان هما اللي بيدفنوا القديم

بلا رجعة، وغرام كويسة صدقيني وبتحبني أكتر مما أنا بحبها أنا عارف.. هي بس بتلوش شوية بس بتقاوم وأنا حاسس بيها ومش قلقان.. هترجع وهتهدى و....

تضئ شاشة الهاتف باسم "غرام" فيلتقطه سريعًا ويجيب:

- آلو

- أيوه يا "محمود"

- أيوه؟؟!!

- ءءءء أنا كنت

- كنتِ إيه؟

- أنا آسفة

- أنتِ فين؟

- أنا لسًّا في المول، ممكن تيجي

- آجي ليه؟ أنتِ مش سبع رجالة في بعض وبتعرفي تروحي لوحدك وما حدش في المجتمع المتعفن يعرف يتعرض لك؟

تصمت، ولا يجيبه سوى صوت صمتها فيستطرد:

- ربع ساعة أكون عندك ما تتحركيش من مكانك

- حاضر

يشير إلى أمه على الهاتف ويعدل من هندامه في خيلاء بآداء مسرحي ساخر ثم يقفز من مكانه ليقبل جبين أمه ويدها ويلتقط مفاتيح سيارته ليطير حرفيًّا من أمامها..

تبتسم الأم متأملة أمر ولدها ثم تتمتم "لعله خير"

*****

يغلق "محمود" سيارته بجراج المول ثم يركب سيارة "غرام" وينطلق بها صامتًا

- أنتَ ساكت ليه من ساعة ما جيت؟

- عادي

- لا، أنتَ لسًّا زعلان مني؟ أنا قلت آسفة.

يتوقف "محمود" على جانب الطريق ثم يلتفت لها:

- آسفة على إيه؟

- آسفة إني كلمتك بسخافة وانت شكلك لسًّا زعلان.. ساكت ليه؟

- ساكت علشان لو اتكلمت أنتِ هتزعلي؟

- وأهون عليك؟

- مممم والله أنا اللي هنت عليكِ تكوني سخيفة قوي كدا معايا، وبعدين قولي لي إيه اللي خلاكي تغيري رأيك وتطلبيني؟ مش شاطرة وبتعرفي تروحي لوحدك وبتعرفي تسهري برا لوقت مش متأخر زي النهاردة؟!

- "محمود" كفاية

- وكفاية ليه ما تفهميني عايزة تثبتي إيه ليا ولّا لنفسك؟ ردي على سؤالي غيرتي رأيك وكلمتيني ليه؟

يصطبغ وجه غرام باللون الأحمر ثم تجيب:

- حسيت إني كنت سخيفة قوي معاك وإني هبقى متطمنة أكتر لو جيت روحتني، وإني ما عملتش أي حاجة فرقت معايا بخروجي مع "سهام" و"منة" كل يوم لوقت متأخر.

تتلألأ دمعة عصية تأبى أن تسقط بعينيها التي تزداد جمالًا بهذا اللمعان المفاجئ فيقاطعها مردفًا:

- ولّا حسيتي إن لحظة واحدة تحسي فيها بالأمان معايا أهم من مليون لحظة تحسي فيها إنك أقوى من العالم دا كله، ردي علي؟

تشيح بنظرها عنه صامتة فيستطرد:

- ردي عليا.

- في الحقيقة لحظة أمان واحدة معاك ممكن تخليني أقوى فعلًا.. أقوى للأبد.

يلتقط "محمود" يدها ليقبلها بحنان ثم يربت عليها مستطردًا:

- بصي يا بنت الناس أنا فاهم كويس كل اللي مريتي بيه قبل كدا بس أرجوكي.. أرجوكي علشان خاطري، وأنتِ بتحاسبي الدنيا على غباوتها القديمة معاكِ ما فيش داعي أكون أنا من ضمن اللي بيدفعوا الفاتورة.. بلاش أنا علشان أنا مستاهلش منك كده

- أنا آسفة، أنت آخر حد يستاهل أي شيء وحش في الدنيا دي.. سامحني

- مش منتظر أسفك.. مش عايزه ولا لازمني

تحملق به في تساؤل!! فيستطرد

- عايزك توزني تصرفاتك الأخرانية دي وتفكري أنتِ عاوزة إيه بالظبط، وبعدين تشوفي اللي بتعمليه هيوصلك للي عاوزاه ولّا لأ؟

- أنا ءءءءء

- متردیش ومتعتذريش، فكري واوزني الأفعال وبس، منيش عيل صغير هيفرفر م السعادة علشان بتعتذريلي ولّا بتقوليلي إنك رجعتي في كلامك علشان بتحسي

بالأمان في وجودي، كل دا يفرح وكل حاجة بس أنا عاوزك توزني تصرفاتك مع الدنيا كلها مع حياتك كلها مش معايا أنا بس.

تنتظم أنفاسها في هدوء شديد وهي تستمتع إليه في صمت وهدوء فيربت على يدها مستطردًا:

"الراجل الصح هو اللي يعلم الست بتاعته إزاي تعيش صح وتتصرف صح، مش قائد وقوّام على الفاضي يا ست انتي"

ترتسم على وجهها ابتسامة راحة.. تتأمله في صمت وتتردد في عقلها كلمة واحدة تسيطر عليها وتشعر بها:

"المرفأ"

*****

التائه!

في سرعة أحكمت "غرام" حزام الروب الخاص بها وهي تتجه نحو باب الشقة لدى سماعها دقات الجرس في موعد اعتبرته متأخرًا حيث وضعت "وعد" و"أحمد" بالفراش واستعدت لفترة الاسترخاء المسائية.

في دهشة أبعدت وجهها عن عين الباب السحرية مغمغمة: "شهاب!! غريبة" لتفتح باب شقتها مبادرة شقيقها:

- أهلًا يا "شهاب" خير يا رب؟ ماما كويسة؟ ولادك بخير؟

في ارتباك تقدم شقيقها وعلامات الحيرة تبدو على وجهه مجيبًا إياها:

- بخير الحمد لله ما تقلقيش، كله بخير.. أنا قلت بس آجي أشوفك.

- تشوفني! آآآ.. اتفضل.. تشرب إيه؟

- مش عايز أتعبك يا "غرام"

- لا خالص دا أنتِ نورتني، تعالَ اتفضل هنا في الكنبة اللي قريبة من المطبخ حالًا هعمل كوبايتين شاي بالنعناع زي ما بتحب وأجيلك نتكلم، شاى بالنعناع.. تمام كده؟ لسًّا بتحبه؟

- أحبه؟!

- أيوه، أنا عارفة إن دا مزاجك

- أي حاجة يا "رومة" أي حاجة

- إيه نبرة الاستسلام اللي في صوتك دي؟ ثواني ورجعالك

في سرعة تعود لشقيقها حاملة أكواب الشاي بالنعناع الطازج الذي تملأ المكان رائحته فيتأمل "شهاب" الأكواب في هدوء غريب مما يدفع "غرام" لمعاودة سؤاله:

- أنتَ بخير يا "شهاب"؟ ما لك يا حبيبي؟ مش بعادة يعني انك ءءء قصدي ءءء

- كملي.. كملي كلامك.. مش بعادة أجيلك فجأة ولوحدي ومش مع "منال"

- هو أنا مش قصدي بس أنتَ ولا حتى بتيجي مع "منال" احنا في العادة لو اتقابلنا بنتقابل عند ماما، على كلّ أنتَ أخويا.. فهمني، إيه اللي فيك، اتفضل شايك، بشويش كدا فهمني ما لك؟

يرتشف "شهاب" رشفة من الشاي الساخن ويغمض عينيه باستمتاع ثم يفتحها مردفًا:

- ياااه.. مشربتش شاي بالنعناع لذيذ كدا زي بتاعك من ساعة ما سبتي البيت واتجوزتي "أكرم"

- والنبي افتكر لنا حاجة حلوة

- آسف، مش قصدي

- وبعدين هي "منال" مبتعرفش تعمل كوباية شاي بالنعناع؟!!

- "منال".. بتعرف.. بس مش مهتمة

- مممممم.. ليه مش مهتمة؟ سامعاك

يترك "شهاب" كوب الشاي من يده ويتكئ على جانب الأريكة مردفًا

- ولا مهتمة ولا فارق لها، دي الحقيقة..

- إزاي بس، أنتم متجوزين عن حب يا حبيبي

- صحيح.. أنا اتجوزتها عن حب، أنا حبيتها، لكن هي.. مظنش.

- إزاي الكلام ده؟ أومال اتجوزتك ليه؟

- بالعقل يا "غرام"، "منال" إتجوزتني بالعقل.. شافت فيا زوج مناسب فاتجوزتني.

- يعني ما حبتكش؟ طيب وبعد الجواز؟

- مقدرش أقولك حبتني أو ما حبتنيش، "منال" زوجة ممتازة وشخصية قوية وحساباتها مختلفة عننا

- بسألك عن الحب يا "شهاب" عن المشاعر..

- منا مش عارف، دايمًا كانت تقولي أنا ما ليش في "مُحن الستات" وأنا كنت بقولها "أنا فرحان بيكي كده".. كنت شايفها شخصية قوية وسند وراجل من ورا ضهري يشيل عني

- يشيل عنك زي ما ماما كانت شايلة قبل ما تتجوز؟

يطرق برأسه مردفًا:

- يمكن.. ما عنديش حيل للمناهدة معاكي

- مش بناهد.. أنت تعبان.. واضح قوي.. وأنا عايزة أساعدك ومش هساعدك إلا بأني أفهم الحقيقة.. كمل وبعدين؟

- ما فيش بعدين، أنا بعترف إني حمّلتها كتير، ورميت عليها حاجات كتير، لحد ما بمرور الوقت بقت هي اللي بتاخد القرارات وبتعمل أغلب الحاجات

- بدون ما ترجع لك؟

- في الأول كانت بترجع لي، بس تعرفي.. كنت بحسها محضرة القرار أو الرأي الصح مسبقًا وبتمثل إنها جاية تستشيرني أو تاخد رأيي، ولما كنت بقول حاجة مختلفة كانت بتستميت في إنها تقنعني برأيها وكنت بمشّي الدنيا لأني مش عايز مشاكل ومستفيد إنها شايلة عني

- وبعدين؟

- ولا حاجة، تقريبًا قررت تبطل تمثل ومبقتش بترجع لي أصلًا، حتى في الحب أو المشاعر.. في الأول كانت بتحاول تظهر التجاوب معايا أو حتى تمثل شوية دلع من بتوع الستات، بس بعد شوية بقيت عايش مع راجل لابس واحدة ست حرفيًّا

- نعم؟

- زي ما بوصف لك كده، راجل.. قاسي.. ما بيفكرش إلا في نفسه وفي رغباته.. الحب بالنسبة له دلع والرقة "محن" والستات اللي في التليفزيون ولّا حتى حوالينا دول "نسوان هرموناتهم قايمة عليهم" حتى أنتِ ءءءء

- ما لي؟ هههههه.. كمل

- أنا أسف.. مقدرتش أحكم لساني

- خالص يا حبيبي.. فضفض وسمّعني.. أنا سمعاك وقابلة أي كلام

- سامحيني.. أنا قصدي حتى أنتِ لما اتفجرت مشاكلك مع "أكرم" بالشكل ده كان رأيها إنك "هبلة" وإن ما فيش راجل يستاهل تعملي في نفسك كدا وانك "خِرعة"

- "خِرعة"؟!!

- قصدها يعني مرهفة وملكيش في التحمل وكده

- ما علينا، لو كنا زمان كان زماني عاملة "مناحة" على كلام مراتك ورأيها فيا، إنما دلوقتي أنا بقاوم الضحك بصراحة مراعاة للحالة النفسية اللي أنت فيها.. كمل كلامك.. فين المشكلة؟

- "غرام" أنا عايز أطلق "منال" ومش عارف

- مش عارف؟!!!

- مش قادر

- قبل مش عارف ولّا مش قادر.. أنت عايز تطلقها ليه؟ هو مش أنت اللي شيلتها المسئوليات علشان تريح دماغك؟ مش أنت اللي لقيت فيها امتداد ل"ناهد" أمّنا اللي عيشتك بدون مسئوليات؟

- غرام

- بشويش بس ومتوقفش المكاشفة اللي احنا فيها

- أنا مش قادر أكمل كدا ومش قادر أوقف الحياة دي، أنا محتاج ست يا "غرام" أنا ٤٣ سنة وخلاص مش قادر على العيشة الجافة دي، محتاج ست بجد و"منال" مش ست.. منال راجل لابس ست مش ست.

- اتكلمت معاها؟

- اتكلمت

- كويس.. وبعدين

- كويس؟!! لا مش كويس خالص.. بعد ما سمعت مني سمعتني كلام سِمّ كله سخرية من كلامي واني في مراهقة متأخرة وان دي أزمة الأربعين اللي مخلياني بشتكي دلوقتي، ما فهمتش أبدًا إنه فاض بيا سنين متحملها ومتحمل طريقتها الناشفة

- ما تنساش إنك أنت اللي حملتها المسئولية وعملت فيها كده.

- لا يا "غرام" ما تظلمنيش.. دي شخصيتها من الأول صدقيني.

- في دي مش هكدبك.. مراتك من لحظة ما شفتها وهي لسانها ما يعلم بيه إلا الله وما فيهاش ريحة اللين، بس قلت في نفسي عاجباك وبتحبها وأنا ما لي.

- بالظبط كده، كنت بحبها ومتحمل.. تعرفي.. من كام شهر لما كنت ابتديت أحس إنها مبترجعليش في أي قرار وفكرت إني لما أبتدي أركز مع البيت وآخد دوري

الطبيعي ثارت علي ودبت خناقة بغضب فظيع عمري ما شفتها فيه قبل كده.. قالت لي إوعى تفكر تعمل كدا تاني

- نعم؟

- أيوه.. لو كنت أنا غلطت إني أحملها كل المسئوليات فأنا بعترف أدامك، بس صدقيني هي لو ما كانتش متجبرة والكبر ما ليها ما كانتش قدرت تتحمل ولا كانت رحبت ولا سحبت صلاحياتي يوم بعد يوم

- الغلط مشترك.. مش هنكر، بس دلوقتي لازم حل.

- أطلقها، بس مش قادر.. العيال.. البيت.. مش عارف أعمل إيه؟

- هو الطلاق بالساهل كدا يا "شهاب" ما كانش حد غلب

- أومال أعمل إيه، أعيش راجل من غير ست؟! مجوز بالاسم بس في الحقيقة أنا عايش مع واحد راجل مش طايقه ساحب مني كل صلاحياتي وحارمني من كل شيء

- هو الحقيقة أنا بفكر في شيء أبعد من كده، ولادك يا حبيبي، ولادك اللي أنت خايف عليهم من الطلاق.. يا ترى هما شايفينك ازاي؟ وشايفين مامتهم إزاي؟ بيتربوا على ايه؟ فكّر كدا تربية ماما ليك خلتك إزاي؟ يا "شهاب" أنت رحت جريت على واحدة كوبي وبيست من "ناهد"، من أمك يا "شهاب" وبتشتكي ودا طبيعي وحقك

- يا غرام ءءء

- أنا مش بلومك يا حبيبي.. أنا بحاول اخليك تشوف الوضع زي منا شايفاه.. شهاب.. بصراحة كده.. أنت فيه ست تانية في حياتك.

- ست تانية؟ والله العظيم أبدًا.. أقسم بالله محصلش، ليه بتقولي كدا متظلمينيش.

- بشويش بس مش مستاهلة حلفان، أنا مش بظلمك أنا بحاول أفهم صدقني.. الحالة اللي أنت فيها دي يا إما نتيجة إنك قابلت نموذج عكس "منال" و"ناهد" وده صحّى الوجع المدفون جواك، يا إما وصلت لدرجة وجع مش قادر تتحمل معاها

- يا "غرام" أنا بحب "منال" بحبها ونفسي تتغير

- مش عارفة أقولك إيه، بس أنتَ قلت بنفسك إن دي طبيعة شخصيتها من زمان، تغيير إيه ده اللي جاي عشمان فيه دلوقتي؟

- أومال إيه الحل

- بص.. الناس بتتغير فعلًا بس لما تتوجد متغيرات تجبرهم على ده، متغيرات من جواهم هما، غير كده.. ما تتعشمش.

- يعني أعمل إيه؟

- والله لو مراتك كانت تسمع منّي أنا كنت اتكلمت معاها، بس أنت فاهم طبعًا، اقترح تروحوا لاستشاري أسرة يا شهاب.. حد غريب عنك وعنها يصارحكم ويبتدي معاكم رحلة الإصلاح على مية بيضة.

- بتقولي إيه؟ وهي "منال" هترضى تروح؟

- اقنعها.. ما فيش حل تاني إلا ده

- أحاول

*****

أتفاجأ بها حين أحدثك..
هادئة.. رائقة.. لا تخاف ولا تحمل همًّا لشيء!
يغلفها هدوءٌ لا يناسب ما تعانيه بأيامها..
واطمئنان يدفع قلقها من فوق حافة جبل الأيام..
ضاحكة بلا سبب واضح..
مستسلمة لابتسامة تغزو ثغرها فجأة لدى سماع صوتك..
أكاد لا أعرفها.. لكني أحبها..
أحب نفسي معك!

علامة

في ترقب وسرعة فتحت "غرام" باب الرستوران واتجهت إلى ركن بعينه وكأنه تعلم وجهتها جيدًا حيث كان "محمود" بانتظارها بملامح جامدة نوعًا فبادرته معتذرة وهي تلقي بحقيبتها على الكرسي المجاور لها على المائدة:

- آسفة.. آسفة قوي الترافيك فظيع النهاردة.

يزفر محمود في ضيق واضح مردفًا:

- منا قلت لك أعدي آخدك من الشغل.. حمدا لله على السلامة.

- معلش بقى سوري مانت عارف.

- لا مش عارف الحقيقة سبب إصرارك إني ما عديش عليكِ آخدك م الشغل

- الشوارع كانت هتفضى يعني لو كنا سوا؟

- لا ما كانتش هتفضى يا "غرام" بس على الأقل كنا هنوصل في نفس الوقت ومش هفضل مستنيكي ساعة وبعدين احنا مش صغيرين ومبنسرقش ومش لاقي سبب لرفضك ده.

- أنا مقبلش حد يجيب سيرتي ومحبش أبقى محط كلام أي حد في شغلي أو غيره وانت عارف دا كويس

- لا برضو مش عارف ومش قادر أتكلم دلوقتي من فضلك اطلبي الغدا حالا يلا.

تتفحصه "غرام" جيدًا فيبدو وجهه قانيًا غير مريح

- هو أنت كويس؟! ما لك فيك إيه؟

- مش قادر أتكلم، اطلبي الأكل.

- حاضر.

تشير إلى النادل أن يحضر وتبلغه بما تريد للغداء لكليهما بخبرة من يعلم اختيارات الآخر جيدا فينصرف النادل لطلب الطعام وإحضاره فيتبادل كل منهما نظرات عاتبة تنطق على إثرها مكررة

- "محمود" أنت ما لك؟ فيك إيه؟

يدلك جبهته ناطقًا في إرهاق:

- تعبان شوية النهاردة انفعلت في الشركة شوية وضغطي عالي

تتسع حدقتها في ذعر

- إيه؟ ضغطك عالي؟ ليه؟ سلامتك؟ إيه اللي ضايقك قوي كده؟ هو أنتَ مريض ضغط؟ طيب ما أكلتش ليه؟ شربت عصير طيب؟ أخدت دوا؟؟؟ رد عليا

يتراجع "محمود" بكرسيه للخلف مبتسمًا لأول مرة منذ ساعات ويردف

- اهدي يا حبيبتي

- أهدى ازاي؟ رد على أسئلتي، شربت عصير؟

- مشربتش ولا أكلت حاجة م الصبح

- برضه كده؟! حسابي معاك بعدين، لازم تشرب عصير حالًا وبعدين نتكلم.

تشير إلى النادل الذي يأتي مسرعًا فتطلب له كأسًا من العصير، يأتيها بها في سرعة كبيرة كما طلبت فيبدأ "محمود" في احتسائها على مهل ثم يأتي الطعام فتشدد عليه "غرام" في إنهاء طعامه سريعًا كي يستطيع أن يأخذ أي مسكن حتى يزور الطبيب، يرضخ "محمود" لكل ما أمرت به وعلى وجهه ابتسامة واسعة مريحة

- أنا مش فاهمة بتضحك على إيه؟ هو أنا بقول نكت من ساعة ما جيت؟

- لا بس ماما في نفسك قوي هاهاهاها

- ماما!! قديمة يعني؟!!

- لأ، جميلة يعني.. مهتمة يعني.. حنينة يعني.. حضن يعني حتى لو مش عارف أقعد جنبك بجد

تصطبغ وجنتاها باللون الأحمر وتبتسم في محبة:

- مش هتقولي ما لك بقى؟ وفيك إيه؟

- ما فيش والله كان يوم سخيف في الشغل و"ياسين" المساعد بتاعي كان عاكك الدنيا وكلفني نزول لمينا السخنة ورجوع بسرعة دا غير النرفزة يعني وقت وجهد وصداع

- أنت نزلت السخنة ورجعت امتى كل ده؟

- آه والله حصل ورجعت على الشركة محيت آثار اللي هو كان عامله وصلحت الموقف مع الراجل الصيني اللي كانت المشكلة معاه وبس انتهى الموقف بس كان خلاص ضغطي علي واتعصبت وفوق ده وده أكلم الست هانم حبيبتي علشان أعدي عليها في شغلها آخدها نتغدى تقولي لا روح أنت وأنا أحصلك، بذمتك ينفع كده؟

- أنت عارف اني محبش حد يتكلم عليّ في الشغل

- "غرام" ما تهربيش من قلب الموضوع، إحنا مش صغيرين ولا أنا قليل علشان أسيب حد يجيب سيرتك وسبق وقلت لك نتجوز وأنتِ قلتِ لي ندّي نفسنا فرصة وكلام كدا أنا مبلعتوش

- دا كان من ءءء

- دا كان من أربع شهور ودا كان بعد خمس شهور بنعرف بعض فيهم عن قرب يعني دلوقتي أربعة وخمسة يعني تسعة يا ستي لو كانت واحدة حامل كان زمانها ولدت دا إيه المرار ده.

تنفجر ضاحكة من مزحته ويستمر هو بالنظر إليها معاتبًا:

- ما تهربيش من كلامي وردّي عليا، مش لو كنتِ وافقتِ على جوازنا كان زمان فكرة حد يشوفنا ولّا حد يتكلم مش واردة؟ ردّي عليا؟ مش كان زمانّا سوا وكان زمانك سايبة شغلك أصلا

- سايبة شغلي؟!!

- ولّا مكملة معايا في شركتي حتى يا ستي لو مصرة تشتغلي؟ صح

- "محمود" أنا قلت لك لازم ناخد وقتنا و ءءء

- وإيه؟

- ونتأكد من قرارنا ومشاعرنا ووو

- كلامك مش منطقي ولا عادي بالنسبة لي وبعد كل الوقت دا سوا وبعد إحساسي ناحيتك وإحساسك ناحيتي اللي حاسه تيجي تقولي لي نتأكد ونتروى كأننا عيال عندنا ١٨ سنة مش ناس ناضجة وعاقلة وعارفة بتعمل إيه في حياتها

- من فضلك افهمني، مش سهل أبدًا أعيد تجربتي.

- ومين قال إنك هتعيديها أنا عاوز أفهم، علميا المدخلات المتكررة بتعمل نفس المخرجات، مش كدا يا ست ولّا أنا غلطان

يجيبه صمتها فيستأنف:

- فهميني فين التكرار في تجربتنا هنا ولّا أنا غلطان في إحساسي وأنتِ ما بتحبنيش وأنا اللي اتسرعت وجريت ورا مشاعري ولّا إيه بالظبط؟

- "محمود" من فضلك بطل ضغط عليا وقلب للمعايير، أنت فاهم كويس حقيقة مشاعري ناحيتك، الفترة اللي فاتت ووجودك في حياتي غيّرت حاجات كتير جوايا مقدرش أنكر بس فكرة أننا نتجوز بسرعة كده...

- بسرعة؟!!

- أيوه بسرعة أنا محتاجة وقت أستوعب إني هكرر تجربة الجواز تاني وأقدر أشارك إنسان الحياة في بيت واحد، أنت مستهين باللي ما حبتش أحكيهولك عن حياتي القديمة

- أكيد لأ، ولا طلبت منك تحكي أكتر من القليل اللي قلتيهولي واللي إداني دليل وفهم للي مريتي بيه، بس مستعجل تبطلي تضيعي وقت وتبتدي حياتك الجديدة

وتديني فرصة أعوضك وأعرفك إن اللي حصل لك دا كان فترة سيئة لا تمثل إلا جزء من حياة طويلة عريضة مليانة حاجات حلوة ونضيفة مستنياكي، هتفضلي لحد إمتى مكلبشة في ذكرى الماضي ولفاها حبل حوالين رقبتك ورقبتي؟ مش كفاية؟

- طلبت منك تديني شوية وقت ودا مش كتير، من فضلك سيبني أقرر بهدوء لما أحس إني مؤهلة لده، من فضلك شوية وقت، لو فاكر إني سعيدة بموقفي منك تبقى غلطان، بس فعلا مش بإيدي أنا كمان بتمنى بداية جديدة ومستنياها بس مش هجري أبتديها وأظلم نفسي وأظلمك إلا وأنا مؤهلة فعلا نفسيًّا لده، "محمود" أرجوك

- ماشي يا ست "غرام" أما أشوف آخرتها معاكي

- آخرتها يلا علشان نروح للدكتور

- ما فيش دكتور هنروح له ولا حاجة هبقى كويس

- بتقول إيه؟!

- حبيبتي الضغط اللي أنا فيه دا ضغط عصبي مش أكتر

- حتى لو عصبي لازم دكتور

- يا بنتي افهميني، هو بيعلا من الانفعال ولما بهدا وباخد الدوا بيهدا وخلاص كل سنة وأنتِ طيبة

- نعم؟إيه الكلام ده؟ يلا نروح للدكتور بلاش هزار

- مبهزرش على فكرة ورحت للدكتور قبل كدا لما ضغطي علي من الانفعال وزي ما بقولك كدا دوا مؤقت كام يوم وهدوء وكله يبقى فل

- مش عارفة أقول لك إيه بس أنت ما لكش انفعال بالشكل ده

- هاهاها!!!

- مش عاجبك كلامي؟!

- عاجبني وكل حاجة بس مش واقعي مانتي عارفة الشغل وظروفه والحياة عمومًا مش الشغل بس فتمام ما تقلقيش بقى وغيري الموضوع البايخ ده، يلا اطلبي لي حلو

- بيبي قوي أنت في نفسك اطلبي لي غدا اطلبي لي حلو

- مش فاهم يعني متدلعش على حبيبتي هو أنت وظيفتك إيه هنا، أنت معترضة ولّا إيه؟

- لا مش معترضة يا "تاج" بك ألا ترفدني من وظيفتي دي ولّا حاجة

- لا أنا مقدرش، دا أنا أرفد نفسي وما ينفعش أرفدك، دا أنا يعني ممكن أقلب الدنيا دي وأعدلهالك من جديد بس ترضِي يا ست

تتأمله "غرام" في صمت وحب وهو مستمر في مداعبته لها.. تكاد تضرب بجميع الموانع عرض الحائط لتلقي بنفسها بين ذراعيه حيث الأمان، لتنطق أنها تريد أن تكون بجواره فورًا والآن لكنّ شيئًا لا يزال يؤلمها.. لا يزال يمنعها ويخيفها ويأخذها على طول طريق عكس ما تشعر به.. تتساءل في باطن عقلها "لحد إمتى"؟؟!!

تستفيق من أفكارها وهو يقول مداعبًا:

- فين الحلو يا حلوة؟!

تبتسم له في حب وتشير إلى النادل مجيبة

- حالًا

*****

حين يلفظنا الحضن الوحيد الذي نتمنى أن يحتوينا

نصير نستجدي الحب من الجميع لعلنا نشعر بالاستحقاق!

ماما

ما إن تطل الجدة من باب الشقة حتى يندفع نحوها الأطفال هاتفين:

- تيتة "ناهد"، تيته" ناهد".

تفتح الجدة ذراعيها لتستقبل أحفادها مردفة لابنتها بغضب:

- مش قُلنا "نَنَّا" يقولوا لي "نَنَّا" مش عارفة تحفظي عيالك كلمتين ياختي ولّا الشغل مخليكي مش فاضية قوي كده؟

- يا ماما ما لها تيتة بس؟ منا كنت بقول لتيتة "أمينة" تيتة ما قلناش "ننا" دي.

- الدنيا بتتغير يا معدولة والعيال لازم تتكلم شيك بس أنت اللي مش فاضية علشان تعرفي.

- معلش يا "نهودة" بقى عديها دا أنتِ وحشاني قوي.

- سافلة طول عمرك وفاكرة دلوقتي ملكيش حاكم يا بت قال "نهودة" قال!

- بصغّرك يا جميل مش أنت أختي برضو

- بس يا بت بلا قلة قيمة وكلام فاضي، تعالي أنا عايزاكِ في موضوع

- يا أمي خدي نفسك الأول واقعدي مع الولاد ونتغدي وأنا تحت أمرك يا حبيبتي

- يووه على بالك الطويل، ماشي ياختي، يلا يا عيال ورّوني آخر فيلم كرتون جبتوه

- كرتون إيه بس يا تيتة مسموش كده

- اسمه إيه يا غلباوي.

- إحنا بنشوف "أنمي" اسمها أفلام "أنمي".

- ودي تفرق إيه عن الكارتون يا معدول؟

- تفرق كتير في المستوى والشغل، والقصص حاجة فظيعة

- مسم، طيب ياخويا وبرضو ما فيش عربي وكلهم بيتكلموا ياباني؟

- لا يا تيتة أنا جبت لحضرتك واحد مخصوص مدبلج عربي

- أيوه كدا بدأت تسمع كلامي، ابني حبيبي راجلنا الصغير اللي لازم ياخد باله من البيت ومن أمه وأخته، مش بتاخد بالك ولّا أمك مطلعاك طري؟

- آخد بالي من إيه؟

- من إيه؟ من أمك يا أحمد ومن أختك مفروض البيت ما فيهوش راجل وانت تبقى راجل البيت.

- يعني أعمل ايه؟

- يووه أنت غلباوي قوي، يعني أختك لازم تسمع كلامك وتتعود إن كلامك هو اللي يمشي

- "وعد" طيبة وبتسمع كلامي ساعات بس ساعات برضه بنتخانق ومبتسمعش

- لا ما ينفعش الكلام ده، لازم تتعود إن أنت الراجل وإنها تسمع كلامك

- بس أنا لسًّا مش راجل يا تيتة

- يا دي الخيبة، يا ولا الواد بيتولد راجل، هو أنت أمك بتقولك إيه لما بتيجي تربيك ولّا مش فاضية إلا للشغل

تخترق "غرام" الحوار المتوتر في محاولة منها لإنهائه بأقل الخسائر

- ما لها بس أمه والشغل يا ست الكل، دا أنت وحشتيني بشكل.

- ممالهاش ياختي بفهّم ابنك اللي أنت مقصرة ومش بتقوليهوله

- اللي هو إيه يا ماما بس روّقي كدا وخليكي معايا.

- ماشي تعالي وريني عاملة أكل إيه ونتكلم بالمرة

- لا الأكل في الفرن، تعالي حبيبتي نقعد في البلكونة.

تنتقل الأم وابنتها للشرفة المغلقة بالستائر الثقيلة فتبادر الأم:

- هاه، طمنيني عليكم عاملين إيه وأنتِ عاملة إيه في اسم الله شغلك.

- ماشي الحال والله يا ماما

- ولاقية وقت للعيال وكده

- آه والله الشغل بيخليني أنظم يومي غصب عني مش بمزاجي يا ماما

- مممم طيب، أنت اللي غاوية بهدلة ما كنتِ قاعدة معايا وكنت بديكي تصرفي على عيالك

- هنعيده تاني يا ماما، خلاص بقى يا حبيبتي، إحنا كويسين والله وأنا كدا مرتاحة

- بكيفك ياختي، يعني كله تمام؟ والواد البواب عامل معاكِ إيه؟ أنا موصياه عليكِ على فكرة، إوعي يكون مش قايم بالواجب

- واجب إيه بس يا ماما، أنا ساكتة بس علشان هو غلبان وفهمه على قده

- يعني إيه؟ عمل إيه يا بنتي؟

- كأنه بيراقبني يا ماما، مركز معايا في الطالعة والنازلة هو ومراته بشكل غريب وكله كوم واللي عمله من يومين كوم

- عمل إيه ياختي

- من يومين جالي ديليفري البيجامات بتاعة الولاد اللي كنت طالباها أونلاين، الولد بتاع الديليفري بيسأله عليا، على الدور ورقم الشقة يعني يقوم يمسك فيه ويفتح له تحقيق وعاوزها ليه وعشان إيه ولما الولد يرد يقوله بيسأله ليه يقوم يقوله أصلها لوحدها يعني وكده! بذمتك دا كلام؟!

- دا كلام؟! دا هو دا الكلام، أومال أنا موصياه عليكِ وبديله فلوس ليه؟ مهو علشان يحميكم وياخد باله منكم، بالك أنت لو قلتيلي غير كدا أنا كنت قطعت عنه الشهرية اللي بديهالوا

- بتقولي إيه يا ماما إيه الكلام ده؟ دا خلّاني في نص هدومي وقعدت أعتذر للشركة اللي طلبت منها البيجامات بعد ما الديليفري اشتكي وقال لهم مش جايب لي أوردرات تاني.

- عنه ما جه ياختي، وهو عباس العقاد قصر معاكِ في حاجة، لهو أنت مش واخدة بالك من وضعك ولّا إيه؟ أنتِ مطلقة يا حبيبتي ولوحدك والناس لسانها مبيبطلش وأنتِ راسك ناشفة وجاية تقعدي لوحدك وتزودي الطينة بلة وتروحي وتيجي م الشغل يعني على الأقل يبقى فيه راجل على بابك ياخد باله منكم

- يا ماما مينفعش ءء

- بلا ماما بلا بتاع ما تنسِّنيش اللي جيالك فيه

- خير يا ماما؟

- بصي يا ستي، أنا كلمت المحامي بتاعك وقلت له يعمل تنازل عن كل القضايا اللي أنت رفعاها على أبو العيال

- إيه بتقولي إيه يا ماما

- بقولك زي ما سمعتي، أبو عيالك بعد ما إتكلمت معاه قال خلاص هيبعت المصروف وخلاص كدا ننهي الفضايح والكلام الفاضي ده.

- أيوا يا ماما يعني هيدفع كام؟ ومش مفروض كنتِ كلمتيني قبل ما تكلمي المحامي؟

- وأكلمك ليه هو أنت ليكي أكل ولّا بحلقة؟! ما خلاص بقى انتهينا

- والتفاصيل يا ماما

- التفاصيل معايا وهكلمك تقعدوا قعدة وخلاص لما المحامي يكلمك قولي له إنك متنازلة، فاهمة؟

- مش عارفة أقول لحضرتك إيه؟

- أنت عايزة مشاكل وخلاص؟

- لا يا أمي مش عايزة مشاكل بالعكس طالما قال هيقوم بالتزامات ولاده يبقى خلاص يا ريت

- يبقى انتهينا وتقولي للمحامي زي ما قلت لك، ماشي؟

- ماشي يا ماما حاضر.

***

في المساء يجلس أبناؤها في حضنها كما اعتادوا كل مساء

يبادرها "أحمد"

- تيتة كانت هتضربني النهاردة لما قلت لها إن "وعد" مش بتسمع كلامي دايمًا وقالت لي أنا راجل البيت وأخوها الكبير ولازم تسمع كلامي.

يعتدل في جلسته موجهًا حديثه لأخته

- سامعة يا ست "وعد"

تهم الفتاة بالرد عليه والانفعال إلا أن الأم تعود لشدهما في حضنها مردفة:

- صح يا "حمادة" تيتة عندها حق أنت راجل بيتنا دا يا حبيبي

يضحك الولد في انتصار موجهًا حديثه لشقيقته

- شفتي بقى وماما كمان بتقول

يعبس وجه "وعد" وهي تتمتم:

- هو يعني إيه يا ماما راجل البيت وأسمع كلامه ليه يعني مش كلنا بنسمع كلام حضرتك؟

- طبعا يا حبيبتي أنا ماما ولازم تسمعوا كلامي وتطيعوني ربنا قال كده

- أومال أسمع كلام "أحمد" ليه يعني؟!

- علشان أحمد أخوكِ اللي بيحبك وبيخاف عليكِ

- عارفة يعني إيه راجل البيت يا "وعد"؟

- يعني إيه؟

- يعني حد بيحب ستات البيت ده، وبيخاف عليهم وبيحميهم وبيخدمهم وبيريحهم

- فعلًا؟؟

- آه فعلًا.. علشان كدا هو يستحق اننا نحترمه ونسمع كلامه

- بس تيتة قالت....

- سيبك م اللي تيتة قالته احنا قلنا إن زمن تيتة وزمن ماما دا زمن قديم وماما بتربيكم لزمنكم انتم، صح؟

- صح يا ماما

- يبقى تفهموا اللي بقوله وتحفظوه علشان يوم ما أبقى مش موجودة حواليكم يفضل كلامي اللي حفظتهولكم.. "الراجل سند وحماية وضهر وجذر ضارب في الأرض وطارح شجرة كبيرة شديدة وقوية تساع الكل والست بتتحامى في الضل دا اللي بيساعها بكل الحب والرحمة هي مش ذِلة يا "وعد" إنك تسمعي كلام أخوكِ طول ما هو بيتكلم صح وبيراجعك وبيشورك ومبيقولش حاجة تزعل ربنا، وأنت يا

"أحمد" مهياش ميزة يا بني ولا تعالِي على أختك ولّا أي بنت حوا تبقى مسئولة منك لا يا حبيبي دي مسئولية ودين في رقبتك وأمانة وحسابك عليها هيبقى كبير قوي فلازم كل تفكيرك يبقى إزاي تكون قد المسئولية دي قدام ربنا، هي مش خناقة يا حبايبي فاهمين؟

تردف "وعد":

- والست يا ماما

- هههه مش محتاجة كلام دي يا ست "وعد" الست دي هي الحياة.. الروح.. الأساس.. الأصل.. الأرض اللي شايلة الشجرة وساندها.. الست برنسيسة الدنيا دي.. الحنية والأمان والضل والسكن والراحة، العقل والقلب مع بعض.. الخلطة اللي لو ظبطت، يتعدل ميزان الدنيا كلها، ربنا ما خلقش الكون وكان الهدف انه يعمل خناقة بين جنسين.. حاشاه، ربنا خلقه علشان نعمره سوا ونعيش فيه سوا، فاهميني يا حبايبي؟

- فاهمين يا ماما

- ربنا يرضى عنكم حبايبي

تضم أولادها لحضنها ضاحكة مستبشرة بواقع آخر غير الذي صنعته أمها بحياتها ذات يوم.

*****

غزو

تغلق غرام باب غرفة أبنائها في هدوء خشية إيقاظهم مرة أخرى بعد استسلامهم للنوم بعد جهد كبير منها، تتجه إلى المطبخ لإعداد مشروبها الساخن للاسترخاء، تصب الماء من الغلاية في استمتاع فتتصاعد رائحة نبات المريمية المساعد على الاسترخاء فيهتز هاتفها مغلق الصوت فتلقي نظرة عليه لتغزو وجهها ابتسامة فرحة وتجيب في لهفة

- آلو

- وحشتيني

- هههههههه أنت كمان وحشتني

- بجد؟

- أهاا بجد

- بس أنت مفارقتنيش أصلًا

تلتقط فنجان المريمية وتذهب إلى أريكتها لتستلقي عليها

- طمني عليك.. خلصت شغلك؟

- خلصت وخلِصت النهاردة اليوم كان مرهق جدا

- روح ارتاح بقى

- لسَّا هفوت على ماما الأول وبعدين أروّح

- بالسلامة يا رب

- وأنتِ؟

- نيمت الولاد بدري النهاردة وهسترخي بقى شوية

- عاش الأمهات الشاطرة

- بجد شاطرة؟

- أنتِ بتسألي؟ أنت أسطورة يا بنتي

- مش للدرجة دي

- لا للدرجة دي وأكتر، أنت شاطرة في شغلك وفي بيتك ومع ولادك وشاطرة معايا

- هههههه بطّل بقى

- لا أبطل ليه؟ مش لازم أقول لحبيبتي إني عارف قيمتها كويس، بجد يا "غرام" محدش شدني في حياتي للدنيا زيك كده، كنت قربت أصدق إني الكبير اللي ملوش في حاجة الا الشغل، رجعتيني للحياة.. يا حياة

- محدش عارف مين رجّع مين للحياة فينا، أنت كأنك بتتكلم بلساني، بس أنت دايمًا أشطر مني في الكلام

- المشاعر اللي حاسسها هي اللي خلتني أتكلم وأوصف

- مش عارفة أقول لك إيه، أنت نعمة كبيرة في حياتي يا "محمود" ءء إيه ده؟ جرس الباب بيرن.. أستاذنك اروح اشوف مين.

- مستنية حد؟

- لا خالص.. يمكن ديليفري الدراي كلين ولّا حاجة مع انه مفروض ييجي الصبح، هروح اشوف مين وهطلبك تاني

- مستنيكي

تتجه إلى الباب لتنظر من العين السحرية نظرة فاحصة ترتد معها للخلف واضعة يدها على صدرها فتتزايد دقات الجرس فتنظر في اتجاه غرفة أولادها ثم تفتح فتحة صغيرة من الباب هاتفة:

- عايز إيه يا أكرم؟ إيه اللي جابك دلوقتي؟

يدفع "أكرم" الباب فترتد للخلف ليدخل حتى ردهة المنزل هاتفًا:

- إيه؟ بيت ولادي وجاي أشوفهم؟ الساعة ما جتش عشرة يا "غرومة"

- الولاد ناموا وانت ما قلتش انك جاي علشان يستنوك.

- إيه هو أنا لازم آخد الإذن ولّا إيه يا مدام؟ أنت نسيتِ نفسك ولّا إيه؟

- من غير غلط ولادك نايمين واتفضل تعالَ لهم في وقت تاني

- طب ما بالراحة، اللهم اخزيك يا شيطان، كدا برضو عاوزة تعصبيني يا "غرومتي" إيه؟ ما وحشتكيش.

يقترب منها فتتراجع للخلف في ارتباك

- لو سمحت، إتفضل بقولك الولاد نايمين وما فيش داعي للكلام ده.

- أتفضل إيه بس؟ أنتِ من امتى قاسية قوي كده؟ مش ممكن أكون موحشتكيش يا وحشة، بقولك إيه اقعدى كدا خلينا نقولوا كلمتين.

- ما فيش بيننا كلام واتفضل لو سمحت الوقت متأخر.

- لا ازاي دا احنا كان بيننا أحلى كلام يا بت، ما تيجي نرجع بقى

- نرجع؟ لو سمحت امشي فورًا

- الله، ما لك؟ أما أنت حُرمَة ناكرة للمعروف صحيح يعني عاجبك حالك دا وأنتِ ملقحة كدا خدامة للعيال واسمك قدام الناس مطلقة، عاجبك يعني؟ تعالي ارجعي واهو تبقى في حمى راجل بدل مانتي مطمع كدا وملكيش دِيَّة.

- تعلو أنفاس "غرام" التي تنظر إليه في ذعر وهي تستمع إلى كلماته، تغلق عينيها للحظات وتتحدث لنفسها بصوتٍ عالٍ تحاول أن تجعله يعلو على صوته "ما فيش الكلام ده، أكرم هيمشي حالًا ومش هيرجع، أنا قادرة أواجهه وأمشيه من هنا، أنا مش خايفة.. أنا مش خايفة.. مش خايفة"

تتقطع كلماتها وهي تجري ناحية الباب هاتفة: "بقول لك امشي حالًا ما فيش بيننا كلام".

لكن "أكرم" يلتفت لها ممسكًا بشعرها بشراسة هاتفًا:

- "إيه ده؟ دا طول تاني هههه طب كويس أنا قلت بعد الهبل اللي عملتيه زمان مش هتطوليه تاني، بس أنا هثبت لك اني اتغيرت واني بقيت حنين أكتر من زمان"

يترك شعرها ويستطرد:

- شفتي إزاي "أكرم" حبيبك بقى هادي ومش عصبي يلا نرجع بقى ونلم العيال ونلمك أنت كمان بدل قاعدتك كدا تصعبي على الكافر"

تهرع "غرام" لباب الشقة فتفتحه هاتفة بصوتٍ عالٍ وأنفاس متقطعة

- برّه ومتجيش تاني إلا لو ماما هنا أو تشوف ولادك في النادي بره.

يقترب منها مبتسمًا في وحشية ومستطردًا:

- همشي يا "مَرَه" بس وحياتك لأرجع وأربيكِ من أول وجديد

تغلق باب الشقة خلفه ثم تنهار باكية وهي ترتعش، يهتز هاتفها من جديد وتضيئ شاشته باسم "محمود" لكنها لا تقوى على الإجابة فتترك الهاتف وتغرق في دموعها ونوبة من الفزع تنتابها حتى يغلبها النوم.

*****

صباح الخير

طالما كنتُ قادرةً على الاستيقاظ ومواجهةِ الحياة

ووضع أحمر شفاهي وحمرة خدودي

فأنا ما زلت بخير!

صباح الغزو

يداعب ضوء النهار عيون "غرام" المثقلة من أثر نوبة فزع الليلة الماضية، إذ يبدو على وجهها الإرهاق وعدم الراحة، تلتقط هاتفها فتتفحصه وتغلق المنبه الذي ما زال هناك متسع قدره ثلاثون دقيقة قبله

- "نسيت الشباك مفتوح" هكذا تحدث نفسها وهي تنظر إلى ضوء الشمس الداخل من شباك غرفتها.

تزيح الغطاء وتتحرك من السرير ببطء متجهة لحمام غرفتها، ما إن تنظر إلى المرآة لملامحها المرهقة حتى تحتل ذاكرتها ذكريات ليلة الأمس الدخيلة العصيبة، أكرم وغزوته السخيفة وحديثه الأسخف، يعصف بها غضبها من بكائها لدى رحيله وإغلاقها للهاتف.

- "لسه الزفت دا بيخليكي تعيطي! مش هتبطلي هبل بقى وتتعلمي أووف" هكذا تغمغم مسترسلة "ولسه محمود هيسألك اختفيتِ ليه ومضطرة تبرري.. daaamn"

تنهي اغتسالها وتجهز نفسها في بطء لبداية اليوم، تحضر ملابسها منتقية إياها بعناية كأنها تُعوض انطفاءها من الداخل بوهج تضيفه من الخارج، تنتقي طلاء أظافرها وأحمر شفاها وعطرها باهتمام، تبتسم ساخرة متمتمة "طالما قادرة أصحى أحط برفيوم ومانيكير وروج يبقى أنا بخير ولسًّا متهزمتش من أي حاجة"

لا تلبث أن تنتهي بغضون الساعة من طقوس الصباح وتجهيز مستلزمات وحقائب النادي لأطفالها للذهاب مع صديقتها وبناتها، تصير جاهزة للانطلاق لعملها حين يضيء هاتفها مغلق الصوت بصورة "محمود" واسمه فتلتقطه ممعنة النظر بصورته للحظات ثم تجيب

- صباح الخير يا "محمود"

- صباح الهنا يا حبيبتي، أنت رحتي فين إمبارح يا ست إنتي؟

- معلش سامحني

- أسامحك على إيه؟ مش فاهم أنت قلتِ لي هتفتحي الباب للديليفري وتتصلي بيّ تاني وبعدين كلمتك بيرن ومش بتردي بعدين التليفون إتقفل؟! خضتيني عليكِ جدا

- ما فيش حاجة أنا تمام بجد

- الحمد لله إنك تمام بس رحتي فين؟!

- مممم طيب هكلمك آخر النهار أحكي لك

- تحكي لي إيه؟ قلقتيني

- لا ما تقلقش أنا بخير

- "غرام" معنديش صبر أنا لنهار بطوله، إتكلمي حالًا

- ءءء "أكرم" جه بالليل وطردته

- إيه؟ بتقولي إيه؟

- ممكن تهدا

- أهدا إزاي؟ أنت كويسة؟

- أنا بخير أرجوك اهدا

- إزاي يعني؟ أنت قلتِ لي إنك لوحدك والولاد نايمين، هو متعود ييجي من غير معاد؟

- لأ طبعا، بتقول إيه؟

- أومال إيه؟

- "محمود" لو سمحت اهدى، ما فيش حاجة حصلت

- ردي على سؤالي "كان جاي ليه؟"

- قرف وغلاسة وأي كلام

- يعني إيه؟ مترجمتش أنا ومش فاهم!

- ءءء كان عايزنا نرجع

- إيه؟

- وطردته يا "محمود" وقلت له ميجيش تاني إلا بمعاد ومعاه مامته أو يشوف الولاد بره البيت

- يعني أروح أولع فيه دلوقتي؟

- ممكن تهدا

- لا مهداش، علشان أنا عارف البني آدم دا بيضايقك قد إيه، ومفروض أقعد أتفرج عليه وهو بيضايقك، مش راجل أنا! قولي لي إحنا مستنيين إيه علشان نتجوز؟ هه؟ ردي عليا؟ كل ما أقرب من المنطقة دي تهربي منّي وأنا محترم اللي فات وإنك تعبتي في حياتك وقلتِ لي بشويش قلت حاضر وقربت بشويش وبقالنا أكتر من سنة نعرف بعض وأفتكر اللي بقى رابط أرواحنا كتير، تقدري تقوليلي مستنيين إيه؟ مستنيين الكلب "أكرم" يعمل فيكِ إيه علشان نتحرك ونطور علاقتنا؟ ما تردي عليا

- "محمود" أنا تعبانة من إمبارح أصلا وبقاوم الانهيار فعلًا

- وأنا عاوز أتجوزك يا ست علشان أحميكِ ولو قرب منك تاني تبقى آخرته على إيدي، غلطان أنا

- ممكن نأجل الكلام لحد ما نتقابل؟

- ماشي يا "غرام" لحد ما نتقابل بس، نتقابل بس ولا فيه هروب ولا فيه تأجيل، ماشي؟

- ماشي.. سلام

*****

فــراق

علت طرقات الباب مُصرة سريعة مما دفع "غرام" للركض لفتح الباب لتقتحم "سلمى" الباب وهي ترقب ملامحها الجامدة ووجهها الباهت هاتفة

- ما لك يا بنتي فيه إيه؟

تشير إليها "غرام" لتدخل وتغلق الباب خلفها فتعيد عليها السؤال:

- انطقي يا "غرام" صوتك في التليفون كان وحش قوي؟

تظل "غرام" على صمتها ثم ترتمي في حضن صديقتها التي تربت على كتفها هاتفة

- "إهدي حبيبتي وقولي لي إيه اللي حصل؟"

تغالب "غرام" دموعها مجيبة

- مش هتكلم مع "محمود" تاني.. خلاص الموضوع انتهى.

تبتعد صديقتها عنها محدقة بوجهها ثم تهتف:

- إيه اللي حصل فهميني؟

- خلاص يا "سلمى" موضوع وانتهى.

- أنا بقول لك فهميني عملتِ إيه؟

- أنا.. أنا ما عملتش حاجة.. هو اللي مش قادر يفهمني ولا عارف يتعامل معايا

- "محمود" برضه اللي مش قادر يفهم ويتعامل؟!

- قصدك إيه؟

- قصدي احكي لي بالظبط اللي حصل

- مبقتش قادرة أتحمل

- مبقتيش قادرة تتحملي إيه؟

- إلحاحه

- إلحاحه على إيه؟ الجواز.. ردي عليا

- أيوه

- طلب منك الجواز تاني.. لا غلطان والله ملوش حق.. مفروض تدرسوا أخلاق بعض سنة ونص كمان

- لا مش مفروض ولا حاجة

- أومال إيه

- ما فيش.. الجواز مش بالعافية

- صحيح الجواز مش بالعافية بس كنت فاكرة أي إتنين بيحبوا بعض طبيعي يتجوزوا في النهاية

- لا مش طبيعي

- أومال كنتِ بتحبيه ليه؟ وبتعرفيه وبتقربي منه ليه؟ بتسمحيله يقرب لك ليه؟

- الأمور إتطورت بسرعة وخرجت عن سيطرتي

- سيطرتك؟! هي الحكاية كدا بقى؟

- حكاية إيه؟!

- حكاية سيطرتك دي.. الموضوع كله إنك لاقية نفسك مش قادرة تسيطري وده خانقك.. مش قادرة تخطي أزمة حياتك زمان مع "أكرم"

- "سلمى"!!! متنطقيش الاسم دا تاني

- ليه؟ هو إحنا مش كنا خلصنا من الموال دا وبقيتي بتقولي اسمه عادي؟ بس هو اللي باينلي فعلا متخطتيش اللي حصل لك معاه؟ ولّا إتنكستي ولّا مش فاهمة بجد إيه اللي فيكي!

- إفهميني ومتقسيش عليا

- أقسى عليكِ إيه؟ أنت سامعاني؟ طب سامعة نفسك؟ أنت كل لحظة مع "محمود" ذعرك بيزيد من تكرار خيبة أملك في "أكرم".. مُصرة ليه تدفّعيه فاتورة اللي فات؟ الراجل شاريكِ حرام عليكِ نفسك

- حرام عليَّ نفسي؟ منا ببعد علشان أحميها.. ببعد علشان أفضل مسيطرة عليها وحاطة حواليها كل سور يحميها

- أنت بتدفني نفسك بالحيا وبتكسري قلبك وقلب راجل كل ذنبه إنه حبك

- بتدافعي عنه كأنك تعرفيه

- أعرفه يا "غرام"

- تعرفيه منين؟؟

- من كلامك عنه.. من موقف الكام لما اتفتح بالغلط.. من أول مرة خرجتوا فيها مع بعض وحكيتيلي كان راجل ومحافظ عليكِ إزاي.. من ملاحظاتك اللي قلتيهالي عن كرمه في كل شيء وفي احتواءه وطيبة قلبه وثقافته وصبره.. من حبه لولادك وطلبه إنه يعوضهم قسوة المخفي أبوهم.. مش دا كلامك وحكاياتك عنه؟

- كل شيء قسمة ونصيب يا "سلمى" مش هقدر

- حرام عليكِ نفسك يا بنتي والله حرام عليكِ نفسك وشبابك وولادك

- ولادي بخير طول ما أنا بحميهم

- ولادك يخسروا فرصة راجل "سوي" يدخل حياتهم ليه؟

- ما فيش حاجة مضمونة دلوقتي يا "سلمى" متجزميش قوي كده

- آه صح.. نقوم نخسر الراجل اللي زي الفل علشان مين عارف يمكن يتجنن ويطلع جبان في يوم من الأيام

- كفاية ضغط عليا أنا خلاص مش قادرة

- متعيطيش يا خايبة.. كفاية أذية في نفسك هتخسري الراجل الغلبان ليه بس

- ما فيش راجل غلبان.. ما اللي فات كان غلبان في الأول برضو وعشت خدامة تحت رجليه.. حصل لي إيه؟.. كنت بتجرّ من شعري زي الدبيحة على مسمع من ولادي كل يوم بسبب ومن غير سبب.. ذل ومهانة وكسرة وقهرة.. أنت عايزاني أرجع كدا تاني.. مش هيحصل.. سامعة.. مش هيحصل

تحتويها "سلمى" بذراعها مُهدئة إياها

- خلاص يا حبيبتي اهدي أنت جسمك بيترعش.. خلاص نوقف كلام دلوقتي..

تنسال دموع سلمى فتختلط بدموع صديقتها

- والله يا "غرام" لولاش أنت غالية عليا وزي أختي ما أقساش عليكِ أبدًا في الكلام ولا أزعق لك في مصلحتك كده.. أنا عارفة إنك رهيفة وطيبة وملكيش في الهم ده.. بس غصب عني والله يا نور عيني..

تربت على كتفها وتمشط شعيراتها بيدها محاولة تهدئتها.

- خلينا نهدى دلوقتي وأنا هسكت مش هتكلم ف الموضوع ده.. جايز يكون عندك حق.. جايز يكون مش نصيبك.. الله أعلم يا حبيبتي.. لله الأمر.. إهدي دلوقتي ويحلها ربنا.. على مراده يا "غرام"

- على مراده

*****

أيامي بعدك يا حبيبي.. ليست كالأيام!

أيام.. كالأيام

أنهت "غرام" عملها بيومها العملي الحافل بالنشاط، حملت آخر ملفاتها للدولاب وأغلقته ثم حملت حقيبتها وتوجهت لخارج غرفتها حيث لوحت لفتى البوفيه في طريقها سلامًا والذي حياها بدوره:

- "سلام يا أستاذة ألف سلامة"

في موقف السيارات الخاص بالشركة ركبت سيارتها وأدارت محركها وما هي إلا خطوات حتى لاح لها زميلها "تامر" ملوحًا بالتحية فبادلته إياها وهي تتوقف لدى سيارته حيث كان يستعد للرحيل

- خلصت يا "تيمو"

- خلصت يا "غرام" وجبت آخري والله

- شكلك إتاخدت فحت وردم النهاردة

- أووووف جدًّا جدًّا تلات عملاء تُقال وختمت ب"تاج" اللي قضى عليا فخلاص بقى تعبت

- "تاج" قصدك "محمود تاج"؟!

- آه أهو لسًّا مخلصين الميتنج أهه.. "يشير في اتجاه مخرج الموقف مردفا "أهو خارج م الباركينج أهه"

تسري بجسدها رعشة مفاجئة تضخ في قلبها دقات إضافية تحاول إخفاءها فتنهي حديثها مع زميلها سريعًا مردفة

- ماشي يا "تيمو" أشوفك الصبح إن شاء الله روح إرتاح وسلم لي على "خديجة" والولاد

- سلام يا ريسة

تخرج من الباركينج متخذة طريقها المعتاد للمنزل، تتعمد الإبطاء بسيارتها لكيلا تتجاوز سيارة "محمود" التي سبقتها.. حدثت نفسها "بقى بييجي الشركة من غير ما يفكر يعدي عليا حتى! شكله نسيني.. شهرين يخلوه ينساني كده؟!"

تعود نفسها للرد عليها "مش أنت اللي قررتِ ده؟ أكيد كرامته وجعاه ما فيش راجل هيرجع يتكلم بعد رفضك ليه مرتين.. لا مرتين إيه.. أكتر"

تحرك رأسها يمينًا ويسارًا كأنها تطرد الكلمات والأفكار منها مكررة: "كدا أحسن.. خلّصنا خلاص"

تستمر بطريقها بشكل تلقائي وتختفي سيارة "محمود" من أمام ناظرها بفعل المرور والإشارات فتهدأ أفكارها وإن لم تخفت دقات القلب الفاقد إلا أنها تكابر وتستمر بطريقها حتى تمر على المطعم الذي اعتادت مقابلته فيه فتنظر ذات النظرة كلما مرت به إلا أن نظرة الحنين تتحول إلى نظرة دهشة حيث تتسع حدقة عينيها وهي ترى "محمود" يقف أمام باب المطعم ضاحكًا بصحبة فتاة عشرينية يبدو أنهما يستعدان لدخوله، ترتبك "غرام" وتكاد تصطدم بالسيارة التي خلفها إثر إبطائها بسيارتها إلا أنها تتمالك نفسها وتكمل طريقها، تزداد دقات قلبها أكثر ويزيغ بصرها وهي تشيح بنظرها يمينًا ويسارًا صارخة بداخلها "شفتي.. أنت صح.. إتأكدتي إنك صح وإنك أنقذتي نفسك، أهو يا ستي.. راجل زي باقي الرجالة.. مبقالكوش شهرين سايبين بعض وإيه كان باين عليه مجروح وقلبه مكسور منك وأهو مع واحدة تانية وكمان بنت صغيرة متنفعش حتى إلا أخته الصغيرة مش لايقة على شعره الأبيض الأربعيناتي حتى مش عارف ينقي.. أووف.. وأنتِ ما لك ما خلاص هو مش أنت اللي قلتِ له يمشي وخلاص.. براحته مش قصتك بقى خالص خلاص خلصنا"

تضرب بيدها على مقود السيارة مكررة لنفسها "خلاص خلصنا"

لا تلبث شاشة هاتفها مغلق الصوت أن تضيء باسم المحامي فتغمغم "ودا عايز إيه دا كمان مختفي كل دا وجاي يظهر دلوقتي"، تلتقط الهاتف وتجيب:

- آلو، أهلًا يا أستاذ "جلال"

- أهلًا يا مدام "غرام"

- خير، حضرتك بقالك فترة مختفي، أخبار القضايا الجديدة إيه؟ طمني

- ما هو دا الموضوع اللي كنت عايز حضرتك عشانه

- خير يا أستاذنا؟

- والله مش عارف أقول لك إيه، بس أنا كنت شايف بشاير مش حلوة كدا وعايزك تتفاهمي مع أبو ولادك أفضل

- أتفاهم؟! حضرتك بتقول إيه؟ وهو أنا لو عارفة أتفاهم ولّا آخد منه مليم واحد لولاده كنت لجأت لمحكمة الأسرة يا أستاذ "جلال"؟

- لا طبعًا أنا عارف والله

- طيب لما حضرتك عارف بتكلمني ليه؟

- بصي يا مدام، أنا سمعت كلام حضرتك وتجاهلت كلام والدتك بوقف القضايا، ومفروض كان فيه جلسات فاتت وجلسات جاية وفي الجلسات دي كل محامي بيقدم أوراقه اللي تسند موقف موكله، تمام؟

- تمام

- الأوراق اللي مقدمها محامي الأستاذ "أكرم" هتخلينا ناخد حكم مش أكتر من متين تلتوميت جنيه كدا يا فندم

- إيه؟ بتقول إيه؟ في أول مرة جيت لك وحكيت لك القصة كلها قلت لي إنك هتجيب لي حكم مش أقل من عشرة خمستاشر ألف جنيه للعيال

- حصل يا مدام

- الله، أومال إيه؟ تلتوميت جنيه بتوع إيه دول؟

- حضرتك قلتيلي إن دخل الأستاذ أكرم لا يقل عن خمسين ألف جنيه في الشهر حاليًا صح؟

- دا حقيقي

- طيب إيه رأيك أن المحامي بتاعه مقدم ورق بيقول إنه عاطل وإنه لا يعمل وإن دخله من بعض الأعمال البسيطة لا يزيد عن ١٧٠٠ جنيه وانه بيدفع منهم نور ومية وأكل وشرب وانه عايش عالة على والدته اللي بتملك كل شيء!

- أنت بتقول إيه يا أستاذ

- زي ما بقول لك كدا يا فندم، واضح انهم لعبوها صح، كتب كل حاجة باسم والدته وقانونًا هو عاطل لأن شغله حر وقدر يداريه فحضرتك لن تحصلي، دا إذا حصلتي أصلًا على شيء مش هيكون أكتر من المبلغ اللي قلته لحضرتك ده

- بس دا ظلم؟ هو دا القانون اللي قلت لي إنه معمول لصالح المرأة؟ هي دي البلد اللي بتحمينا؟ هو دا "البلد اللي بتاعتنا والرجالة ضيوف فيها"؟ هي دي الستات اللي دايرة تطرد الرجالة من بيوتها وتاخد عرقها وشقاها؟ فهمني؟ مش دا كلام البرامج واللي بيقولوه فيه؟! رد عليا

- مدام "غرام" افهميني، القانون فعلًا لصالح المرأة قولًا واحدًا بس دا لما يكون الورق سليم يا فندم وتكوني مع خصم شريف، ويكون المجتمع والمؤسسات متعاونة، هتقعدي في المحاكم زي ما تقعدي ويماطل زي ما يماطل في الآخر لازم هتاخدي حقك ولو بعد سنين لأن الورق مش ملعوب فيه

- سنين؟ هو دا العدل؟ سنين أكون إتبهدلت فيهم أنا وولادي وطلعت روحي وضاعت حياتي وعجزت ومرضت، سنين أكون مت فيها، هو دا العدل وهو دا القانون اللي بيقولوا عليه مع الستات؟!

- مش عارف أقول لحضرتك إيه بس زي ما قلت لك الخطأ مش في القانون مطلقًا، الخطأ في الخصم غير الشريف والمحامي اللي بيعينه يعبث بالقانون ويفسد الحق والعدل

- حق إيه اللي بيعبث بيه يا أستاذ، دا بيدمر حياة عياله وحياة واحدة ست كل ذنبها إنها تجرأت تاخد لقب طليقته

- يا فندم ءءءء

- خلاص يا أستاذ "جلال" خلاص.. خلصت.. مع السلامة

تغلق "غرام الهاتف وتلقيه في حقيبتها، تنظر حولها فتجد أنها قد وصلت إلى منزلها، تمسح دموعها المنسابة وتهندم مظهرها صاعدة لمنزلها، ما إن تفتح باب منزلها حتى تتعجب من الهدوء الذي يعمه باحثة عن أولادها ثم لا تلبث أن تدق على جبهتها من أثر النسيان حيث كانت ستمر لأخذهم من منزل والدتها، لا تلبث أن تتجه لهاتف المنزل طالبة والدتها

- آلو، أيوه يا ماما

- أيوه يا "غرام" مجتيش ليه لحد دلوقتي

- معلش يا ماما، أنا حاسة نفسي داخلة على دور برد فقلت أتطمن على نفسي الأول، خلّي الولاد عندك النهاردة

- طيب يا بنتي، خدي لمون بقى كدا ودوا وإبقى طمنيني عليكِ

- حاضر ما تقلقيش

- وكلميني لما تشوفي حاسة بإيه

- حاضر يا ماما، مع السلامة

تغلق "غرام" الهاتف وتنهار باكية منسحبة إلى غرفتها، تخرج دفتر يومياتها وتسحب قلمها لتسطر حروفًا من وجع بداخله فتكتب:

(لم نكن نريد سوى بعض السعادة وبعض السلام والكثير من الأمان، تخلينا عن الحب رغبة في السلام والأمان البعيدين عن تقلب الحب ومخاوفه، لكن يبدو أن الحب الذي هربنا منه هو ما كان سيمنحنا هذا السلام وذاك الأمان وتلك الحياة لكنه ذهب وعاد غريبًا كما بدأ وكأننا لم نحب يومًا ولم نقترب، ربما أخطأنا أننا أحببنا من البداية، أو كان الخوف هو الخطأ الأكبر.. ربما كانت خطيئتنا أننا أردنا فقط أن نعيش أيامًا.. كالأيام)

*****

نسير بالطريق المسطور على جبين أقدارنا حرفًا حرفًا

ونصل في الوقت المحدد بكل دقة..

لا أحد يهرب من كارما أفعاله..

لا أحد يهرب من قدره!

ابتزاز

التفتت "غرام" للطرقات المترددة على باب مكتبها فهتفت "إتفضل" لتجد زميلتها "علا" تدلف إلى مكتبها بخطوات بطيئة غير اعتيادية على شخصها المبهج الذي ينطق سلوكه بالحياة، بادرتها "غرام" متسائلة

- خير يا "علا" أنتِ بخير؟

- ءءء كنت عايزة أتكلم معاكِ في موضوع

- إتفضلي، شكلك تعبان ولّا إيه ما لك؟

- عندي ءءء عندي مشكلة ومش عارفة أتصرف فيها إزاي

- يا خبر! خير قولي لي أنا تحت أمرك

- أنا متأكدة، عارفة إنك جدعة وأول واحدة فكرت ألجأ لها

- قلقتيني!

- أنا واقعة في مشكلة كبيرة يا "غرام" فيه واحد مجنون بيهددني

- واحد مجنون؟! مش فاهمة حاجة، مين ده؟ بيهددك بإيه؟ وتعرفيه منين أصلًا؟!

- كان فريند عندي من الفيسبوك

- فيسبوك؟ تاني يا "علا"

- أرجوكِ أنا تعبانة ومش مستحملة

- فهميني بالظبط إيه اللي حصل

تنطق كلماتها وكأنها على وشك الانهيار

- أنا معملتش حاجة والله يا "غرام" أنا كنت بكلمه عادي أصحاب يعني، وبعدين فجأة كلامه بقى غريب وهستيري وبيدور عليا على طول ويسألني بكلم مين تاني، فحاولت أبعد عنه فهددني إنه هيبعت الشات اللي ما بيننا لكل أصحابي وقرايبي

- غريبة!! طيب ما يمكن بيهوشك وبس هو الشات دا فيه إيه فهميني

- لا مش بيهوش

- وعرفتي منين إنه مش بيهري وخلاص؟

- أنا كنت حاكية له عن نفسي وعن صحابي ويعرف عني حاجات كتير وهو كمان حكى لي عن نفسه، المهم هو يعرف "رضوى" دي أقرب صاحبة لي وهو ضافها عنده بعد ما إبتدينا نتكلم

- هاه

- إمبارح بعت لرضوى كوبي من الشات بتاعنا علشان يعرفني إنه مش بيهوش وإنه هيبعتها فعلًا لأهلي وأصحابي وزمايلي في الشغل

- وعايز إيه يا "علا"

- ءءءءء

- عايز إيه من الابتزاز دا يعني؟، انطقي

- عايزني أقابله

- وأنتِ ما كنتيش قابلتيه م الأصل؟ بالمرة يعني بجملة الغلط والهبل

- أبدًا والله يا "غرام" ما قابلتوش دا كان مجرد شات وتسالي

- تاني! تسالي.. اتكلمنا قبل كدا في الحكاية دي صح؟ كنت مستغرباكي قوي الحقيقة مش عادي إن حد يتسلي بتفاصيل حياته أو بمشاعره ومشاعر الناس

- بصي واضح إن الشخص دا عنده مشكلة، بس أنا ما عملتش حاجة غير اللي أي حد بيعملها

- لسًّا بتقاوحي؟! طيب علشان كلهم بيعملوا يبقى تمام؟ أخدنا الإذن والتضامن من المجتمع كله إن الغلط دا اترقى وبقى صح؟ آدي آخرة التسالي اللي نهتك منها، قلت لك ما ينفعش اللي بتعمليه

- كان كل ظني إنها تسلية مش مضرة، تسلية آمنة من ورا شاشة، هيحصل إيه يعني؟ وبصراحة كلهم بيعملوها

- لا يا ستي مش كل الناس ولا كل البنات لسًّا فيه ناس عادية وطبيعية والله بس أنت اللي عايزة تشوفي دا بس، وسألتك قبل كدا الغرض إيه؟ أعجبتي بيه مثلًا فبتكلميه علشان تتعرفي عليه علشان ترتبطي بيه ويبقى بمعرفة أهلك، تفرق يا "علا" كل حاجة من دي تفرق، بس أنت قلتيهالي صريحة زي ما بتكرريها دلوقتي بتسلى!! متخيلة انك تتسلي بمشاعر الناس والعواقب تكون سليمة؟!

- "غرام" أنا مش مستحملة كلام دلوقتي أرجوكِ أنا مش عارفة أعمل إيه

- يعني أنا اللي هعرف، أنت شلّيتي تفكيري بكلامك ده، وواضح إنه إنسان مريض ودماغه مش سهلة، "علا" عايزة أشوف الرسايل اللي بعتها لرضوى

- ءءء ليه؟ بلاش

- عايزة أعرف مدى خطورة الشات اللي أنت خايفة منه ده

- بصي أنا عايزة أعرف أعمل إيه وخلاص

- تعملي إيه؟! بعد إيه؟ خليكِ هنا أنا راجعة

- رايحة فين

تتجاهل "غرام" وتنطلق خارجة من مكتبها إلى الردهة الطويلة التي تجمع عددًا من المكاتب فتطرق أحدها في عجل وتفتحه في الحال ليطل عليها وجه "تامر" الذي يقطب حاجبيه في دهشة مبادرها:

- فيه إيه؟ ما لك يا "غرام"؟

- فيه مشكلة محتاجة دماغ راجل فجيتلك يابو الرجولة

- مشكلة إيه فهميني؟ ما لك حد عمل لك حاجة؟

- مش أنا يا "تامر"، "علا"

تتغير ملامح وجه "تامر" فيقطب حاجبيه هاتفًا"

- إيه؟ "علا" مش فاهم.

- "تامر" أنا عارفة موقفك من "علا" وعارفة إنك بتتجاهلها ومقدرة لك ده، ومحترماه جدا ومش بلومك إطلاقًا

- كويس إنك فاهمة ده، أومال جاية تجمعيني معاها في جملة مفيدة ليه بس الله يسامحك

- علشان عارفة إنك عمرك ما إتخليت ولا هتتخلى عن حد في أزمة، خصوصًا لو واحدة ست، حتى لو كانت "علا"

- عمري طبعًا، رقبتي يا ست "غرام" أحرجتيني

- لا أنا ما عملتش حاجة، مواقفك هي اللي دايمًا بتشهد

- إتكلمي فيه إيه؟ عملت إيه "علا"

- "علا" واقعة في مصيبة!

- يا ساتر يا رب

- فيه ولد من اللي كانت بتكلمهم على الفيسبوك بهددها

- بإيه؟

- بيقولها لو ما قابلتهوش هيسيحلها الشات اللي بينهم

- وهي ما قابلتهوش أصلًا؟

- بتحلف إنه لا وإن كل اللي بينهم شات بس

- هههههييي "ضحكة رقيعة"!

- إيه يا "تامر"؟!

- آسف بس هو بينهم شات بس دي شوية، دي ممكن تكون مصيبة

- الله يبشرك بالخير

- معلش أنتِ مش فاهمة حاجة بس هي لو زي ما أنا متخيل فهي فعلا في مشكلة

- الولد بعت الشات لصاحبتها الأنتيم علشان يفهمها إنه مش بيهزر

- أووف، بصي أنا هكلم ظابط صاحبي في مباحث الجرائم الإلكترونية وهنشوف إيه اللي ممكن يتعمل ولو الموضوع جد فعلًا الواد هيتجاب الناس دي مبتهزرش

- بجد يا "تامر"؟

- آه طبعًا، يا بنتي دول شغالين مش بيهمدوا إشي تنمر إلكتروني وإشي ابتزاز وهاكينج للأكونتات وبلاوي

- طيب كويس قوي كده، هروح أطمنها وأجيب منها كل الداتا وأكلمك

- رقبتي يا ست

- عشمي فيك في محله دايما يابو الرجولة

تُسرع "غرام" عائدة إلى مكتبها حيث تنتظر "علا" ويتواصل توترها حين تبادرها "غرام" مردفة:

- "تامر" هيتصرف، مباحث الإنترنت هتجيبه يا "علا" طلعي لي أكونته حالا إبعتيهولي

- "تامر"؟

- خلصي يا "علا" الله يخليكِ مش وقت ذهول، أيوه "تامر" طلعي الاكونت وإبعتيهولي حالًا

- حاضر

تفتح هاتفها وإرسال الرسالة ل"غرام" التي تردف:

- تمام كدا أنا هبعت الأكونت ل"تامر" وهو قال هيتصرفوا وبعدها لينا كلام يا ست "علا"، أنا بتكلم بجد لينا مراجعة للحدوتة دي كلها، أنت فاهمة

- فاهمة والله

- خلاص أهه بعت المسج لتامر ءءء إيه ده؟؟

تحدق "غرام" بهاتفها ويمتقع وجهها وهي تتصفح شيئًا ما

- فيه إيه يا "غرام"؟

- لقيت الأكونت اللي لسًّا باعتاه ل "تامر" باعتلي رسالة

- إيه؟ أكونت "علي"؟ الرسالة فيها إيه؟

- واضح إنه نفذ تهديده يا "علا"

تنهار "علا" باكية مرددة

- يا دي المصيبة.. يا دي المصيبة

تغلق "غرام" هاتفها في ذهول وتربت على كتف "علا" مرددة:

- خلاص اللي حصل حصل، دلوقتي بس فهمت كلام "تامر".. يا ستار يا رب.. إهدي، أكيد فيه حل

- حل إيه بس، أكيد بعت لكل الفريندز اللي عندي زي ما بعتلك، أنا اتفضحت

تلتقط غرام هاتف مكتبها وتطلب رقمًا داخليًّا ثم تردف بصوت خفيض

- "تامر" الدنيا باظت، الولد بعت الشات وفضح الدنيا، بعت لك؟

يأتيها صوت "تامر" عبر الهاتف صارخًا

- يا نهار أزرق، لا طبعا أنا عامل لها بلوك من فترة يا "غرام" هي عندك؟

- آه عندي، منهارة

- أكيد

- العمل إيه دلوقتي

- اللي حصل حصل بقى بس دا ما لوش علاقة بموضوع المباحث هو كدا كدا هيتجاب الناس دي مبتهزرش، أنا كلمت صاحبي وبعت له صورة الأكونت أول ما

أنت بعتيهولي فمتقلقيش هيتجاب، هي بقى لا تعليق سامحيني مش هقدر أقول ولا كلمة في الموضوع دا أنت فاهمة إعذريني

- فاهمة، أنا هفضل معاها وتابع أنت موضوع المباحث ده، يلا سلام

- سلام

تلتفت "غرام" لزميلتها المنهارة التي تبادرها هاتفة

- متنصحنيش والنبي خلاص الدنيا باظت

- مش هنصحك ولا هلومك تاني، بس كفاية أذية في نفسك، الله يخليكي، زمان كنت بلومك علشان شايفاكي لما بتتسلي كدا بتأذي مشاعر ناس يمكن بتعرفك وقصدها شريف ومحترم

- شريف؟! فيه راجل قصده شريف؟ مصدقش، كل الحكاية انه بيبقى صعب على المجتمع اللي العادي فيه إن الراجل هو الصياد يتقبل فكرة قلب الأدوار، ان أنا اللي بصطاد، وأنا اللي بتسلى، وأنا اللي برميهم وأنهي العلاقة

- تمام.. ولما قلبتي الأدوار.. إرتحتي؟ حققتي حاجة م اللي في دماغك يعني؟! مش شايفاكي حققتي حاجة إلا الأذى.. لنفسك قبل أي حد

تزداد نوبة البكاء وتردف:

- أنت مش فاهمة حاجة يا "غرام" أنا مش سوبر زيك

- سوبر؟!! أنا سوبر

- آه سوبر، أنت لوحدك من يوم ما دخلتي الشركة هنا، بيبان الست لما بتبقى لوحدها ولا متجوزة ولا في علاقة، وأنتِ لوحدك من يوم ما عرفتك، بس الوِحدة زي ما قوّتك كدا زي منا شايفة ضعفتني، الوحدة بالنسبة لي وحش بينهش روحي وانا مبقدرش أستحمل الإحساس ده، متلومينيش.. طالما مبتحسيش باللي بحس بيه يبقى متلومينيش

- ومين قال لك إني مبحسش بالوحدة؟! أو إني سوبر زي ما بتقولي

- معرفش، بقولك اللي شايفاه

- مش كل اللي بنشوفه بعنينا بيبقى الحقيقة يا "علا" ياما المظاهر بتخدع، الوحدة صعبة على الكل يا "علا" وياما بتخلينا نصدق حاجات ونتعشم في حاجات، الشاهد في كل دا إنها تكون حقيقية ومنكونش بنوهم نفسنا بيها، "علا" خلينا في اللي حاصل دا وسيبك من أني ألومك أو غيره

- أنا مش عارفة هعمل إيه؟ أنا قفلت أكونتي دلوقتي حالًا، طبعا كمية رسايل مبعوتالي وكلهم بيسألوا واللي بتشمت وو قفلت على كل دا ومش فاتحاه تاني

- كويس، مامتك وباباكي مش عندك صح؟ كنتِ قلتيلي من فترة

- لا مش عندي الحمد لله، بس فيه ناس م العيلة المصونة

- كدا أنت محتاجة تتكلمي مع مامتك وباباكي أكيد

- مش عارفة

- لا عارفة، يسمعوا منك أفضل ما يسمعوا من حد بره

- حد بره مين؟ ما يبصوا لنفسهم، أنت عارفة كل حد في العيلة دي عنده حكاية، كلهم حيطانهم إزار و...

- و؟ كملي

- محدش له عندي حاجة

- يا سلام؟

- "علا" إتكلمي مع أهلك بلاش مكابرة، مش وقتها، مامتك وباباكي ناس كبيرة ومش حمل صدمات أو كلام مش عارفين هييجي إزاي من حد تاني، وبعدين نشوف تامر هيعمل إيه وأنا خلاص خلصت كلام معاكي.. الخلاصة متأذيش نفسك.. كفاية.. إنتهينا

*****

صباح الخير لك..

أتذكرك وأتمنى أن تكون بخير بكل ما تبقى من أيامك..

في حال إن لم أكن أنا فيها!

مواجهة

تتجه "غرام" لفتح الباب إثر طرقات متكررة عليه لتنظر من العين السحرية فتجد صديقتها "سلمى" التي تبادرها هاتفة:

- إيه يا بنتي، خبطت كتير قوي

- معلش يا "سلمى" كان معايا تليفون

- وما لك مكشرة كدا ليه، مين اللي كان على التليفون؟

- "شهاب" أخويا

- خير يا رب الحمد لله انه إفتكرك بس مكشرة كدا ليه؟

- إتخانقنا يا "سلمى"

- ليه بس؟!

- حاجة تقرف متصل يكرر كلام ماما ويقولي إسمعي كلامها وبلاش فضايح ومتكلميش المحامي تاني ووو

- يا لهوي! ثواني بس هو إيه اللي حصل بعد قعدة الصراحة الفظيعة المريعة اللي حصلت بينكم من فترة لما جالك منهار؟ ثانيا أنت واضح مقلتيش أي حاجة من آخر كلام ليكي مع المحامي ليه أو لمامتك صح؟

- مستحملتش والله، سكتت ومعملتش أي حاجة، لا انتازلت عن القضايا ولا بفكر في موضوع التفاهم طبعًا لأنك فاهمة بلطجة الزفت

- فاهمة، والباشا "شهاب" وضعه إيه مع الست "منال" مقلتيش؟

- أنتِ لسًا فاكرة يا "سلمى"؟

- والنعمة ما فاهمة!

- اللي فهمته بعدها إنها كانت فضفضة مش أكتر

- فضفضة!!

- آه، لما حاولت اتكلم معاه بعدها صدني جدًّا كأني بشجعه على خراب بيته، وقالي أنا مش عايز أخرب بيتي وخايف على عيالي ومنال أحسن من غيرها فسكتت

- وعايش؟!

- عايش يا "سلمى" ما فيش أي حاجة إتغيرت، لما بشوفه عند ماما عنيه بتنطق بالبؤس، لكن ما فيش أي خطوة ناحية إنه يصلح حياته

- يلا خليه ينضم لنادي "المُعلقين"

- النادي بقى بيضم ناس كتير قوي يا بنتي

- مش عارفة بيعملوا في نفسهم كدا ليه؟

- جُبن عن اتخاذ خطوة، خوف من محاولة العلاج، متخيل إنه بيضحي علشان ولاده، يعني زيه زي رجالة وستات كتير

- الناس دي أكتر ناس بتتعب لما يعدي بيها الزمن وتصفى لوحدها برضو، لو متخيل الولاد اللي بيتربوا في بيت منهار كدا هيقدروا له إنه مهدش البيت عشانهم يبقى غلطان

- عيال الزمن ده.. تؤ.. مظنش هيقدروا حاجة زي دي لو إتقالتلهم

- بصي هو غلطان أكيد، العقل والعدل وحقه كإنسان بيقول يا يحل يا يفضها سيرة

- العقل! مين دا اللي عايزاه يتصرف بالعقل؟! "شهاب"

- أنت عارفة "شهاب" كل اللي يعرفه في الدنيا هو اللي طنط "ناهد" بتقوله وبتقرره حتى رغيه في موضوع المحامي ده، تلاقيه أخد منها الكلمتين وراح مكلمك يعمل اللي عليه ويقولهم وكان الله بالسر عليما فمعلش متلوميش عليه ولا تاخدي على كلامه يا بنتي معلش

- دنا بهدلته ابن أمه دا علشان يبطل يكرر كلام ماما ويخرف كدا خليه يسترجل شوية

- أنتِ يا ست أنت مش قاعدة تحكي لولادك وولادي من يومين على الرجالة والستات اللي لازم يعيشوا في تبات ونبات وميتخانقوش والقوامة يعني إيه والاخوات اللي لازم يسمعوا كلام بعض وإزاي النبي "ﷺ" كان بيستحمل زعيق ستنا عائشة من كتر حبها ليه وغيرتها عليه واااواااااا

- آه حصل، بناتك حكوا لك؟

- أيوه كانوا مبسوطين قوي، بس مش دي الحدوتة

- أومال إيه؟

- بسألك يعني علشان الطريقة اللي بتعاملي بيها أخوكي و"أكرم" دلوقتي وءءءء

- "أكرم" وأخويا!! بس يا "سلمى" بس متكمليش

- ليه بس؟

- وهما دول رجالة؟! وهو ربنا قال ننزل نوزع طاعة ورضا على اللي يستاهل واللي ميستاهلش؟ على العاقل وعلى واحد سفيه زي "أكرم" وواحد مشوه زي "شهاب" أخويا؟ على واحد بيعرف معنى الرجولة ونساوي بينه وبين واحد مخنث زي "وليد" اللي ماشي يتحرش بطوب الأرض ومش سايب!! التمييز يا "سلمى" التمييز

- آآآه واحد بيعرف معنى الرجولة زي "محمود" مثلًا؟!

- مثلًا

- مممم لا وأنتِ الشهادة لله عرفتي تعاملي أبو الرجولة دا صحيح وإدتيله حقه وزيادة

- سلمى!!

- بلا "سلمى" بلا بتاع بقى أنت عمرك ما كنتِ قاسية كده

- قاسية؟!! أنا يا "سلمى" قاسية؟!

- أيوه يا ست، قاسية قوي على نفسك وعلى عيالك كمان

- أنا قاسية على عيالي؟!! أنت بتقولي إيه؟

- أيوه يا "غرام" قاسية وغبية كمان علشان تستخسري في نفسك راجل حنين يعوضك عن القرف اللي شفتيه في حياتك، راجل أنت نفسك شهدتيله إنه محترم وحنين وفارس ووو مش دا كلامك يا حقانية يا بتاعة التميز؟!

- أيوه كلامي

- ولما هو كلامك بتستخسريه في نفسك ليه، بلاش إنتي.. ليه تستخسري في عيالك راجل نضيف متزن يعوضهم عن اللي شافوه من أب مريض نفسي هه ليه؟ ليه تضيعي عليهم فرصة دهب يعرفوا فيها معنى كلامك اللي بتقوليه دايما عن الفرص التانية وعن ان صوابعنا مش زي بعضها! مش دا كلامك يا "غرام" بطلي عياط وردي عليا أنا عمري ما كنت قاسية عليكِ وعمري ما عارضتك في حاجة أصلًا، أنت بالنسبة لي بوصلة يا صاحبتي، بوصلة للصح والغلط والميزان اللي بتوزني بيه الدنيا، كنت بستغرب إزاي بتفصلي بين حد والتاني، وإزاي بعد "أكرم" كنتِ بتقولي إن الدنيا لسًّا فيها خير ورجالة كويسة أكيد، طب إيه بقى؟ اثبتيلي كلامك لو عايزاني أسكت وأفضل مصدقاكي

- مش قادرة يا "سلمى" خايفة ومرعوبة، أنا معشتش حياة قاسية مع "أكرم" زي ما بتقولي، أنا شفت السواد بعينه، شفت الذل مجرد، واجهت كل الوحش اللي في الدنيا دفعة واحدة، أنا عشت خدامة غبية مستسلمة لواحد دلوقتي مستنضفش إنه يمسحلي جزمتي

- دلوقتي، أديكي قلتيها.. دلوقتي.. يعني عدى وفات وأمي دايمًا تقول (اللي فات مات) خلاص مات واندفن وما فيش ميتين بتصحى

تقترب "سلمى" من صديقتها التي تذرف دموع الوجع فتحتضنها وتربت على كتفها وتردف متمتمة:

- عارفة إنك اتهانتي واتهدلتي، بس رفضتي وقدرتي تبعدي ووقفتي وقمتي على حيلك، إدي نفسك فرصة وخلي الدنيا تعوضك وتحن عليكي

ثم تبعدها في حركة مفاجئة هاتفة:

- ادي نفسك فرصة تلاقي الطبطبة يا فقرية

تضحك "غرام" وسط دموعها المنهمرة فتردف صديقتها:

- أنت محتاجة تصفي دماغك وتفكري كويس

- دا حقيقي

- طيب حيث كدا بقول لك إيه

- إيه؟!

- خدي مفتاح شاليه السخنة، اطلعي إقعدي يومين مع نفسك، مع نفسك وبس وأنا عارفة إن ربنا هيلهمك الصواب

- لا يا "سلمى" والولاد وءءء

- الولاد معايا يا ستي متقلقيش و"حسن" بايت اليومين دول في الشغل الله يعينه ففاضيالهم متقلقيش، علشان خاطري يلا حضري نفسك وروحي

- مش عارفة أقولك إيه يا "سلمى"

- قوليلي إنك هتبقى كويسة، وإنك هتفكري كويس، وإنك هتهدي

- حاضر

- الشاليه متنضف وزي الفل والتلاجة فيها أكل كمان إحنا لسًّا راجعين منه الأسبوع اللي فات، يلا إتفضلي من غير مطرود يا ست إنتي

تندفع "غرام" تجاه صديقتها التي تضمها وتربت على كتفها برفق وتسقط دموعها هي الأخرى وهي تتمتم ((لعله خير حبيبتي.. لعله خير))

*****

خطواتي تتصارع..

خطوة لها مذاق الحنين الجارف تدفعني نحوك،

وأُخر تنزعني من الطريق فتُرديني وحيدة!

العودة

تستعيد "غرام" وعيها بالتدريج بعد ليلةٍ من النوم المتقطع غير المنتظم، يترامى إلى مسامعها صوت أمواج البحر، تتحرك ببطء من فراش غرفة النوم بشاليه صديقتها لتزيح ستائر التراس الثقيلة لتغزو شمس الظهيرة وجهها المُجهد فتُغمض عينيها وتلتفت للغرفة حولها لتتفحص حذاءها المُلقى بجانب السرير وحقيبتها المتروكة على الأرض، تحدث نفسها متمتمة: "أنا وقعت من طولي من التعب، إيه الفوضى دي كلها".

تحين منها التفاتة لملابسها التي لم تكن قد نزعتها فتُحدث ساخرة: "حتى البلوزة والجينز نمتي بيهم، إيه الهبل اللي أنت فيه ده؟ قهوة.. هو أنا حَلّي قهوة علشان أفوق.

تتجه لحقيبتها لتُخرج منها خُفًّا لترتديه وتعقص شعيراتها الطويلة المتناثرة خلف ظهرها لتتجه إلى مطبخ الشاليه المفتوح على "الريسبشن" فتزيح ستائره هو الآخر فتضيئه الشمس كما لو كان به مصابيح قوية، تتجه لدولاب المطبخ فتفتحه ثم تبتسم متمتمة: "أصيلة يا "سالومي" البن الجامد والكنكة ومش ناقص غير إني أعمل فنجاة القهوة الجامد وأفوق، حبيبتي يا "سلمى".

تنتبه وكأن الوعي قد عاد إليها فجأة وتهتف: "سلمى" أنا مطمِّنتهاش! فين التليفون؟

تهرع إلى غرفة النوم لتسحب هاتفها من الحقيبة لتجده مغلقًا بعد فراغ بطاريته فتُسرع إلى "الريسبشن" وتضعه بشاحنه وتبادر بفتحه سريعا حتى إذا ما فتح انهمرت عليها الرسائل القَلِقَة من "سلمى" فتسارع بتسجيل رسالة على تطبيق "الواتس آب": "صباح الفل يا "سالومي" أنا آسفة والله وصلت تعبانة قوي ونمت

فورًا لدرجة إني نمت بهدومي والله، أنا كويسة ما تقلقيش عليَّ أنا مصدعة بس، هشرب قهوتي وهكلمك".

تلمح علامة قراءة رسالتها في اللحظة نفسها فتترك الهاتف مبتسمة ثم تعود للمطبخ وتشرع في إعداد قهوتها وهي تسمع صوتَ ورود رسالة على التطبيق فتتمتم: "الشعنونة إتطمنت هههههه".

تضع القهوة على نارها الهادئة وتلتفت لريموت كنترول الساوند سيستم لتشغله متمتمة: "أما نشوف كنتم مشغلين إيه يا ست "سلمى" (بابا أوبح) أكيد.

تضغط على زر التشغيل فينساب صوت موسيقى ناعمة، وعود يُعزف برقة فتهتف: "أيوه بقى.. ظلمتك يا "سالومي".

تُسرع لمتابعة قهوتها وتنساب كلمات الأغنية من جهاز الصوت

((ويا تشرين في بيروت!

ويا نيسان في حيفا!!

أحبّكِ إنها عطشٌ..

بقلبي دون أن يروى!

ويا بلقيس عند نزار..

كل الحب يا ليلى!

أنا المجنون يا ليلى..

وحالي بعدكِ يرثى!

ولا أأبى بغير الميم أن أعشق،

وغير الميم أن أهوى!!

أحبّكِ ليس لي شغفٌ..

بهذي الأرض إلا أنتِ

ولا أتصوّر الدنيا بدونكِ أن تُرى دنيا!

شعر: لوردلي

تُلقي نظرة على الهاتف وعلى رسائل صديقتها التي تنهال عليه فتبتسم في حنان وترسل لها قلبًا نابضًا ثم تغلق شاشة هاتفها وتتجه للتراس لتجلس لاحتساء قهوتها مغمضة عينيها وهي تستمع للأغنية الرقيقة التي تستمر كلماتها الاستثنائية في التدفق لمسمعها فُتبهج حواسها

((ولا المعنى،

بلا عينيك يا أنتِ،

يتمم صورة المعنى..

وماذا لو تلاقينا؟

وأمسينا..

وأفنينا الحياة لهم.

نغني الحب كي ننسى!

تفرقنا..

تمزقنا، وكان الخوف مذهبهم!

كأن الحزن في الدنيا

حبيبًا لا يفارقهم!

وأعلم أنني تعبٌ،

وأعلم ما معاناتي!!

أخاف الحزن، والأوجاعَ،

تأكل من ملذاتي..

أخاف فراق أحبابي،

وأعني حزن أبياتي!

أحبك.. لا تدع ألمًا،

يعكر صوت آهاتي!

تُنهي فنجان قهوتها وتتنهد من أثر الكلمات التي تلمس شغاف قلبها المضطرب، تضع الفنجان على المنضدة الصغيرة التي تجاور مقعدها الوثير، تطلق زفرة حادة وهي تتأمل البحر مصارعة نفسها في الحديث:

" إيه يا ست، سمعتي كلام "سلمى" ليه؟، ناوية تحنِّي ولّا إيه؟ ولا هحن ولا حاجة، أنا فعلًا تعبت وأستاهل أجازة ولو يومين، بقالي كتيير قوي موقَّفْتش الموتور اللي شغال مبيهمدش ده.

تعود لتتنهد مغمغمة:

"طب ولحد إمتى يا "غرام"؟ هتفضلي لوحدك يعني؟ وليه لأ؟ يعني أفضل لوحدي ولّا أنجرح تاني؟ ولّا أكرم ياخد ولادي ويهدلهم؟

سيبك من حكاية "أكرم" دي أنت فاهمة إنها كدبة بتكذبها على نفسك، هو فاكرهم أصلًا؟

حتى لو مش بسبب الولاد، آه أنا خايفة أنجرح وأتعب، الحقيقة إني خايفة أصدق إن فيه راجل كويس بجد وبيحبني، خايفة أبقى تحت سلطة راجل تاني، خايفة أصدق وأرجع أتوجع تاني

طب والوحدة والدفا؟ والغطا اللي فوق بعضه وبرد الروح؟ ما تنكريش إنك حبيتي "محمود"

حبيته.. حقيقي.. لسًّا بحبه كمان ومش عارفة أشيله من دماغي ولا أبعده عن تفكيري، وواحشني.. أيوه واحشني.. حاسة إن قلبي يتيم من غيره..

بس ولو ... خلاص انتهينا.. على رأي الست "نجاة"

(لا العاشق مرتاح ولا الخالي مرتاح، خلينا من السكة دي على البر مراكبية)".

تنتفض "غرام" على صوت جرس الشاليه الذي يفاجئها وتُسرع للباب للتحقق من القادم مغمغمة: إيه يا ست "سلمى" جاية تعملي عليا كبسة، هههه قلبي كان حاسس والله مش هتسيبني المجنونة.

تجذب باب الشاليه بحماس فاتحة إياه ولا تلبث إلا أن تتجمد بمكانها تحملق بعيون القادم الذي يقف أمامها في هدوء وثبات متأملًا عينيها ومتنقلًا بين العينين في حنين جارف:

- إزيك يا "غرام"

- "محمود"؟!!! بتعمل إيه هنا؟

- يعني ما فيش حمدا لله على السلامة

- ءءء بتعمل إيه هنا، لو سمحت رد عليا، طيب يا "سلمى" حسابك معايا عسير

- مدام "سلمى" ما عملتش حاجة الحقيقة أنا اللي ألحيت عليها إني أعرف مكانك، مش هتقوليلي إتفضل

- آسفة بس أنا لوحدي و ءء مش هينفع ءء

- خلاص إتفضلي معايا نروح أي مكان نتكلم فيه، أنا عارف السخنة كويس زي مانتي فاهمة.

- "محمود" من فضلك أنا مش عارفة برضه أنت جاي ليه؟ ما فيش حاجة نتكلم فيها وءء

- تمام، أنتِ قلقانة ليه بقى لما هو ما فيش حاجة؟!

- كمان الخدمات هنا مقفولة يعني ما فيش مكان نروحه فالأفضل إنك ءء

- بسيطة يلا ننزل راس سدر أو أي مكان.

- أنا مش هسافر معاك أي حتة

- سفر إيه بس دا نص ساعة بالعربية

- "محمود"

- نعم؟

- عايز إيه، أنا فعلًا مجهدة ومستنفذة وجاية أرتاح هنا

- أنا مش جاي أتعبك، هتكلم معاكِ بس شوية، عمري ما حسيتك بخيلة ولّا مبتحبيش الضيوف يا ستي، بعدين فيه وعد وعدتهولي ولسَّا موفيتيش بيه.

- وعد؟!

- أيوه، فنجان قهوة من إيدك، فاكرة؟ هشرب قهوتي معاكِ وهمشي لو قلتيلي بعدها إمشي، كتير عليا؟

تتنهد مستسلمة:

- لا مش كتير.. هتمشي لو قلت لك إمشي! إتفقنا، إتفضل بره على التراس

يبتسم "محمود" ويتقدم من التراس حيث تشير إليه ليجلس لكنه يقترب من المطبخ المفتوح حيث تُعد القهوة بارتباك لا مثيل له، يتأملها صامتًا فتشعر بعينيه

تخترقها من الخلف فتُنهي تحضير القهوة ووضعها على الموقد سريعًا لتلتفت له مواجهة نظراته الحميمة:

- إزيك

- الحمد لله يا "محمود"، إزيك أنت؟

- مش كويس

- ليه؟ ما لك؟ صحتك تعبت تاني؟

- طبعًا

- طبعًا! ليه طبعًا؟

- مانتي عارفة حكاية الضغط العصبي اللي فهمتهولك

- آه

- طيب، أكيد أنت فاهمة يعني إني مش بعيش أحسن أيام حياتي

- ليه؟

- بتسألي؟ أفتكر أنت عارفة إني مش كويس من غيرك

- معلش، هتتعود

- هتعود؟

- آه هتتعود ويمكن تلاقي بدايل مقنعة كمان

- وأنتِ بقى لقيتي بدايل مقنعة؟

- أنا؟ لا أنا مبدورش على بدايل من الأصل

- إيه؟ مش قادرة تنسيني؟

- "محمود" من فضلك

- نعم؟

- ما فيش، إتفضل علشان تشرب قهوتك

- يلا

يتجه للتراس وتتبعه حاملة القهوة، تتعجب بداخلها لعدم حمله لفنجانه كما اعتادت منه كلما كانوا بأحد الأماكن، تشعره مختلفًا لكنها لا تنطق وفقط تتبعه ثم تضع الفنجان أمامه حال استقراره على المقعد

يلتقط الفنجان ويرتشف أول رشفة منه فيغمض عينيه مصدرًا همهمة استمتاع

- مممممم.. الله

- بالهنا

ينظر إليها صامتًا وفقط يُكمل فنجانه باستمتاع مما يربكها فيجعلها تشيح نظرها عنه ثم لا تلبث أعصابها أن تُعلن لها أن تنطق وتنهي الموقف تجنبًا للانهيار فتبادره

- إيه، مبتتكلمش ليه؟

- أنت عايزة إيه؟

- أفندم؟

- عايزة إيه بالظبط يا "غرام"؟

- مش فاهمة.

- مش فاهمة إيه؟ بسألك سؤال بسيط وواضح، أنت عايزة إيه؟

- عايزة إيه من إيه؟

- مممممم طريقة هروب جديدة عليكِ دي، عمرك ما كنتِ بتفرهديني كده، بس واضح إن التوتر كتير عليكِ، وعليا والله.

- هو أنت بتتلكم كدا ليه؟ أنت سايق المسافة دي كلها علشان تتخانق معايا؟

- أتخانق؟ أنا؟ عملتها قبل كده؟ قوليلي؟

تشيح بنظرها محدقة في الفراغ حيث أمواج البحر مغمغمة

- عمرك

- طيب كويس، بعمل حاجات كويسة يعني منيش وغد تُوتَالِي

- وغد!، "محمود".. أنا عمري ما قلت عليك حاجة وحشة

- ودا ليه؟ بتجامليني يعني؟

- لأ طبعا

- حلو والله

- هو إيه اللي حلو

- طيب نرجع للسؤال المهم، عايزة إيه؟

- تاني

- آه تاني وعاشر، مش قلت لك قبل كدا لازم يبقى فيه هدف من أي حاجة بنعملها، والتصرفات اللي بنعملها تخدم الهدف دا وتوصل ليه؟ قلت أنا كدا صح؟

- كان نفسك تطلع مدرس بدل رجل أعمال ولّا إيه؟

- أهو دا سف خارج الموضوع خالص، روح النجيب كوميدي تسللت ليكي وأنا بعيد، معلش كله بيتصلح

- براحتي

- آه طبعًا بس كله بالعقل علشان شكلنا ما يبقاش كلو.. احم .. فيونكات

- شكلنا قدام مين إن شاء الله

- قدام عم عبده البواب

- نعم؟ "محمود" أنت شارب حاجة

- المرار

- إيه؟!

يعلو صوته فجأة ويتغير تون الصوت بشكل لم تسمعه من قبل

- شارب المرار من كيعاني يا ست "غرام" مراااار سمعتها

- أنت بتزعقلي، أنت إتجننت

- من ناحية إتجننت آه طبعا أنا إتجننت وراحت مني خالص، هاه إيه تاني؟

- أنا مش فاهمة منك حاجة

- لا أنت فاهمة كويس، ممكن تقولي لي أنت عاوزة إيه؟ بقالنا فترة مبنتكلمش، وصلتي للي أنت عاوزاه، مرتاحة يعني؟

تشيح بنظرها صامتة فيستطرد

- ردي عليا، مرتاحة، وصلتي للي أنت عايزاه؟

- موصلتش لحاجة بس على الأقل مخسرتش، متوجعتش، ممشيتش في سكة مش عارفة آخرها

- متهيألك، اللي أنت فيه دلوقتي هو المجهول، والوجع طايلك "آند جيس وات" بإيدك أنت مش على بإيد حد تاني

- برضه أرحم

- متهيألك، أنت بتهربي من مصير وهمي موجود في دماغك أنت بس

- مبهربش من حاجة يا محمود

- فعلًا؟

- أيوه

- إيه دليلك؟

- أنت فاهم رفضي غلط

- بجد؟

- أيوه

يقترب منها بغته كعهده دائمًا محدقًا في عينها ببئر عينيه الممتلئتين بالعسل الذي لا ينضب مغمغمًا:

- طيب فهميني

تتراجع خطوة مشيحة بوجهها عن وجهه وعيناه مردفة

- الموضوع واضح على فكرة بس أنت زي الباقيين تقريبًا مش عايز تستوعب اني حرة أكمل لوحدي أو لأ دا اختياري، ما فيش حاجة في الدنيا تجبرني على اني مبقاش لوحدي، أنا حرة حرة حررة

- مممم طيب منا عارف إنك حرة، أنا مأنكرتش ده

- أومال إيه؟

- لا مفيش، ممكن طلب؟

- نعم؟

- ممكن تمارسي حريتك دي في ألوان لبسك، لون شعرك اللي مش عايزة تغيريه دا وإياكي تغيريه، أو مثلا في الأكل اللي هتاكليه أو حتى في إنك تلبسي صيفي في عز الشتا، في أي أي حاجة تانية إلا أنك تأذي نفسك

- أأذي نفسي، علشان رافضة أتجوزك يبقى بأذي نفسي

- هو أنت رافضة تتجوزيني؟ محصلشي

- أفندم؟

- أنت رافضة تتجوزي أساسًا

- صحيح

- بس مش دي القضية، أنت بتضيعي عمرك يا "غرام" بتضيعيه في الخوف وده أسوأ شيء حد ممكن يعمله في نفسه، لما إتكلمنا عن الخوف زمان قلنا إيه؟

- أنا ما قلتش، أنت اللي قلت، وعلمتني

- مش باين والله إنك استفدتي أي حاجة أو إني عرفت أعلمك أي حاجة

- بالعكس

- أنا إتعلمت منك حاجات كتير قوي

- طيب قلت لك إيه عن الخوف

- قلت كتير، فكرني

- فعلًا قلت كلام كتير عن الخوف، مثلًا ان انتظار الشيء اللي خايفين منه والتفكير فيه والترقب دا أصعب بكتير من الشيء نفسه بكل توابعه، فاكرة؟

- فاكرة

- طيب وإيه؟ القصة في المواجهة، دا ميوصلناش لحاجة؟

- مش كل الكلام الصح اللي بنبقى عارفينه تطبيقه بيبقى بسهولة معرفته

- سفسطة

- نعم

- رد من أجل الرد علشان تلاقي مخرج لنفسك

- لا طبعا مش بدور على مخرج

- مخرج من الحديث.. من الحوار، مش من الأزمة

- أنا مش في أزمة

- أكيد لازم تقولي كده

- ليه؟

- لأنك صانعة أزمتك المرادي، متخيلة؟ مدركة ده؟ بعد كل الأمور القهرية اللي مريتي بيها في حياتك، جاية تختمي الليلة بقهر من نوع جديد، قهرك لقلبك، بادّعاء قال إيه بتحميه!!!

تشيح بوجهها صامتة منكرة فيستطرد

- أنا مش هسيبك تأذي نفسك، صدقيني مش هقدر، طول الفترة اللي فاتت بفكر إزاي أخرجك من الأزمة دي، وهخرجك

*****

بالخارج وعلى مسافة قريبة من الشاليه وبالقرب من جراج السيارات المجاور له تقف سيارة نقل صغيرة وسيارة أخرى ترجل منها قائدها حيث كان الشاب الصغير قائد السيارة النقل يتفقد ساعة يده ويتحدث مع شاب وفتاة اللذين يستندان على السيارة الأخرى

- شكل الحكاية مطولة ولّا إيه؟ دا بقاله نص ساعة

تضحك الفتاة ساخرة موجهة حديثها للفتى الذي يصحبها

- الحكاية شكلها هتبوظ ولّا إيه يا عماد؟

يجيبها الفتى الذي يلقى نظرة على محتويات سيارته

- لا لا هتبوظ إيه بس، فال الله ولا فالك يا شيخة، اللي يعمل كل دا يبقى أكيد متأكد من النتيجة.

- مش شرط على فكرة بدليل إنه قال لإبراهيم لو رنيت لك إبتدي ظبط شغلك حوالين باب الشاليه وإحنا نبتدي نظبط شغلنا كمان، يعني لو مرنش يبقى باظت، مش كدا يا إبراهيم؟

- بصي بطلي نبر في الموضوع والحكاية هتمشي، يا باي عليكِ يا شيخة

- مش نبر والله بس إتأخر قوي ونفسي ننجز ونخلص

يلقي إبراهيم نظرة ثانية على ساعته مردفًا

- أنت أصلك متعرفيش باشمهندس "محمود" دا يا بنتي راجل ما يعرفش الفشل أبدًا، دا اللي بيتقال عنه في الشركة

- تعرفه من زمان؟

- آه طبعا بورد الزرع والورد بتاع الشركة من زمان وياما قابلته وإتكلمت معاه تحسيه الراجل بتاع التفاصيل الصغيرة، دا غير إنه محترم وجابر بخاطر أي حد بيشتغل معاه، أنا فعلا بنبسط لما بيبقى بيني وبينه شغل وأنجزه تمام

- طب يا رب ننجز له شغل النهاردة دا تمام كمان

- شغل النهاردة دا أصعب شغل طلبه مني الباشمهندس، حكاية لو رنيت لك إشتغل، مرنتش وخرجت لك يبقى حسابك ومع السلامة دي هي اللي ملخبطاني، علشان كدا كلمتكم وظبطنا، بس قلبي حاسس إن الحكاية هتظبط وهيرنلنا ونمنجه المسائل

- يا رب

*****

تلتفت "غرام" لتواجه عينيه المُصرتين مردفة:

- وأنت يعني كنت قاعد الفترة اللي فاتت لوحدك؟ ما أنت كنت براحتك جدًّا

- يعني إيه؟!

- يعني مقضيها يا باشمهندس

- مش فاهم بس ممكن تكوني أكثر شجاعة وتحديدًا

- أنا مبخافش يا "محمود"

- تمام.. واضح، فهميني بقى قصدك علشان مش واخد بالي

- يعني منتاش الراجل اللي انهار وقضى الكام شهر اللي بعدنا عن بعض فيهم لوحده ولا حياته انتهت ولا ولا

- تمام

- تمام؟!!

- آه تمام، عايزاني أقول لك إيه بالظبط، هو كلامك صح الحقيقة بس برضه له كمالة أنت مش بتقولها، ممكن تقولي

- ياااه، والله أكمل طالما مش فارق معاك قوي كده، يعني قصدي كنت بتخرج وبراحتك خالص يعني حتى كنت في سفن ستارز من حوالي عشرة أيام مع بنت صغيرة شعرها بني وءءء

- ولابسة دريس نبيتي قصير وهيلز ٩سم

تحملق "غرام" بوجهه صامتة ذاهلة فيبادرها

- ما لك؟

- أنت بتعترف عادي كده؟

- أعترف؟

- آه بتعترف إنك كنت بتخرج مع بنات وستات ومقضي وقتك

- هو مش اعتراف هو حقيقة، حصل

يعلو صوتها بعد أن اشتعل غضبها

- ولما هو حصل أنت جاي عايز مني إيه دلوقتي، سايق ساعة ونص لحد هنا وعاوز إيه؟

- عاوز أقنعك تغيري موقفك ورفضك ونتجوز

- نتجوز؟

- آه نتجوز، هو أنا عمري طلبت منك حاجة تانية يا "غرام"؟

- أنت بتقول إيه؟! نتجوز إيه وإنت عايش حياتك؟ وءء أنت لخبطتني أنا مش فاهماك، أنا ءء أنا مبقتش عارفة حاجة أنت تعبتني

- أنا؟ ليه؟

- منين بتحبني وعايز تتجوزني ومنين أول ما رفضت طلبك وسبتك رحت تعيش حياتك

تتبدل نظراته للحزم والقوة والتحدي ويردف:

- مممم، وهو أنت فاكراني هكذب عليكِ وأعيش دور المكلوم اللي حبيبته سابته ورفضت تتجوزه؟ أنت تعرفي عني إني راجل كذاب، هضحك عليكِ مثلًا وأقول لك أبدًا يا "رومة" مشفتش طرف ست في غيابك واللي شفتيها معايا دي مندوبة شركة الصابون مثلًا وكانت جاية تتطمن على الرغاوي!

- "محمود"

- نعم

- بطل سخرية

- مش بسخر أنا بحاول أوريكي الحقيقة اللي أنت مش عايزة تشوفيها، واللي مهما عملتِ مش شايفاها برضو هي حاصلة

- إنك بتخونني

- لا يا سكر، إني هكمل حياتي لو استمريتي في رفضك وعِندك، هكمل عادي.. عادي جدًّا، يمكن مش هعيش سعيد قوي زي ما بتخيل حياتي لو كنت قريب منك، يمكن مش هكون نفس الراجل اللي كنته معاكي، يمكن عيوني مش هتبقى إيه؟ مش فاكر.. كنتِ بتقولي عليهم إيه بس نسيت؟

تشيح ببصرها عنه بغضب فيقترب خافضًا صوته ومحولًا نبرته مردفًا

- آه.. "بير العسل" مش كده؟

يلمس ذقنها فيحرك وجهها تجاهه بهدوء متسائلا

- صح؟

- بئر

- أفندم؟

- بئر، اسمها بئر

- فارقة قوي يعني؟

- ملكش دعوة، أنا حرة أقول اللي أنا عاوزاه

- حرة حرتين تلات حرات يا ستي، عقدتيني بموضوع حريتك ده

- أنت عاوز إيه دلوقتي؟ مش بتقول هتكمل حياتك؟ وهتعيش وهتكمل ووو

- حقيقي

- كويس، عاوز مني أنا إيه طالما قادر تعيش حياتك

- القصة مش فيا، أنا من زمان عارف أعيش حياتي

- جود فور يو، أومال القصة في إيه؟

- القصة فيكي إنتي؟ فيكي أنت يا "غرام" أنت عايزة إيه؟ طب عملتِ اللي فعلًا عاوزاه؟ طيب سعيدة بده؟ مبسوطة يعني؟

- ما تشغلش بالك؟

- بجد؟

- آه بجد، أنا هبقى كويسة

- عمري ما حسيتك ممكن تكذبي، علشان أنت مفروض مبتخافيش

- طبعًا مبخافش

- طيب قل لي الحقيقة

- حقيقة إيه يا "محمود"

- أنت عايشة كويسة؟ سعيدة كده؟

- طبعًا، سعيدة جدًّا، قلت لك قبل كدا ما فيش حاجة في الدنيا تجبر حد يرتبط، ما فيش، ما فيش، ما فيييييش

- صح عندك حق، بس دا الشخص اللي فعلًا عايز يعيش لوحده، أنت مش الشخص ده، أنت بتحبيني وأنا بحبك، أنت مش الشخص دا يا غرام ما تكذبيش

تنهار غرام على أقرب أريكة واضعة يديها على وجهها صائحة بصوت عالٍ واهن:

- كفاية بقى كفاية أنا مش قادرة، سيبني أعمل اللي عايزة أعمله

يقترب منها صائحًا

- وليه؟ أسيبك تعملي حاجة بتعذبك لييييه ؟ لييييه

تنتفض وقد انفجرت دموعها على وجهها، فتزيح يديه التي تمسك كتفها صائحة

- علشان بخاف، آه بخاف، ارتحت، وقلت لك إني بخاف من ساعة ما إتقابلنا، بخاف ومش عايزة أذى من حد تاني، بخاف ومش عايزة أخسر تاني، بخاف ومش عايزة أفشل تاني.. بخاف ومش عايزة أخاف تاني.. بخاف لإني بحبك ومش عايزة أخسرك، بخاف وعايزاك تبعد علشان مبقتش مستحملة أعيش الخوف دا بسببك.

يقترب ممسكًا بأكتافها مرة أخرى مردفًا بهدوء

- كلنا بنخاف على فكرة، مش عيب، بس العيب إننا نتخيل إن حل الخوف دا الهروب، تعرفي، أعلمك حاجة جديدة؟!

تشيح بوجهها الباكي عنه فيستطرد بصوت مرهق خفيض

- الخوف له احتمالين يا "غرام" يا يتحقق يا لأ، لو جربنا هنعرف وهنتعلم ويمكن ميتحققش وننجى بقلوبنا من دوامة التيه دي، لو مجربناش بقى هنفضل خايفين على طول، هنفضل أسرى لنداهة نفسنا، هنتحول إحنا لنداهين على بوابة تيه الخوف، هنفضل نلفف نفسنا بنفسنا في نفس الدايرة وساعتها مش هيبقى من حقنا نلوم أي حد غير نفسنا، لآخر العمر.

يتراجع ممسكًا برأسه مغمغمًا:

- أنا تعبت

تلتفت متفحصة إياه مردفة

- ما لك؟ أنت تعبان

- عادي ما تشغليش بالك

- رد عليا من فضلك، أنت تعبان بجد؟

- عادي بقولك

- هو إنت.. ضغطك مظبوط؟ أكلت إيه م الصبح؟

يغطي وجهه بيده ويُخيل لها أن أصوات أنفاسه يعلو أكثر من المعتاد فتقترب منه مردفة:

- "محمود" رد عليا أكلت إيه م الصبح؟

يأتيها الصمت مجيبًا فتقترب منه دافعة يده عن وجهه

- "محمود" بقولك رد عليا أنت حاسس بإيه

ينظر إليها وهو يعتصر جبهته مغمغمًا بضعف

- فارق معاكِ إيه يعني، سيبيني أنا همشي وهبقى كويس

تهرع فتفتح البراد لتحضر زجاجة عصير لتصبها وتعود له لتقدمها له مردفة:

- أنت مش هتتحرك من هنا أنت أصلًا مش قادر تتحرك، اشرب العصير دا وبعدين أنت حر، رد عليا أنت أكلت حاجة أصلًا م الصبح؟

يرد يدها بعيدًا في صمت فتردف:

- يبقى لا أكلت ولا شربت، حرام عليك ليه تعمل كده، علشان خاطري اشرب العصير ده

يهز رأسه علامة الرفض مردفًا

- لا أكلت صدقيني سيبيني بس أنا هبقى كويس

- مش هسيبك أنت مبتقولش الحقيقة علشان أسيبك تمشي

- لا يا حبيبتي متقلقيش

- شفت، أنت مش عايز تقولي علشان مقلقش

- يا "غرام"

- طب احلف كدا إنك أكلت وهسيبك

- وحياة "غرام" أكلت؟

- بجد؟ طيب أكلت إيه؟

يجيبها بصوت هادئ خافت:

- ساندوتش شاورمة فراخ وتشيز كيك بالراسبري وعصير توت

- هه؟

- وقهوة بعسل النحل من إيديكي الحلوين دول

تتراجع "غرام" للخلف محدقة في وجهه وتغمغم ذاهلة

- إنتاااا

تتسع ابتسامته وتدب العافية فيه على فجأة مقتربًا منها باسمًا

- أنا بحبك

- إنتاا، أنت كداب

- أبدًا والله دا أنا ضغطي طااخ فعلًا بسببك وماسك نفسي بالعافية، أنت عايزة تموتيني وتعيشي باقي عمرك تندمي وتبقى شايلة ذنبي؟

- بعد الشر عنك يا كداب

يطبع قبلة على جبينها معتذرًا

- كدبة بيضا بقى معلش سامحيني

يُخرج هاتفه فيفعل شيئًا على شاشته فتحاول أن تتبين ما يفعل فلا تعرف، سرعان ما يغلق هاتفه ليضعه في جيبه مرة أخرى

تغمغم مستسلمة:

- وبعدين يا "محمود"؟

- كتير

- إيه؟

- فيه بعدين كتير، دا إحنا يا دوب هنبتدي

- كل دا ولسَّا بنبتدي، دا أنت هلكتني

- مفترية، بس أنا راضي.

- فتحت موبايلك ليه؟ هِه؟ ليه؟

- مش بقولّك مفترية وبتسألي على كل حاجة

- سؤال عادي يعني

- طيب هقولك بس كله بأوانه

- يعني إيه؟ مش فاهمة

يرن هاتفه رنة سريعة فيبتسم ابتسامة واسعة مردفًا

- يعني حان الآن إنك تفهمي، تعالي

يحتضن كفها ويجذبها متجهًا لباب الشاليه ويرتفع صوت موسيقى وكلمات تعرفها جيدًا

((وتعبيرًا عن الحالة اللي جوايا
هقول كل الكلام دلوقتي لعنيكي
وجودك جنبي بالنسبالي دا كفايه
موافق اعمل اي حاجه ترضيكي))

يصل لباب الشاليه فيجذبه تاركًا يدها فتتراجع هي إلى الخلف ذاهلة وهي تتأمل الورود التي غطت مدخل الشاليه وكلمات الأغنية تتصاعد من جهاز الصوت الذي يشغله الفتى

((وحان الان
حبك ف قلبي ياخد له مكان
دا مالي قلبي ولسه كمان
عاوز سنين علشان أوصف فيه
وننسى زمان
حياتنا الجاية بالألوان
معاكي أنت بجد عشان
لقيت فيكي اللي بحلم بيه))

تتراجع "غرام" ذاهلة في حين تتسع ابتسامتها وهي تنقل بصرها بين الورود والشبان الثلاثة الواقفين يغرقهم الابتهاج بنجاح خطة عميلهم وتحقيقهم لعملهم على أفضل وجه حيث تصدح الموسيقى التي يذيعها الشاب من جهاز الساوند ويتراجع "إبراهيم" متأملًا وروده التي زانت المدخل برضا وسعادة

يضم "محمود" يد غرام جاذبًا إياها له فتقترب الفتاة صاعدة سلم الشاليه حاملة علبة صغيرة قطيفة حمراء تسلمها ل"محمود" بسعادة فيلتقطها ويهز لها رأسه في عرفان ثم يغمز ل"عماد" منسق الموسيقى فتنقلب الموسيقى لإيقاعات ناعمة، يفتح "محمود" على أنغامها علبته القطيفة ويُخرج منها خاتم حبه لحبيبته فيهمس في أذنها "بحبك" فتبتسم متأملة عينيه في صمت فيلتقط إصبعها ليضع الخاتم بها فيصفق الشبان الثلاثة في سعادة مبتهجين وصائحين

- مبروووك يا فندم ألف مبروك.

يرسل لهم "محمود" غمزة بعينيه في حين تبتسم لهم "غرام" وسط ذهولها وسعادتها ورجفتها متأملة كل شيء حولها والخاتم الذي يزين إصبعها وكأنها تحلم

الغُراب

- آلو، أيوه يا "أكرم" خير؟ عايز إيه؟

- أهلًا يا عروسة، بقى هتتجوزي بعد "أكرم" يا مَره؟!

- من فضلك الزم حدودك

- حدود إيه يا أم حدود، أنت شكلك نسيتي أيام "أكرم" لما ما كنتيش تقدري تاخدي نفسك إلا بأذني، دا أنا هقطع خبرك م الدنيا، عاوزة تتجوزي وتعملي فيها عروسة بعد "أكرم"؟!

- وأنت ما لك؟! ما انتهينا خلاص مكلمني ليه دلوقتي؟!

- لا يا حلوة منتهيناش، أنت شكلك مش واخدة بالك إن عيالي معاكي، عاوزة تدخلي راجل غريب على عيالي يا فاجرة!

- عيالك! افتكرت دلوقتي إن ليك عيال؟! عيالك اللي هاملهم وبتفتكرهم بس لما تحب تضايقني في أي التزام من التزاماتهم؟!

- مالكيش فيه، عيالي برضو

- عيالك بالاسم؟

بالكلام؟

تعرف عنهم إيه؟

تعرف عن بنتك إيه؟

عندك فكرة إني بوديها لمعالجة نفسية من زمان بسبب نفسيتها اللي تعبانة بسببك وبسبب اللي عملته في حياتنا؟

تعرف إيه عن اللخبطة اللي بواجهها مع ابنك اللي اتربى وعاش في بيت أمه اللي شافت الأذى فيه وكل اللي يعرفه عن الأبوه هو القسوة والغلاظة والخوف؟

بنتك بتسأل هو بابا ليه مبيحبناش؟

وابنك بيخاف كل ما سيرتك تيجي!

- بطلي هري يا مره، هما كلمتين حطيهم في حلقة في ودنك، أنا هحرق قلبك عليهم لو فكرتي تتغندري وتروحي تتجوزي، حتى لو هاخدهم أرميهم لأمي تربيهم بس أنت متهنيش بعدي أبدًا وأنا عارفك ما فيش حاجة هتحرق قلبك إلا ولادك يلا غوري يا عروسة هههههه

*****

يعيش من آذونا وهم يعلمون جيدًا أنهم قد آذونا

لكنهم لا يعترفون ولا يطلبون الغفران أبدًا!

فهل نقدمه لهم مجانًا ومن دون طلب؟!

دخان الاعتراف

يغلق "أكرم" هاتفه ثم يلقيه جانبًا على الأريكة المنخفضة التي يتوسدها في وضع شبه نائم، يبادره صديقه وهو يناوله "ليّ الشيشة" وسط عاصفة من الدخان تغطي المكان

- عليا النعمة أنت يتفات لك بلاد يالا يا "أكرم"

- جامد يالا صح؟

- خنيق وانت الصادق

ينفث "أكرم" دخان "الشيشة" مستنكرًا

- خنيق في عينك يا "طري"، إيه؟ صعبانة عليك الست هانم؟

- والنعمة ولا "طري" ولا بتاع، بس أنا مش فاهم أنت عايز إيه م الولية، مش خلاص وانت بنفسك قلت لي "غارت" و "بركة"

- آه قلت

- أومال عايز إيه بقى؟

- مِرازية، قرف

- لا يا صاحبي، مش مصدقك

- ليه يا جحش أنت؟

- من غير أباحة بس اسمع مني

- أسمع منك إيه يا سمو الأرشيدوق

- يا دين أمي على سفَّك اللي مش هنخلص منه

- يعني مش عاوزني أشتمك ولا أسف عليك؟ أعملّك إيه يعني؟

- يالا أنت بتلغوش وربنا، مش عاوز تتكلم في الحكاية دي بقالك حبة، من يوم ما رحت للمَرَه البيت ومشّتك قفاك يقمر عيش

- ملعون أبوها ولية غم

- أيواااا تعالالي كدا في العِدِل

- لا معرفش أنا طول عمري عِوِج بروح أهلك

- هههههه حلو قوي كدا التعميرة اشتغلت والكلام هيحلى و"عكار الحكيكة" هيعمل شغل

- يا عم "حمادة" حِل عني هو أنا بشد م التعميرة علشان تفوقني منها

- طب والنعمة أنت كدا بتبقى فايق وعِدِل أكتر من أي وقت تاني

- على رأيك، لا وبيبقى مزاجي عنب، دا أنا كنت بروح لها برنس النكد دي

- متفكرنيش دا أنت كنت لازم تكلمني تاني يوم تلعن سلسفيل أهلها

- ولية غم بقول لك، مش بتحمد ربنا على المزاج الحلو اللي بروحلها بيه.. لأ.. لازم غم ونكران نعمة وليه إتأخرت يا "أكرم" وكنت محتاجة أقعد معاك، تقعدي معايا ليه يا بنت العبيطة، وزير الشئون الاجتماعية أنا، مش فاهم أقسم بالله

- موضة والنسوان بتتعلم من بعضها، بيقولوا لبعض كدا على الفيسبوك

- يخرب بيت أبوهم، يا ريتهم بيتعلموا حاجة عِدلة

- نسوان هَم يا عم "أكرم" سايبين الطبيخ وداخلين يقولوا مبيقعدش معاكِ يبقى مبيحبكيش

- نسوان غشيمة يالا يا "حماده" منا لو قعدت معاكِ كتير يا ولية هطلقك ومش هنعمر سوا هههههههه

- حبيبي يابو "أحمد"

- يووه دا أنت عيل فصيل، لازم تفكرني يعني؟

- مش بقول لك الحكاية فيها كلام تاني وانت مش عايز تقول، إيه؟ الولا "أحمد" وحشك؟!

- وحشني إيه بس

- أومال إيه؟

- زمان ولّا دلوقتي؟

- كله يا سلطان مصر الجديدة

يسحب "أكرم" نفسًا عميقًا من "الشيشة" ثم يكتمه لبرهة ثم ينفثه في فراغ الغرفة محملقًا في الفراغ مردفًا:

- ولا حاجة، زمان كان صداع، البت "غرام" دي كانت غبية، آه والله غبية، يعني كانت كل تصرفاتي مش عاجباها وتشتكي لأمي وأمها مُر الشكوى منِّي، وتتخانق معايا في نفس ذات الوقت وتزن علشان مبقعدش مع العيال قال ومش بربهم معاها

- نسوان فقر، هو فيه راجل في بلدك بيربي عياله؟

- مش بقول لك غبية، ولو فيه حتى مش "أكرم" اللي هيقعد لك في البيت ياختي يربي معاكِ العيال، احمدي ربنا إنك جبتيهم يا بومة

- أنت ما كنتش عايز عيال يالا يا "أكرم"

- ولا كان فارقلي يا "حماده" ولا عايز ولا مش عايز

- أومال جبتهم ليه يا عم؟

- عادي يعني ما كل الناس بتخلف

- لا قصدي ما كنت شرطت عليها م الأول إنه ما فيش وبلاها صداع

- يالا يا أهبل وتبقى قاعدة فاضية لي؟ حبني وراعيني واقعد معايا؟ لا يا عم أهم كانوا لاهينيها عني وشاغلين وقتها

- معاك حق، حويط برضو

- لا وانت فاكر أمي كانت هتسكت لو مجبناش عيال، يا لهوي على أم الصداع، ولّا الناس يا عم يقولوا إيه مش عارف أجيب عيلين؟ وحشة في حقي برضك

- دا صداع أكتر من صداع العيال نفسهم

- طبعا يا عمنا، هو فيه حد بيسيب حد في بلدك دي في حاله، دي حفلة وكلنا معزومين

- أموت في الحفلات، وإعزمني يا بو "أحمد"

- تعالى يا حبيبي مانت معزوم من زمان وعارف كل حاجة، جتك الغم عمال تنكش وتفكرني، عيل غم صحيح

- أنا برضو اللي غم؟! مش أنت اللي مسكت الولية في التليفون سويتها على الجنبين؟ لو هي لسًّا على قديمو زي ما كنت بتحكي لي، يبقى زمانها ميتة في جلدها ومفلوقة م العياط

- لا قديمو إيه، إتغيرت بنت الرفدي، إتغيرت بشكل مجنني

- أيواا!، إيه بقى اللي مجننك منها قوي كده؟

- نفدت من تحت إيدي بنت الرفدي، عرفت تنفد بجلدها وتاخد العيال وتشتغل وتتغير والأكادة عايزة تحب وتتجوز وتعمل عروسة بنت ال ءءء

- أنا ليه حاسس إنها معلمة عليك قوي كدا يا عم؟

- معلمة؟ دا أنا اللي كنت معلم على أبوها

- منا عارف، وهما فاكرينك سبتها شفقة علشان انتحرت هههه ناس طيبين قوي يا خال

- زنقتني بنت الذينَ، لو كنت تَجْرمت معاها في المستشفى وقلت لهم كدابة وأنا مجتش جنبها كانت هتوريهم الكدمة إياها اللي كانت عندها من قبلها بكام يوم، حظها في رجليها، ما كنتش هسلم وكانوا هيصدقوها وكنت هروح في داهية

- طب ما خلاص غارت، دا أنت ما فيش مرة كنت بتجيب سيرتها وهي معاك ساعة السيكو سيكو وتقول كلمة عدلة، مرة تقولي عليها "شلتة" ومرة تقولي "متوحشة وشرسة" وأنا قلت لك هي ملبوسة ياسطا هههههه

- وليّة فقرية أقسم بالله، قال إيه حنيّتي معاها بتفرق معاها، وأنا مليش في الكلام بتاع الناس الطرية دا أصلًا

- طبعا يا جدع أنت دكر

- بالظبط وده اللي مزعلني على الواد "أحمد" لعلمك، إنها هتطلعه "طري" زيها، علشان كدا مش هسيبهولها ويطلع تربية "مَرَه"

يسحب "حماده" نفسًا عميقًا من الشيشة ثم يصمت لبرهة يحك فيها جبهته مردفًا:

- أيوه يا "أكروم" مانت م الأول بتقول ملكش في التربية والرجالة في بلدك مبتربيش العيال والقرف ده، وبعدين بتقول عليهم لما تربيهم الولية لوحدها تربية "مره"!!!

- ولا "أحماده" أنت اتسطلت ولّا إيه؟ إحنا رجالة يالا نقول اللي إحنا عايزينه ولا حد يعرف يراجع ورانا، صح ولّا إيه؟

- صح طبعا، يعني أنت ناوي تعمل إيه؟

- ولا حاجة أنا هاخدهم م المره الأولانية وأديهم للمره التانية تربيهم وأحرق قلبها

- أمك يعني

- أمي هقول عليها مره يابن المره أنت كمان، أقسم بالله أنت إتسطلت

- أومال مين يا عم أنت توهتني وضيعت منِّي التعميرة اللي عملت بيها الدماغ منك لله

- يالا يا طري هتجوز يالا

- آآآه طب ما ترسيني منا مش فاهم يا عم، هتتجوز مين ها البت "هيام" صح؟ غاوي أنت "غرام" و "هيام" كلهم أبطال

- يالا يا عبيط "هيام" دي المزاج الجواني، "روقة" يعني، أنا هخلي أم "أكرم" تشوف لي واحدة نقاوتها كدا وأتجوز، فهمت؟

- فهمت بس مش أنت قلت لي انك مرتاح كدا وعبو النسوان

- لا يا عم قلت لك عبو الجواز، والنعمة مرتاح وسلطان زماني بلا جواز بلا قرف

- أومال إيه يا عم

- أحيه على غباءك يا "حماده" ما قلت لك علشان آخد العيال وأمي مبتبطلش زن ياسطا

- آه كله إلا زن الحاجة

- بس كدا طب ماشي يا ست الحبايب جوزيني والحكاية مش صعبة يعني يا عم خلينا نتدلع بره وجوه، وهو أنا هقعد لها يعني؟

- تقعد لمين؟ "أكرم" مبيقعدش في البيت

- هههههه أديك فاهمني أهو، بالك يالا يا "حماده" أنا لو لي في الريمبو كنت إتجوزتك أنت علشان بتفهمني أكتر من أمي حتى

- يالا يا نِجِس استغفر الله إحنا رجالة أشراف

- أيوه رجالة ملناش إلا في العط مع الناعم هههههه

يسحب "حمادة" النفس الأخير من الشيشة ثم يكتمها وينفثها بشدة فيقوم متمايلًا مخدرًا، يلتقط مفاتيح سيارته وعلبه دخانه مردفًا

- بص يا "كوكو" كلمة حق يعني مش بتطلع إلا وأنا مسطول

- قول يا روح أمك

- أنت اللي خلاك تتجوز أولاني ظلمك وظلم الولية الغم "غرام" دي، واللي هيخليك تتجوز تاني أظلم وأظلم، يلا معلش ألف ألف مبروك يا حبيبي بالرفاء والبنين هههههههه

- الله يبارك فيك يا "حمادة" يالا في داهية بقى إمشي يخرب بيت رغيك

*****

الحضن الشائك

جففت "غرام" دموعها مستعطفة أمها التي جلست بجانبها على أريكة منزل العائلة متجهمة الوجه غير مرحبة بأي التقاء للعيون مع ابنتها مطلقة زفرة حادة ومردفة:

- يعني أنت عايزة إيه دلوقتي؟ مقدرش أحرم أب من عياله يا ست "غرام"

- أب؟!! أنت بتقولي على "أكرم" أب يا ماما؟! بعد كل دا بتسميه أب! حضرتك بتتكلمي جد؟

- بلاش فلسفة وبصي حواليكي شوية، أقول للناس إيه؟ رفعت قضية علشان آخد عيال بنتي من أبوهم؟ وأديهم لاسم الله عليه جوز أمهم! ما تعقِلي كلامك يا بنتي

- أنا اللي أعقِل كلامي يا ماما، أنا نفسي أفهم بتعملي معايا كدا ليه؟

- أنا، بعمل معاكِ إيه، دا جزاتي اللي ماشية على الأصول وبحافظ على عيالك؟!

- أصول إيه دا اللي تسيبهم تحرق قلب بنتك وبإيد مين؟ بإيدك يا أمي؟

- أنا مبحرقش قلبك، أنا بعمل الصح

- ومين اللي قال لك إن دا الصح يا أمي؟ هو أنت لما "محمود" جه إتقدملي وقعدتي معاه قلتِ عليه إيه؟ مش قلتِ عليه راجل كويس وابن أصول هو وأهله؟ طيب مش رضيتي تديله بنتك؟ ردي عليا

- آه كويس وابن أصول ووافقت بعد محايلة إني أقابله وأوافق بس ما تنسيش إني قلت لك ما ترجعي لجوزك الأولاني أحسن لعيالك وأنتِ رفضتي ياختي وإتمسكتي بالعريس وما له براحتك بس العيال ميقعدوش مع جوز أم، ميصحش.. مهما كان أبوهم هيبقى أحسن

- ومين قالك إن أبوهم أحسن؟ أبوهم اللي كان بيمد إيده عليا وخلاني وصلت لأن الموت أرحم من العيشة معاه وحاولت أنتحر؟ أبوهم اللي كان هيموتني في إيده كذا مرة وكان هيسقطني في "وعد"، ولّا نسيتي؟! ولولا ضغطكم عليا أنت ومامته كان زمانه في السجن من زمان ودا مكانه الطبيعي؟! عايزة تدي عيالي اللي تعبت عمري فيهم لأبوهم المجرم بس متديهومش للراجل المحترم اللي قلتِ عليه ابن أصول؟ ليه بتعملي معايا كدا ليه؟

تشرع في بكاء هستيري بينما تلين الأم جامدة الملامح وتتأمل انهيار ابنتها مردفة:

- يعني أنا دلوقتي لما أرفع القضية دي آخد العيال أنا؟

- أيوه يا ماما

- وبراحتي يعني أخليهم عندي ولّا أديهوملك ولّا لأ؟

- أيوة والله حتى راقبي "محمود" وشوفيه لو صدر منه أي شيء يضايقك ولّا هما اشتكوا لك اعملي ساعتها فيا اللي يريحك

- طيب بصي

- نعم يا أمي

- أنا مش بكرهك زي مانتي فاكرة

- أنا ءءء

- أنا عارفة إنك فاكرة إني بكرهك علشان أنت خايبة، ما فيش أم بتكره بنتها يا خايبة، إحنا بس اتربينا كدا نكسر الضلع للبت من دول يطلع أربعة وعشرين ضلع ناشف جامد علشان تعرف تحمي شرفها، مش تطلع مايعة ومتدلعة وتجيب لأهلها الكفية!

- يا أمي ءءء

- هش إسمعيني، أنا مبكرهكيش يا خايبة، بس أنا بخاف عليكِ حتى أكتر من أخوكي علشان أنت ولية والولايا لازم يتصانوا ويتخبوا

- ٤٤

- بقولك بس وإسمعيني، إحنا اتربينا كدا ومش هتيجي بهريك دا تغيري دماغي دلوقتي، نهايته، أنت بنتي اللي مرضالهاش تتقهر كدا علشان حاجة في إيدي خصوصًا إني شاهدة على عمايل "أكرم" الله يجازيه بقى، بصي.. أنا موافقة خلاص كلمي المحامي يرفع القضية وخلي العيال عندي وربنا يعمل اللي فيه الخير

- يعني مش هتخلي العيال يعيشوا معايا؟!

- خليهم معايا أول جوازك على الأقل وواحدة واحدة هنشوف

- والله الولاد قابلوا "محمود" وحبوه وصدقيني

- بقول لك إيه؟ بلاش كلام كتير ألا أرجع في كلامي

- لا خلاص سكتت أهه

- يلا ماشي أما نشوف يمكن نشوف جوز أم أحسن م الأب وتبقى عجيبة م العجايب، خلينا نشوف، لعله خير

ترتمي "غرام" في حضن أمها وتبكي شاكرة إياها بينما تربت الأم بأطراف أصابعها على كتف ابنتها مغمغمة:

- (يووه مبحبش التلزيق يا بت أنت يلا إمشي روحي لعيالك دا أنت دوشة)

فلا تتحرك "غرام" قيد أنملة وتتمسك بحضن أمها حتى وإن لم يتمسك هذا الحضن بها وأظهر أقل القليل مما يخفي من حب وحماية!

*****

وبين أحضانك.. يكمن سكن العالم كله

وتضيء بقلبي كل سَكِينته

صباح الحب

الصباح الأول

تتقلب "غرام" ببطء من فرط الخدر، تنظر حولها محدقة بالمكان والحوائط والستائر البيضاء الخفيفة التي تُسَرِّب ضوء الشمس على استحياء وصوت أمواج البحر التي تضرب الشاطئ بنعومة فتستعيد وعيها دفعة واحدة، تحين منها التفاتة ل"محمود" الغافي بجانبها نصف عارٍ، تقترب بهدوء من وجهه لتتأمل ملامحه وكأنها تراها للمرة الأولى، تتلمس شعيراته البيضاء التي تغزو لحيته على استحياء لمسات ناعمة تخشى أن توقظه بها لكنها لا تُفلح إذ يفتح عينيه ببطء فترى ما يخيل لها أنه أجمل ابتسامة من الممكن أن يبتسمها بشر، هكذا تحدثه

- تفتكر فيه راجل في الدنيا ممكن ياخد أوسكار أجمل ابتسامة كده؟

تتسع ابتسامته ليسحبها من يدها التي كانت تداعب لحيته فيقربها له حد الالتصاق هامسًا بأذنها

- تفتكري في ست في الدنيا ممكن تاخد أوسكار أدفى حضن كده؟

تزداد التصاقًا به مردفة بهمس

- تعرف، أنا مش مصدقة إني في حضنك ومعاك واني ركبت معاك طيارة وإننا بعيد عن كل حاجة وكل حد وسوا، مش مصدقة إن كل دا حصل

- أنا بقى مصدق جدًّا، شفتك في حضني زي دلوقتي بالظبط أول مرة شفتك فيها

- إيه؟!

- زي منتي سامعة كده، إتخيلتك معايا وفي حضني وإتخيلت المكان دا بكل تفاصيله

يقترب أكثر مداعبًا

- واتخيلت حاجات تانية كتير

- "محمود" بس

يطبع قبلة بموضع عطرها مردفًا

- بس إيه دا أنا ما صدقت

- مش عارفة أقول إيه، أنت بتتكلم دايمًا أحسن مني

- لا طبعًا، عيونك الحلوين دول دايمًا بيقولولي كلام كتير أنا معرفش أقول زيه

- يمكن.. في دي هقولك صح، لاني ياما اتمنيت أقول لك كلام ما كنتش بقدر أقوله، كنت بتربكني

يطبع قبلة أخرى بذات موضع عطرها مردفًا

- أنا كنت بربكك؟ هو أنا كنت عارف أعمل معاكِ حاجة؟

- كفاية تكون موجود، دي بالنسبة لي حاجة، لأ.. دي بالنسبة لي كل حاجة، تعرف.. سألت نفسي كتير إيه سر الهبل اللي ببقى فيه لما كنت بشوفك أو تكلمني وليه كل الكلام بيروح وليه مببقاش لاقية المشاكل اللي تعباني علشان أحكيهالك، ولا الأمور اللي وجعاني علشان أشتكيلك منها مع إني عرفتك في فترة وجعها كان فعلًا كتير.. بس اكتشفت انك لما بتتوجد معايا أو حواليا بحس اني أخدت كل اللي عايزاه من الدنيا.. مش عايزة حاجة ومسامحة ومش بشتكي من حاجة ومش عايزة أقول حاجة.. عايزة أفرح وبس وأقول الحمد لله إن أنت هنا

يضمها إليه بشدة مردفًا

- كنت بقراكي وبحس بكل حاجة من غير ما تقولي وكنت بتصرف حسب القراية دي، عمري ءء

- عمرك ما إستنيتني أطلب منك تعمل حاجة، دايمًا حواليا وحاضر وجاهز علشان تكون موجود عشاني

- مقدرش أكون غير كده

- يمكن دا اللي خلانا مع بعض أصلًا

- إزاي

- إحساسي إنك فعلًا موجود، وجودك بالنسبة لي ما كانش كلام أو وعود، لأ.. وجودك كان تصرفات بتعملها طول الوقت، أنت مبتديتش تقولي كلامك الحلو دا إلا قريب

- إيه دا أنتِ بتنكري؟ دا أنا مغرقك كلام حلو من ساعة ما عرفتك

- مش فاكرة أي حاجة دلوقتي غير إني هنا.. معاك

يضمها "محمود" بشده إلى قلبه وينغمسا معًا في استكمال ما قد بدآه منذ الليلة السابقة من فرائض الغرام، يقترب منها فيحرث جسدها كما يجب أن يكون الحرث، لا يفوّت موضعًا كما حدَّث من سبقوا، يحاصر مفاتنها من كل صوب حتى تئن من فرط اللذة، تدفعها لذتها للجنون فتلثم موضع رجولته بكل الحب والرغبة اللتين تجعلاه يضخ رحيق حبه بداخلها بكل العنفوان حتى ترتمي بين ذراعيه بأنفاثٍ لاهثة فيمسح قطرات عرقها من جبينها مزيحًا شعيراتها التي غطت وجهها فتتلاقى العينان فتخفض عينيها في حياء فيرفع وجهها إليه بيده مردفًا في همس

- مبسوطة؟

تتأمله في صمت وانبهار فلا تنطق حرفًا

- قولي لي؟

تصمت مرة أخرى فيطيل النظر إليها دافعًا فتردف

- مبسوطة؟!.. أنا عايشة.. حية

يضمها بشدة لقلبه الذي يلهث من فرط السعادة فتردف وهي تتوسد قلبه

- عمري ما اتسألت سؤال زي ده؟ ولا اتسألت بحب إيه ولّا إيه اللي بيبسطني

يمشط شعيراتها بيده الحانية مردفًا

- كنت دايمًا بتجنب فكرة إني أسألك إيه اللي حصل لك قبلي، اكتفيت دايمًا بالقليل اللي قلتيهولي، بس دلوقتي حاسس إن فيه كتير قوي لازم تتعوضي عنه!

- أبدًا.. كفاية إني هنا.. دلوقتي.. معاك.. أنا خلاص شبعانة حب

- شبعانة؟! كلمة كبيرة قوي.. مسمعتش ست بتقولها قبل كده

- أنت تستاهل يا "محمود" أنا شبعت حب على إيديك ومعاك

يضمها ثانية إلى قلبه ويلثم جبينها بقبلة حب ينتوي أن يبقيه إلى الأبد

*****

الحلم

تعتدل "غرام" بجلستها على الأريكة بغرفة الاستقبال ببيتها، تنتبه إلى أنها قد غفت من طول جلوسها بذات الوضع، تحين منها التفاتة لساعة الحائط التي تشير إلى تجاوز الساعة للواحدة صباحًا فتغمغم منزعجة "كل دا تأخير يا محمود"، لا تلبث أصوات رنة مفاتيح زوجها أن تتناهى إلى مسامعها فيتجه نظرها إلى الباب الذي يُفتح فيظهر الزوج من خلفه يحمل حقيبته ويبدو على قسمات وجهه الإرهاق الشديد الذي يتبدل لابتسامة حانية بعد أن يقع نظره على زوجته المنتظرة، يترك الحقيبة على أقرب منضدة فاتحًا ذراعه لها حيث تلقي نفسها بين ذراعيه من فورها متمتمة: "حمدا لله على السلامة يا بيه!"

تعلو ضحكة "محمود" وسط إرهاقه الواضح مردفًا:

- سامحيني يا حبيبتي، الكلام اتطور والاجتماع الساعتين بقى خمسة وحبيبك إتهلك حرفيًّا

تدفعه عنها برقة وهي تحاول أن تُمثل العبوس والغضب مردفة:

- وما كملتش قعدة في الشغل ليه يا سي "محمود" خد راحتك يعني أنا مش معترضة، كان ممكن تبات هناك حتى مش قلت لي ساعات كنت بتعمل كدا زمان؟!

يضمها إليه باسمًا فيطبع قبلة حانية في موضع عطرها مردفًا

- زمان بقى يا "قطة" قبل ما تكوني في حياتي دا كلام عدى عليه سنين

- يا سلام! زي ما تكون فاكر يعني وواخد بالك

تتعالى ضحكاته فيقبلها مرة أخرى بذات الموضع ويبتعد عنها فاتحًا حقيبته ملتقطًا منها علبة من القطيفة المخملية الملمس فيرتفع حاجبا "غرام" مغمغمة:

- دا أنت فاكر بجد بقى

يحتضنها زوجها وهو يدندن ضاحكًا:

- أنساك؟ دا كلام؟ أنساك؟ يا سلاااام

تتراجع "غرام" مُتأملة ملامحه في حنان مردفة:

- معملتهاش قبل كدا الحقيقة بس قلت يمكن إحنا قدمنا بقى خلاص

- فشر يا "مُزّتي" إحنا عمرنا ما هنِقدم أبدًا دا إحنا لسًّا في البدايات

- هههههه، أيوه خمس سنين بدايات

- الله، أنت هتقعدي ترغي، مش عايزة تشوفي هديتك ولّا إيه؟

- أنت هديتي يا حبيبي، كفاية إنك فاكر ومهتم، دا عندي بالدنيا، هديتي بجنيه ولّا بمليون بقى متفرقش وانت عارف

- عارف يا حبيبتي

يُخرج قلادة رقيقة يحيط بها عنق حبيبته فتتحسسها أمام المرآة ثم تحتضنه سعيدة ثم تبتعد مرة أخرى مُدعية العبوس مرة أخرى وهاتفة

- زعلانة منك برضو علشان إتأخرت

يقبل كفيها مردفًا:

- وحياة حبنا سامحيني

- يا "محمود" أنت فاهمني كويس

- فاهم

- وعارف سبب ضيقي

- عارف ومش عاوز نبوظ مودنا بالكلام ده

- لا ما فيش مود هيبوظ، بس صحتك حاجة مهمة ما ينفعش نتجاهلها

- والله عارف يا حبيبتي

- عارف ومطنش، أنا عمري إتكلمت معاك في تأخير ولّا كلام من ده

- عمرك يا "غرام"

- دا لاني عارفة انك بتبقى شقيان عشاننا وبتسعى على رزقنا ورزق كل الناس اللي بتشتغل تحت إيدك

- وأفتكر إني عمري ما قصرت بعد ما برجع

- عمرك، دايمًا بتعوضني عن أي سفر أو تأخير أو بُعد، عمرك ما زقتني أتهمك بعدم الاهتمام، مجرؤش أعملها معاك

- أنا عارفة سبب خوفك عليا، خلاص بقى يا مزتي

- لا مش خلاص، بص لنفسك في المرايا، شوف وشك تعبان إزاي، شوف موضوع الضغط اللي بايظ عندك وانت بتتعامل معاه بمنتهى الإهمال، مبقاش بحبك لو مهتمتش وخليتك تهتم بصحتك يا "محمود"، علشان خاطري، وحياة حبنا اللي بتحلفني بيه دايمًا، وحياتي خد بالك من صحتك وإهدا شوية في شغلك، أنا بحبك وبخاف عليك

- عارف يا حبيبتي، حاضر.. هحاول أهدي تون الشغل شوية

يسحبها من يدها مردفًا

- يلا بقى علشان نحتفل بالخامسة، أنت هتضيعي علينا الليلة في الرغي يا ست انتي

تتبعه ضاحكة:

- وانت فيك حيل أصلًا، دا الاجتماع شكله هدَّك

- مين ده؟! فشر، هد مين يا مزة هتشوفي هههههه

*****

لاح لهما ضوء الفجر على استحياء.. هادئًا يحبو في صفو السماء كمن يخجل أن يزعج العاشقين..

تعجب الاثنان كيف مر الليل بتلك السرعة وهذه السكينة..

تساءلا عن وحدة الزمن الخاصة بليل العشق وهل هي أقصر؟ أثمن؟ أمتع أهدأ أم أكثر جنونًا؟!

تساءلا كيف غاب الوعي عنهم والعين لم تغفُ ولم ترَ النوم..

رفعت رأسها عن قلبه الذي كانت تتوسده طوال الليل ونظرت إلى عيونه الراضية..

حانت منه لمحة حانية وهو يهندم شعيراتها الطويلة المبعثرة على جسده والتي غطت وجهها.. أزاح الشعيرات عن وجهها الذي اصطبغ بلون وردي شديد الدفء.. تلاقت العيون فاستكملت حديث الليل دون حديث..

أغمضت عينيها وأغمض عينيه.. يحسبهم ضوء الفجر اثنين قد غفا كل منهما في ملكوته وهما بالحقيقة قد تبادلا الأرواح واستودعاها بعضهم البعض.. احتضنت روحه بين حنايا قلبها..

ابتسمت راضية.. ثم غفت.. وغفا

سلمى

دلفت "سلمى" من باب الكافيه الشهير بالمنطقة النائية بالقاهرة ودارت بعينيها باحثة عن صديقة عمرها، ما لبثت أن لمحت "غرام" تجلس في ركن قصي منفردة بحاسبها المحمول الصغير والذي أغلقته ما إن لمحت صديقتها التي بادرتها:

- إزيك ياختي، والنبي مانا عارفة كافيهات إيه دي اللي بقينا نتقابل فيها؟! ما لها البيوت والكنبة، زعلت في حاجة البلكونة؟!

- هههههههه، ما لك داخلة حامية عليا كدا ليه يا ست إنتي، هاتي حضن الأول.

تتعانقان في ودٍّ صافٍ وتشير "غرام" إلى النادل طالبة منه قهوة صديقتها المفضلة قبل أن تطلبها هي فتبادرها صديقتها شاكرة

- منحرمش منك يا قلب "سلمى" دايمًا عارفة اللي بيريحني وبتعمليه، مش زي المنيل "حسن"، تخصص يقرفني وبس

- يا منجي يا رب، أنت مش كنتِ بتشكري فيه الأسبوع اللي فات يا بنتي، قلبتِ عليه ليه بس؟

- ولا قلبت ولا حاجة، دي شهادة حق يا أخت "غرام" دا بقى نشاطه المفضل، يناكفني

- وهو يعني بيناكفك وأنتِ بتسكتيله؟ مانتي بتناكفيه أنت كمان والكورة رايحة جاية بينكم والماتش شغال

- ياختي يا غرام أنت كمان عايزاني أسكت له، نعم يعني؟!

- لا مش قصدي، قصدي إنه مش بيناكفك من نفسه، دايمًا فيه فعل ورد فعل رايح جاي بينكم

- أعمل إيه بس، راجل مستفز

- لا هو راجل على المعاش وأنتِ الصادقة

- آه والنبي، الفراغ وحش، من ساعة ما طلع معاش مبكر وهو قاعد لي، الحكاية بقت صعب قوي

- من الناحيتين يا "سلمى" يا بنتي دا أنا بقيت حاسة إنكم بتفرغوا الملل اللي حاسينه في حياتكم في بعض.

- ما هو ٢٢ سنة جواز كتير برضو يا رومة، أنا زهقت

- يا ستي ما شاء الله عقبال ال ٣٢ بس هو دا مبرر يعني؟

- هو أنا قاصدة أضايقه يعني؟

- آه يا "سلمى" ساعات بحس دا فعلًا

- مفترية يعني؟! الله يسامحك

- مش قصدي حبيبتي، بس فكرة معاشه المبكر وقعدته معظم الوقت في البيت معاكِ والملل اللي نتج عن دا مش حلو أبدًا، زيدي عن كدا الولاد بيكبروا والمسئوليات شكلها بيتغير، مبقيتوش لازم تبقوا معاهم ليل نهار، ف حرفيًا وشكم في وش بعض طول الوقت دا صعب قوي

- أعمل إيه يعني؟ منا قلت له يعمل مشروع بفلوس المكافأة مستكبر يعمل حاجة وعايز يفضل الباشا

- إعملي إنتي؟

- أعمل إيه؟

- أي حاجة يا "سلمى"، إعملي أي حاجة غير قعدتك بتشتكي من جوزك وعيالك طول الوقت

- والنبي أنا مبقتش بشتكي إلا من ساعة ما سمعت كلامك وبطلت أعمل ل "فؤاد" الهومورك بتاعه

- "والنبي دا ربنا نجدها نوسة"، كنتِ عايزة تفضلي كابسة على نفس الواد لحد إمتى؟ وتعمليله الهومورك ليه؟ دا حتى الرسم كنتِ بترسميهوله يا ظالمة! وبعدين يطلعوا إعتماديين وشخصياتهم زفت ونرجع نشتكي منهم؟!

- بساعد ابني؟ فيه إيه؟ دا آخر العنقود اللي كنت هموت في ولادته ولّا نسيتي؟ حار ونار في جتتك يا "حسن" ولا حمد ولا شكرانية ولا كأنه كان هيموت على ولد ياختي

- منا قلت لك يا ستي، قلت ولّا مقلتش أنا، دا عيل رابع، مسئولية، مش وردة في عروة الجاكتة، مش أكلة نفسنا فيها، أديكي جبتيله الولد، حصل إيه بعدها؟ طريقته إتغيرت مع العيال؟ إتغيرت معاكي، طيب اهتم بيه ولّا رباه بشكل مختلف؟

- أبدًا، ولا أي حاجة، فرح شوية في الأول طبعًا وبعدها كل سنة وأنتِ طيبة، خلاص، زيه زي باقي العيال وأنا اللي لبست، والنعمة أنا بحل للواد الهومورك بتاعه م الزهق، مش لاقية حاجة اعملها في حياتي، وما فيش خلق للمناهدة والشرح

- لا والنبي سيبيه يعمله ويغلط، أبرك من إنك تخيبيه وتعمليهوله، ودوري لنفسك على دور غير انك تاخدي دور ابنك في حياته ومدرسته إلهي تنستري، ربّي قطط ولّا اتطوعي في جمعية خيرية ولّا أي حاجة إلا انك تعيشي لعيالك حياتهم، وخفي على الراجل شوية الله يكرمك قبل ما يطفش منك

- ياختي يطفش، دا أنا كنت مغفلة بشكل لما كنت بطارده وبراقب الفيسبوك بتاعه زمان، فاكرة البت اللي بعتلها وبهدلتها علشان تبعد عنه، أما كنت مغفلة بشكل

- فاكرة طبعًا، ما فيش فايدة فيكي أبدًا

- ياختي كفاية تقطيم، تعالي هنا صحيح، مش أنت اللي ليل نهار تقوليلي أنا اتغيرت والأسبوع اللي فات سبتي البيت وطلعتي قعدتي في الساحل تلات أيام لوحدك؟

- ودي فيها إيه دي؟ آه أنا اتغيرت ودا حقي، أنا بقول كدا من باب الأمانة مع نفسي ومعاكم، اللي مبتغيرهوش السنين دا مش بني آدم، أكيد خشب أو بلاستيك، كلنا بنتغير، لازم نفهم دا ومننكروش على نفسنا ولا على غيرنا

- و"محمود" حب العمر وبطل الحياة

- ما له؟

- مبقتيش بتحبيه؟ سبتيله البيت ليه هو والعيال؟

- لو مبقتش بحب "محمود" هبقى بحب مين؟

- أومال إيه؟

- بنتغير يا "سلمى"

- ياختاااي، تاني

- ما هو دا مربط الفرس، آه بنتغير ولو مفهمناش دا واستوعبناه هيبقى التغيير دا زي قطر ماشي يشيل كل اللي أدامه في حياتنا

- إزاي يعني؟

- عمري ما بطلت أحبه، ولا هو بطل يحبني، بقالنا أكتر من ١٢ سنة متجوزين أهه، أبقى ست مفترية لو قلت عليه كلمة واحدة وحشة، دا أنا ببوس إيدي وش وضهر على نعمة وجوده في حياتي، وبعدين ملحوظة جانبية أنا كنت قافشة علشان هو مبيسمعش الكلام، مدمن شغل بشكل بيأثر على صحته، مستعد يلف مصر

كلها في يوم يركب طيارة وعربية ويروح محافظتين تلاتة علشان يخلص "ديل" ويرجع آخر اليوم خلصان، مفروض أسقف له يعني؟

- الله؟ يعني سبتيله البيت علشان بتخافي عليه؟ أنت مجنونة؟

- إفهميني بس، إحنا بنكبر وبنزهق، ومش دايمًا بتلاقي الخُلق والمساحة علشان تقدري تستوعبي وتشرحي، لازم شوية تغيير ومساحة نشم فيها نفسنا، فكرة اننا نفضل لازقين لبعض زي أول ماإتجوزنا دي مش منطقية ولا واقعية على فكرة

- لا لازقين إيه، دا أنا كرهت نفسي من لزقة "حسن" ليا في البيت

- أديكي قلتِ أهه، وجوزك متغيرش قوي برضو، إنما الحياة والدنيا واختلاف المسئوليات وكله على بعضه مع التعود ليل نهار في وش نفس ذات الشخص دا شيء فوق احتمالنا

- آه والنعمة فوق كل احتمال، طب أقول لك حاجة

- إيه؟

- ما نتطلق

- نعم؟

- أنت تتطلقي وأنا أتطلق ونعيش مع بعض أحرار بقى ونفكنا من الرجالة الهم دي

- هههههههههههه، أنت إتجننتي وحياة ربنا، مش قادرة هههههه

- منتي زهقتي وانا زهقت وهما أكيد زهقوا، الحل إيه بقى ما نتحرر

- لا مش عاوزة أسيب جوزي ياختي، ولا أنت لو سبتي "حسن" هترتاحي

- مش عارفة، أنا مبهزرش على فكرة، الفترة اللي فاتت من كتر خناقاتي مع "حسن" فكرت إن الطلاق هو الحل

- مش دايمًا يا "سلمى"، وطالما ما فيش معضلة أو سبب قهري للانفصال تتطلقي ليه يا مجنونة

- أومال أعمل ايه؟ أقتله؟

- لا إنشغلي قلنا، تسعة وتسعين ف المية من مشاكلك ومشاكلنا كلنا من الفراغ صدقيني، إنشغلي وبطلي تركزي بزيادة مع "حسن"

- أنتِ علشان كدا بتعملي أنشطة وجع الدماغ بتاعتك دي؟ ضد التحرش وضد التمييز وضد الحشرة ضد الفار نياهاااا

- سفي سفي يا تافهة

- أعمل إيه بس؟

- ما قلنا إنشغلي، انشغلي في حاجة تشحنك، هتلاقي نفسك هديتي وشحنتي وكل حاجة رجعت لنصابها بهدووووء ومن غير أفورة، هتفتكري لجوزك ساعتها كل حاجة حلوة وهتعدي العك والدنيا تمشي

- يا سلام

- جربي صدقيني، طب أقول لك كلمة حق دلوقتي

- قول لي ياختي

- أنت عارفة إن أنا لولا تشجيع محمود ليا يمكن ما كنتش كملت في الحملات بتاعة التمييز وغيرها دي

- آه أنت قلتيلي الحكاية دي زمان

- دايما كان يقول لي "يا حبي دورك وأنتِ مستقرة نفسيا ومش متعرضة للي إتعرضله الناس اللي بتدافعي عن قضيتهم أكبر بكتير من الناس دول، أصحاب القضايا مش لازم يكونوا هما المتضررين منها، دي أكبر غلطة بيعملها المجتمع لأن

الشخص المتضرر بيبقى حساس جدًّا وردود أفعاله متأثرة باللي عاناه، هنا بييجي دورنا كأشخاص مساندين ليه وقادرين على إننا نسنده ونطالب بحقه بدون ما حد يتهمنا بالتأثر أو الهستريا، علشان كدا بقولك لو كنتِ قبل كدا شاركتِ في الحملات دي وكان ليكي دور محترم وقوي فدورك دلوقتي وأنتِ مستقرة نفسيًّا أكتر أقوى وأهم بكتير"

- والنبي كلامه حِكم

- يعني يا سالومي" شوية انشغالات على شوية أجازات على حبة طناش على شوية تجديد على شوية مانيفستيشن لحاجات حلوة تقوم متحققة وأهي الحياة بتمشي بأقل قدر من الخساير

- معاكِ حق، دايمًا كلامك يأثر فيا ويهديني ويخلي المنيل "حسن" يصعب عليا لما أزعله

- يا ست يا مفترية جوزك طيب والله بس هي الحياة معاه محتاجة شوية فن في الإدارة علشان الأسهم ما تنزلش والدنيا تعك

- ماشي يا ست الخبيرة، إطلبيلنا حاجة حلوة زيك كدا ناكلها علشان فرهدت م الرغي

- عنيا

*****

هكذا تودع النساء -من يستحق- من الرجال

الوداع

مسحت "وعد" دمعة سقطت إثر دمعات أخريات، جالت بعينيها بين طرقات مدخل الدور السادس بمشفى القلب الشهير حيث كان يرقد "محمود"، يربت شقيقها على كتفها مُهدئًا:

- إهدي حبيبتي، ربنا يرحمك يا "بابا"

تجيبه شقيقته بين دموعها

- على قد ما أنا زعلانة على إن بابا "محمود" راح على قد ما أنا خايفة على ماما، خايفة على ماما قوي يا "أحمد"

- أنا برضه خايف عليها، ربنا يستر، كلمتها على الموبايل قفلت عليا

- أكيد سايقة، هي قالت لي ساعة هتروح البيت تغير وتجيب شوية حاجات ليه

- الله يرحمه، مستحملش التعب أكتر من كده

- مش عارفة هنبلغها إزاي، أنا هموت لو جرى لها حاجة، هو خالك جاي في السكة؟

- وهو خالو يعني اللي هيعرف يبلغها أو يهديها، إهدى حبيبتي ربنا يلطف

- يا رب يا رب

ما تلبث "غرام" أن تخرج من مصعد الدور حاملة بعض المستلزمات فتندفع ابنتها ناحيتها باكية فتتجمد مكانها ناقلة بصرها بين ابنتها، وابنها الذي يقترب فيقبل رأس أمه ويربت على كتفها مغمغمًا: "البقاء لله يا أمي"بابا ءءء

تشير إليه غرام بالصمت وتترك ما تحمل من يدها فيتلقفه الأبناء وتتجه نحو غرفة "محمود" مسرعة فيسرع أبناؤها خلفها فتعيد الإشارة لهم بالصمت مع نظرة حازمة من عينين لم تسقط منهما دمعة واحدة، يتراجع الأبناء وتدلف "غرام" للغرفة التي يرقد بها زوجها، بينما تلحق الممرضة بالأبناء فيشير إليها "أحمد" سيبيها حضرتك أمي لازم تودعه.

تُغلق "غرام" باب الغرفة وتقترب ببطء من الفراش الذي يرقد عليه الحبيب الذي رحل لتوه ..

تزيح الغطاء الذي وُضِع على وجهه في هدوء، تبتسم في تسليم بينما تبدأ دموعها في السريان بلا توقف.

تركع على ركبتها بجانب الفراش فتكون أقرب ما يكون ل"محمود" تُمسك بيده فتطبع عليها قُبل وداع كثيرة مردفة في همس:

- هتروَح قبلي؟ مش إتفقنا نروَّح مع بعض، أو أروَّح قبلك؟ مش أنا قلت لك مش هستحمل تمشي وتسيبني؟ ليه كده؟ ليه طول عمرك شايفني جامدة وأستحمل؟! أنا والله لا بستحمل ولا جامدة، دا أنا كنت عايشة قوية في الدنيا دي علشان مسنودة عليك، كنت كويسة علشان أنت معايا بتلحقني وتطبطب عليا وتقولي إوعي تخافي، علشان كنت عارف إني بخاف، كدا يا "محمود"؟ مين هيحبني بعدك، مين هيستحملني غيرك، مين هيعلمني أعيش في الدنيا دي إزاي وأطبطب على نفسي وعلى كل اللي حواليا إزاي؟ مين هيشبعني حب ويحسسني إني ست بجد، أنا مش عارفة، مش عارفة حاجة، أنا متلخبطة يا "محمود" ومش عارفة هكمل من غيرك إزاي، بس عارف، أنا لازم أخليك دايما متطمن عليا، أنا عارفة إنك سامعني يا حبيبي، سامعني وشايفني كمان، أنا اللي إتعميت النهاردة من غيرك يا نور عيني،

إستريح يا حبيبي، وأنا أوعدك إنك تبقى متطمن على كل حاجة كانت مستقيمة بوجودك، أنا عارفة إن أنت مرحتش حتة، أنت موجود حواليا وهتفضل موجود

تقوم من جلستها بينما تظل يده بيدها تلثمها ثم تضعها بجانبه فتحتضن وجهه ثم تستقيم مهندمه شعيراته الناعمة ولحيته حتى تتراجع ناظرة إليه نظرة أخيرة، تقترب من باب الغرفة فتكاد تفتحه إلا أنها تعود لاحتضان يده مرة أخرى مقبلة إياها كثيرًا ثم تتركها وتمسح دموعها وتخرج لأبنائها فتندفع إليها ابنتها باكية بصوت عالٍ "بابا يا ماما" فتصيح بابنتها "شششش مش عايزة صوت، "أحمد" يلا يا حبيبي كل حاجة تتم في هدوء باباك محمود مكانش بيحب الزعل ولا الدوشة، مش عايزين نزعله، كل حاجة تخلص في هدوء وخلّي أي حد يكلم باقي العيلة يلّا

يتفحصها ولدها مردفًا:

- ماما أنت كويسة؟

- هبقى كويسة، عشانه، مش عايزاه يقلق عليا، عشانه، لحد ما أروحله.. هنتقابل هنروح من بعض فين..

يحتضنها ولدها مقبلًا رأسها فتدفعه عنها مردفة:

- يلا يا حبيبي خلص كل حاجة، الغالي ميستناش ...

*****

إذا كان لزامًا علينا أن نُجسد شيئًا بخيالنا

فلنجسد فألًا حسنًا وشيئًا جيدًا

مانيفستا الحياة

نهبت السيارة الفارهة الطريق المؤدي إلى المزرعة القابعة وسط الحقول المطلة على جدول صغير تلمع مياهه تحت وهج ضوء الشمس المبهج الوليد في أول النهار.. حتى إذا ما لاح باب المزرعة فأبطأ قائدها حتى توقف أمامه ضاغطًا على آلة التنبيه بالسيارة.

ما هي إلا لحظات حتى ظهر حارس البوابة ليفتح الباب على مصراعيه مرحبًا بالزائر..

دلف الزائر بسيارته للمزرعة من الداخل وتجول بعينيه بين سياج النخيل الذي يحيط بالأرض من كل ناحية وكأنه سياج أخضر يحميها ويفصلها عما يحيط بها من أراضٍ أو مبانٍ ثم تفحص الزهور المزروعة بكل صوب وباقي الزراعات مما أعطاه شعورًا قويًّا بالارتياح والانفصال عن العاصمة التي لا تبعد أكثر من نصف الساعة عن المكان بضواحي الجيزة.

ما إن اقترب بالسيارة من المنزل القابع برقعة متطرفة بالأرض حتى لاحت سيدة ستينية جميلة الملامح بيضاء اللون ترتدى ثوبًا أبيضَ فضفاضًا ووشاحًا -لونه أقرب للون السكر- تغطي به شعرها وتدلت شعيراتها الفضية الطويلة من أسفل الوشاح وكأنها عرابة قادمة من الأساطير القديمة.

ما إن لمحت ضيفها حتى تهللت أساريرها وانتظرت حتى صف سيارته وترجل منها حتى بادرته: "نورتنى يا عمر"

في خطوات رياضية صعد الضيف الذي كان رجلًا ستينيًّا ممشوق القوام، قوى البنية لا تخلو ملامحه من وسامة أصيلة سلم المنزل ومد يديه إلى مضيفته فاحتضن بعينيه وجهها قبل أن تحتضن يداه يديها قائلا:

- ما صدقتش نفسي لما كلمتينى يا "غرام".. كنتِ وحشاني جدًّا.. فضيت نفسي وجيت على طول علشان أتطمن عليكِ.

- عاش من شافك يا "عمر" إتفضل

أشارت إليه بالتقدم داخل المنزل فجال بعينيه بين جنبات الردهة المريحة للنظر والإضاءة القوية بها والتي جاءت من ضوء الشمس النافذ عبر النوافذ الواسعة الكثيرة التي تملأ المكان فاتسعت ابتسامته مردفًا:

- لسًّا بتعشقى النور والصبح؟

- عمري ما هبطل أحب النور.. أنا ممكن أموت لو مبقاش فيه صبح في الدنيا دي.. دورتي النفسية بتنور مع نور الصبح وتخفت مع غروبه

- عارف عارف قلت لك قبل كدا لما بييجى الغروب وتختلي بنفسك ال overthinking بيحتل المكان.. بس دا كان زمان يا غرام لما كنتي down.. بعد كل دا مفتكرش لسًّا الوضع بعد الغروب بيبقى سخيف؟

- مش بنفس الحدة طبعا لكني ما زلت كائن نهاري بحت يزهر بالنهار ويذبل ويكمن ليلًا.

تقدمته لركن قصي في الردهة به مقعدان وثيران بظهر عالٍ يتوسطهما منضدة صغيرة خلفها نبتتان ملونتان من زهور جميلة الرائحة والألوان وخلفهما حائط

زجاجي كبير تظهر الخضرة من خلفه في لوحة بديعة أضفت على المكان حيوية وراحة كبيرين.

استقر الاثنان على مقعديهما وبادر عمر قائلًا:

- مختفية انتي من فترة، وأنا احترمت بُعدك، بس كنت متطمن عليكِ المرادي مش قلقان زي زمان

- بعد وفاة "محمود" وجواز الولاد واستقرارهم جنب شغلهم وبيوتهم مبقتش بحب أخرج من المزرعة كتير... بقيت بقضي أصفي أوقاتي هنا.. في الفرندة بتاعتي براقب السما والسحاب.. وسط الزرع بتاعي برعاه.. راحة ..

تشير إلى المزرعة من الحائط الزجاجي مردفة:

- بستمتع مع صحابي الحلوين دول

- بقيتي فلاحة يعني يا ست "غرام"

- فعلًا بجد دا حقيقي، حاسة إني مرتاحة جدًّا كده، مبقاش عندي رغبة إني أخرج من الإطار ده، والقاهرة دي بقت صداع كبير بالنسبة لي والولاد حبايبي دايمًا عندي

- ربنا يخليكي ليهم يا "رومة" ويرحم الغالي

- ألف رحمة عليه

- "محمود" دا اللي طلع مفاجأة خطفك من الدنيا كلها، هو إنتي مختفتيش فجأة لأ، انتي اختفيتي بالتدريج من ساعة ما نقلتي بعيد عن القاهرة انتي وهو

- بعد ارتباطي بمحمود كنت حاسة إني محتاجة آخد نفسي من كل اللي حصل في حياتي، كأني كنت بجري وخلصت السبق، أو كأن مركبي التايه لقى مرسى ومينا

- يا سيدي

- أنت عارف أنا من زمان حلمي أبعد وآخد حتة أرض صغيرة أزرعها وأعيش فيها، كان نفسي آخدها في سيوة أو الوادي الجديد في الأراضي الجديدة هناك لكن لما اتجوزت "محمود" وحكيت له عن حلمي لقيته بيقولي إن فيه حتة أرض صغيرة جنب أرض أهله هنا وإنها مرسومة على إلى حكتهوله

- الله عليك يا شاطر "محمود"

- الله عليه فعلًا

- وقبلتي تغيري مكان الأرض كدا على طول

- بص أنا كان المهم عندي الفكرة نفسها مش المكان، كمان لما لقيت ولادي مش هيقدروا ينقلوا ولا يبعدوا عن القاهرة فقبلت فكرة الارض هنا وإبتدينا نبني البيت ونزرع حواليه

تبتسم في حنين جارف مردفة:

- "محمود" يا حبيبي تعب قوي في بنا البيت وفي الزراعة معايا وفي اختيار الزهور إلى هتتزرع وكل اللي حوالينا كانوا مستغربين هتزرعوا ورد وبس؟

- ولّا النخل ده

- كنت راسمة المكان كله في خيالي، كأنه حلم واتحقق على إيد الغالي

- لسَّا مُصرّ إن جوزك الله يرحمه دا كان اكتشاف والله، راجل جميل ومحترم والأهم عرف يتعامل معاكِ ويحتويكي في وقت صعب قوي في حياتك

- حقيقي

- يوم فرحكم كنتم طايرين.. كنتم ملفتين قوي للنظر.. فرحة غريبة ولا اتنين شباب عندهم عشرين سنة

أشرق وجهها وكأن الذكرى تسري في دمائها فرحًا وحنينًا مردفة:

- أنا قلت لمحمود لما حبيته إن ربنا كان محوشنا لبعض.. لما قابلته أول مرة بصلي بصة غريبة قوى.. اخترقني.. بصة هزتني وشقلبت كياني... بصة عميقة كلها استغراب وفضول وكأنه بيبص جوايا وبيشوف كل اللي مخبياه.. كأنه بيقولي إنتي خلاص وصلتي لبر الأمان.. ما فيش قلق ولا خوف من أي حاجة بعد كدا أنا هنا علشانك.. انتي بتاعتي أصلا ورجعتيلي

- آه بس أنتِ طلعتي عينه مستسلمتيش يا ست إنتي

- الحقيقة على قد ما بصته هزتني على قد ما قاومتها من أول لحظة وبشدة وفي الفترة اللي بعدها حاولت أهرب كتير

- عِند ولّا خوف؟ أفتكر خوف

- ما كانش عندي رغبة أو استعداد أحب ولا أقرب ولا اآمن لراجل تاني بس "محمود" صبر عليّ بصبر أب ورغبة حبيب

- "صبر أب ورغبة حبيب"! مش بقول لك جوزك دا كان اكتشاف

- تعرف، مرة سألته هو ليه مكانش إتجوز لحد ما إتقابلنا مع إنه كان عدى الأربعين ووسيم وعنده المقومات اللي تخليه مرغوب من ستات كتير

- فعلًا دي كانت حاجة ملفتة بس هو كان معروف عنه في السوق إنه بتاع شغل ومركز في شغله جدًّا

- وقتها قعد يحكي لي قصصه الكتيرة اللي ما كملتش لأسباب غريبة وملقتش ليها تفسير إلا إرادة الله فضحكت وقلت له هو أنت متجوزتش وإستنتني علشان ربنا كان محوشك ليا

- كان محوشكم لبعض إنتم الاتنين يا "رومة" أنت ست الستات والدراما الإغريقية اللي انتهى بيها جوازك الأول، كانت مؤلمة آه بس ربنا كان محوش لك عوض وخير، وكأنه ربنا بيفضيكي عشانه

- صحيح، إتفضل قهوتك يا "عمر"

يلتقط فنجان قهوته الذي أحضرته الخادمة مردفًا

- وأي دراما، قولي لي "أكرم" عامل معاكِ أنت والولاد إيه دلوقتي؟

- ولا أي حاجة معايا، خلاص بقى انتهينا وكبرنا يا "عمر"، علاقته بولاده وبس

- بيسألوا عليه؟

- آه طبعًا، مش حبًّا فيه والله أنت عارف هو قاسي قد إيه ومفكرش يبني علاقة حب بينه وبين ولاده، كان فاكر إنهم علشان ولاده هيحبوه بالفطرة كدا ويتجاهلوا عمايله، بس اكتشف بمرور الوقت إن كل اللي يقدر ياخده منهم دلوقتي هو السؤال لله والرحمة والعطف اللي ربيتهم عليها

- سامحتيه؟

- معرفش، تعرف أنا عملت إيه؟ سقطته من تاريخ حياتي، كأنه اختفى للأبد أو متوجدش أصلًا، يمكن أكون سامحته كدا ويمكن لأ، هو كمان عمره ما فكر يطلب السماح والعفو أو يعترف بأخطاؤه

- كِبر

- كبر وعِند وكل ما تتخيل، الحمد لله الذي عافاني أنا وولادي

- الحمد لله يا حبيبتي

غامت عيناها وكأن كدرًا قد عكر صفو روحها بذكر ما تكره مما جعله يداعبها هاتفًا:

- مش هتفرجيني على أرضك والورد بتاعك

تبتسم في شحوب من قلب الذكريات غير المحببة إليها مجيبة

- يلا بينا همشيك في أجمل (تراك) ممكن شوفه

خرج الاثنان ونزلا الدرج فمد ذراعه إليها كي تتأبطها فضحكت قائلة:

- أنت فاكرني ست عجوزة محتاجة اللي يسندها

- لا ست عجوزة غلباوية

تعلو ضحكات الصديقين بينما تتأبط "غرام" ذراعه وتشير إلى طريق ممهد مثلما يمهد المسار في النوادي الرياضية قائلة:

- أنا قلت لمحمود نعمل تراك نتمشى فيه ونجري فيه أنا مش هدوس على الزرع يا "محمود" وهو لقاها فكرة ظريفة فعملنا التراك دا يلف في المزرعة كلها وياما إتمشينا فيه في الفجر وساعة العصاري.

ثم توقفت عن المشي والتفتت إليه قائلة:

- إنما طمني عليك بقى يا سيادة الوزير.. أنت عمال تسألني وأنا بحكي ومطمنتنيش عليك..

يجيب "عمر" ضاحكًا:

- وزير إيه بقى ما خلاص

- وزير ونص كمان، فاكر زمان لما كنا بنتكلم وقلت لك هتمسك منصب سياسي في يوم من الأيام وقلت لي مستحيل أقبل وأبقى منظر وأنا قلت لك هيحصل وهتعمل فرق، كنت عارفة انه هيحصل

- أنا نفسي ما كنتش متخيل إني هقبل.. تيجي أو متجيش ما كانتش دي المشكلة، بعد انشغالي في مجموعتي الاقتصادية كان صعب يتعرض عليّ منصب سياسي واقبل لكن وقتها كان فيه بوادر أمل وخطاب مختلف وانا تخيلت اني بقبولي هعمل فرق أو حاجة

- وعملت

- عملت إيه بس؟

- بطل تواضع يا سيادة الوزير

- تاااني سيادة الوزير ما خلاص

- لا مش خلاص أنت سبت بصمة كبيرة ومحترمة وإلى الآن لا حد قدر يجيب سيرتك بحاجة وحشة ولا يكسر في السيستم اللي أنت عملته، لولا إنك رفضت تكون مع الوزارة الجديدة، كان زمانك لسًّا في منصبك زي مانت يا "عمر"

- بصراحة كنت تعبت، لما بحس إني موصلتش للي عاوزه بالظبط زي ما أنا راسمه بقلب الصفحة فورا مش بتردد، وحسيت إن "يوسف" ابني محتاج لي جنبه في إدارة الشركات ما كانش ينفع أسيبه في الوقت ده، كنت شايف اني حطيت سيستم في الوزارة واني قاومت فسادها اللي كان حتى النخاع بقرارات من نار وءءء تقاطعه ضاحكة:

- وكالعادة يا سيد "عمر" كنت تنتقل من هدف لما يتلوه بسرعة الصاروخ ولا تتوقف

- معرفش أوقف يا "غرام".. مقدرش أصلا، أنا بشوف أهدافي قدامي قبل ما أسعى لتحقيقها، بمجرد ما أبتدي أول خطوة في تحقيق هدف منهم بلاقي نفسي بادئ في رسم وتحديد الهدف اللي بعده

- الله يكون في عون الناس اللي بتشتغل معاك الحقيقة

- هعمل إيه بس، أنا اللي حوالي لو متوافقوش مع إيقاعي دا مش بقدر أوقف نفسي وأستناهم بتحرك تلقائيًا ودا اللي خلاني أسيب العمل الحكومي

- منطقي بصراحة مع إني كان نفسي تكمل

- حسيت إني اديت اللي اقدر أديه ويتقبل، فيه خطط كتير قدمتها ومتنفذتش

- وحاجات كتير اتقبلت واتنفذت لكنك غير راضي يا صديقي

- انتي عارفاني لا أقبل إلا بالسعي للكمال وبس، إدراكه بقى دي قصة أخرة

- عارفة، متغيرتش ولا هتتغير يا "عمر"

- وأتغير ليه؟ نفسي وقابلها كدا وحابيها كمان

- يا سلام على السلام اللي أنت فيه، ربنا يحميك

- وأنتِ بقى

- أنا إيه؟

- حاسة بسلام هنا؟ مش عايزة ترجعي القاهرة فعلًا؟

- لا القاهرة دلوقتي طبعًا لأ، أنا فعلًا حاسة بسلام وهدوء هنا، وولادي حواليا باستمرار، وأنت عارفني مش الأم اللي بتجيب ولادها بعقدة الذنب

- "You are throwing shades" يا ست انتي، بالبلدي يعني بتلقحي على مامتك الله يرحمها

- الله يرحمها بقى

- أنا حاسس إنك مسكتي كتالوج "ناهد" وعملتي كل حاجة عكسه

- يمكن يا "عمر"

- للدرجة دي

- بص أنا أمي ما كانتش وحشة ولا سيئة، بالعكس كانت بتحبنا أنا و"شهاب" جدًّا وكانت بتحب بابا كمان الله يرحمه، بس طريقتها في التعبير عن الحب دا كان لازم متتعارضش مع التقاليد والمبادئ القديمة اللي جدتي الله يرحمها ربتها عليها واللي المجتمع القديم أرساها؟

- يعني المشكلة كانت في جدتك؟ هي أساس المشكلة يعني؟

- المشكلة أساسها كل أم بتربي غلط أو بتقصر، الحدوتة متكررة وممتدة، وطول ما فيه أمهات بتربي غلط هتفضل الدنيا بايظة والمجتمع كله بيدفع التمن

- يا خبر عليكي، متغيرتيش أنت كمان، كنت فاكر السنين لما عدت بقيتي أهدى

- مش قصة أهدى يا "عمر" اللي حصل من أمي طول السنين أنا كنت فاكراه قسوة وكره ليا وحب لأخويا على حسابي، لحد اليوم اللي طلبت منها فيه تاخد حضانة الولاد علشان "أكرم" ميقدرش ياخدهم، كان يوم صعب بس كان فارق وفهمت يومها قد إيه أمي بتحبني بس هي وارثة ورث تقيل متقدرش تحيد عنه وإلا تبقي خيانة

- ياه.. للدرجة دي

- أمي كانت بتتقطع من الحيرة في اليوم دا ما بين الأصول والعادات واللي اتربت عليه سواء من جدتي أو حتى مجتمعيًّا من الأعراف وبين حبها لي والمنطق اللي بكلمها بيه

- وحبها ليكي انتصر في النهاية

- يااه، بعد معاناة، تعرف.. اكتشفت بعدها إننا فعلًا بنتغير بس لما بنقرر نتغير، لما بتحصل حاجة نقرر نتغير عشانها بإرادتنا الحرة تمامًا

- سبحان الله، علاقتك بمامتك إتغيرت بعدها جدًّا

- طبعًا، أمي أخدت الولاد في الأول وبعد جوازي أنا و"محمود" جابتهملي وفضلت قريبة

- بتراقبكم؟!

- حرفيًّا

- هاهاهاهاها

- طبعًا أنت فاكر إيه، فضلت قريبة بتراقبنا وعينها على "محمود" لحد ما إتطمنت والأمور مشيت بشكل طبيعي بعدها

- الحمد لله، أخيرًا رضي حضرة الشاويش "ناهد" على رأي عمو "جميل" الله يرحمه.

تواصل الضحك والمشي وسط نسمات عليلة وضوء نهار حنون على الصديقين حتى بلغا ركنًا ظليلًا يرتبط بالممشى تتوسطه أرجوحة كبيرة ومنضدة وكراسي وثيرة. استقرت "غرام" وضيفها عليها ثم أردفت:

- مش ناوي تدخل سياسة تاني قريب يا "عمر".. الظروف سامحة ومش أنا بس اللي شايفاك مهم ومؤثر في منصب سياسي

- صعب جدًّا صدقيني، أنا حر كدا ومرتاح وبنفذ في شغلي وما أملك سياسة غير قابلة لا للفصال ولا التفاوض ولا الخلل ودا لا يقل أهمية عن منصب عام

- أكيد ميقلش بس طول عمري بقول المخلصين في البلد دي نادرين وهي تستاهلهم وأنت من أهم المخلصين ليها والأكتر عقل اقتصادي جبار

- بصي أنا مش قابل اني أضيع وقتي في صراعات أو مواءمات مش هقدر أدخل فيها، دايما كنت شايف إن واحد + واحد = اتنين.. لا ٣ ولا ٦ ولا ١٥، السيستم لسَّا فيه فيروس الفساد.. آه الدنيا اختلفت شويتين لكني بقيت متحسس لأقصى درجة من أي فساد وأي فاسد، لا قابل معلش ولا عندي استعداد للتنازل وده ءء

- ودا بيعرضك وهيعرضك في أي منصب لصدامات كتير

- بالظبط كدا فتمام بقى أنا كدا تمام

- أنت طول عمرك تمام يا صديقي

استمر الحديث بينهما حتى حضرت الخادمة متسائلة عن موعد الغداء فأذنت لها غرام بتحضيره في مكانهما الظليل هذا وإحضار ما أشارت إليه بالظرف فاختفت الخادمة قليلا ثم عادت حاملة ظرفًا مغلقًا التقطته منها غرام وفتحته وأخرجت منه شيكًا مصرفيًّا يحمل توقيعها أشارت إلى صديقها قائلة:

- الشيك دا فيه مبلغ يا "عمر"، عاوزاك تتصرف فيه زي ما تشوف، تعمل بيه دار تانية زي الدار اللي أنت عملتها للأيتام والمسنين بالظبط بنفس الضوابط وبنفس الأركان اللي أنت أرستها وبقت مصر كلها تحكي عليها

- مؤسستنا دي أحسن حاجة حصلت في حياتي أصلًا، أيوه بقي مش تقوليلي اقتصاد

- لازم تاخد حقك في كل شيء، أنت مؤسستك هي تقريبًا المؤسسة الوحيدة اللي مشفناش يوم خبر في جريدة عنها لمشرفة بتعذب طفل ولا حد يوم شكك في تمويلها ولا أهدافها ولا التبرعات اللي بتتجمع ليها، عاوزاك تعمل مؤسسة تانية أو تدعم مؤسستك وتكبرها، بص.. إعمل اللي تشوفه صح يا "عمر"

حملق "عمر" في الشيك مردفًا

- بس دا كتير قوي يا "غرام"، أولادك عارفين بكده

ابتسمت ابتسامة حانية مجيبة

- عارفين طبعا وموافقين وبيشجعوني، مانت عارف تعبت قد إيه في تربيتهم، ولادي دول مشروع عمري اللي عملته وكان كل أملي ينجح.

- ونجح الحمد لله، لازم تكوني فخورة وعارفة إنك ربيتي ست جميلة ومحترمة وراجل ناجح وجدع، بالمختصر كدا لما شفت ولادك حسيت إنك ربيتي ست تعرف يعني إيه تكون ست وراجل يفهم يعني إيه مسئولية كلمة راجل، ودي حاجة صعبة قوي دلوقتي

- الحمد لله يا عمر، منا قلت لك مشروع عمري دول

- يعني متأكدة من قرارك بخصوص الشيك ده؟

- طبعًا، أنا بعد تفكير ملقتش حد أحمله الأمانة دي إلا أنت

- ربنا يقدرنى

- هيقدرك إن شاء الله.. ربنا مع القوي الأمين

عادت الخادمة تحمل الغداء هي ومن يساعدها من عمال المزرعة وشرع العجوزان في تناول غدائهما حتى توقفت "غرام" للحظة متسائلة:

- تفتكر إحنا حققنا اللي عايزينه في حياتنا؟ بتقعد تفكر في اللي فات؟

- ياه.. بفكر في اللي فات طبعًا

- تفتكر أفكارنا ورؤيتنا المختلفة للحياة كانت لينا.. ولّا علينا؟

حدق "عمر" بالسماء الممتدة أمامه بلا نهاية مردفًا

- أنا شايف إن كل واحد فينا عمل اللي كان مفروض يتعمل، عن نفسي عمري ما آمنت بفكرة الندم ولا فكرت في شيء حصل إلا كعبرة ودرس ونقطة انطلاق للي بعده، حاربت في الاتجاه اللي ضميري شافه صح بكل ما أملك من قدرة وإمكانية، كنت بشر بامتياز، بغلط غلطات البشر وأرجع وأتوب وأرجع أغلط وأتوب تاني زي البشر برضو، عمري ما ادعيت إني منزه أو ملاك، حتى اللخبطة اللي حصلت في حياتي وقت الأربعينيات

تقاطعه مداعبة:

- أزمة منتصف العمر؟!

- ولا أزمة ولا بتاع.. أنا إتعاملت مع التقلبات دي من منطلق إني إنسان موجود في الحياة علشان يغلط ويقاوم ويجرب ويرجع ويتوب وعدي وفات الحمد لله

- الحمد لله يا "عمر" عدى كتير فعلًا

- إنتي كمان أفتكر إني عمري ما شفتك ندمانة على إختيار اخترتيه، حتى لما عديتي بفترة التحول أو الفرصة التانية زي ما كنتي بتسميها، عديتي دا كله بثبات، لما كنت براقبك من بعيد وأقارن "غرام" القديمة اللي كنت أعرفها و"غرام" الجديدة اللي إتخلقت بعد ما سبتي "أكرم" كنت بنبهر الحقيقة

- ما كانش سهل الوقت دا يا "عمر"، صديقتك الصغيرة اللي دخلت بيت "أكرم" وخرجت منه بعد أكتر من حداشر سنة على وشك خسارة حياتها بإرادتها، ما كانش سهل عليها تفوق وتقرر انها متنتهيش، وان حدوتتها الحقيقية تبتدي مش تنتهي، تجربتي مع "أكرم" كانت كفيلة تهدني وتنهيني بجد، كنت كل يوم بحس إن النهاية قرّبت، وإن حياتي بتنتهي، بس ربنا أراد لي رحمة وفوقان من اللي كنت فيه

- ولادك؟ صح؟ زي ما قلتيلي قبل كده؟

- ولادي كانوا شرارة فوقاني، علامة علشان أفوق وأعرف إن لنفسي عليّ حق، حسيت كمان إنه حرام عليا أكمل عليهم، على قد ما كنت معيشاهم في قوقعة وفاصلاهم عن "أكرم" على قد ما أقدر علشان ميتأذوش من قساوته ووحشيته، إلا انهم اتأثروا فعلًا ولما خرجت من التجربة دي كان لازم أفوق وأفوقهم وأوقف أذيتهم النفسية لحد كده.

- اللي عملتيه مع ولادك كان رائع، بصراحة مستحيل حد يشوفهم ويتخيل إن طفولتهم كانت صعبة إو إنهم اتعرضوا لأي أذى نفسي وهما صغيرين

- ما كانش عندي بديل، كنت حاسة بالذنب ناحيتهم

- ذنب إيه بس أنا عمري ما شفت أم بالجمال دا يا "غرام"

- ذنب إني خلفتهم يا "عمر"

- نعم

- إحنا بقينا في زمن صعب يا "عمر" واللي يخلف عيل فيه لازم يحس إنه مديون للعيل دا ببر ورعاية وحماية ورحمة كتير قوي

- عندك حق

- كنت ببرهم وبوفي ديني ناحيتهم، خلفتهم.. اتحمل بقي وأكون قد الخلفة

- بس أنت كنتِ خايفة

- بصراحة آه، كان كل رعبي إن أثر الماضي يفضل يطارهم ودا اللي خلاني ألجأ لجلسات الإرشاد والمتابعة النفسية وضعهم إتحسن كتير

- أنا فاكر اعتراض طنط "ناهد" الله يرحمها على الموضوع ده

- الله يرحمها ما أنت عارف طريقة تفكيرها بقى إن العلاج النفسي دا للمجانين واننا ما ينفعش نفضح نفسنا ونحكي بلاوينا عند حد غريب

- أومال نعمل إيه يعني هاهاها

- نفضل بمشاكلنا وعقدنا حضرتك علشان العلاج عيب، كفاية عليها واحد سمع كلامها، لكن أنا لاااا

- قصدك "شهاب" أخوكي؟

- أكيد

- والله ما عايز أسألك عليه، مش عارف ممكن تقولي إيه؟

- ولا أي حاجة هقول إيه يعني؟

- من صغره وهو ماشي ورا كلام طنط "ناهد" كأنه قرآن

- ولحد دلوقتي وحياتك

- معقول؟

- للأسف، "ناهد" بالنسبة له فكرة مش شخص، "ناهد" دلوقتي متجسدة في مراته

- وعايش إزاي على كده

- حاله صعب والله يا "عمر" مراته قلبها جامد فعلًا وطلعت العيال الاتنين على كدا فتقدر تعتبر "شهاب" دا ضيف عليهم ملوش أي دور في حياتهم وعياله مدركين دا ومحيدينه تمامًا، مجرد مصدر للفلوس اللي ماما بتقولنا نصرفها إزاي وفي إيه!

- مش قلتيلي انه جالك مرة وقعد يشتكي ونصحتيه لازم يغير حياته دي أو يشوف استشاري اسرة؟

- حصل

- أومال إيه؟ فيه راجل يعمل في نفسه كده؟ دا لو راجل من إياهم كان زمانه رامي "منال" دي ومتجوز واحدة تانية ولّا متجوز عليها حتى

- "شهاب" كان أوسكار أكتر إنسان شايف حياته بتنهار قدامه وهو قاعد بيتفرج

- حرام عليه بجد هيتحاسب على عمره اللي راح في حياة زي الموت

- لا إزاي؟ أنت كنت عايزه يفضحنا ويروح لدكتور نفسي على رأي أمي؟

- أنت اتصرفتي صح وصدقيني ما فيش حد سِلم من الدنيا دي، شاوري لي على حد مش متعور منها ومش موجوع، لو ركزتي هتلاقي الكل جه عليه وقت وأخد الضربة ولف حوالين نفسه وتاه وكل واحد وقدره بقى يا "غرام"

- صح، احنا قدرنا كله كان مبطن برحمة ربنا، أبقى ظالمة لو أنكرت ده

- أنت ست جميلة يا "غرام" وعارفة قيمة نفسك وقيمة كلمة "ست"

- حتى دي مريت فيها بفترة لخبطة، صدقني أنا مش ملاك ولا كاملة ولا باخد الصدمة النهاردة وأصحى بكره صاغ سليم، اللي اتصدمت بقسوة "أكرم" واستسلمت دي ما كانتش أنثى من الأصل، اللي صبرت علشان خايفة من اللي ممكن يحصل لو بقت لوحدها ما كانتش أنثى أكيد، كانت مش عارفة هويتها أصلًا

- كلنا بنضعف وبنمر بأوقات توهان دا طبيعي

- طبيعي بس نفوق مش نركن

- أنت مركنتيش بالعكس فقتي جدا

- فقت بس أخدت وقت طويل

- تفتكري ليه؟

- مش عارفة، يمكن لان التوهة مع "أكرم" كانت كبيرة قوي، يمكن لإني اتحولت من الشيء لنقيضه وده أخد وقت، يمكن لأنك في مجتمع ستاته ورجالته كتير منهم عنده اضطراب هوية أصلًا

- يا ظالمة، الناس زي الفل مش قوي كده

- لا كدا بقى أنا شايفة إن الدنيا بايظة ستات ورجالة، كل واحد فيهم متخلي عن دوره وقاعد مستني التاني يتغير ويتعدل ويعرف أن الله حق ودي حاجة متقومش حياة يا "عمر"

- العند يولِّد الكفر

- العند يدخل م الباب فيخرج كل شيء طبيعي من الشباك

- عندك حق بس لا كل الستات ولا كل الرجالة ممكن يكون عندهم الثقافة الكفاية أو الإدراك علشان يصلحوا الاضطراب ده

- خالص، الفطرة السليمة مش محتاجة دكتوراة في الوعي علشان تتصلح، رجالة وستات كتير بيتصنفوا في إطار مجتمعك من البسطاء وهما في الأصل وفي النفس عظماء وطبيعيين، ست عارفة قيمة نفسها ودورها وراجل حقيقي مبيتلككش ولا يستنى مين يرجع لدوره الحقيقي الأول ولا يلعب بمصير حياته وحياة اللي مسئول عنهم

- لسًّا محتاجين نتعلم ونعلم اللي حوالينا كتير

- محتاجين نتعلم نعيش بهدوء

- بقيتي عجوزة بتحبي الهدوء هاهاها

- ندمت كتير على عصبيتي وتوتري، أهي دي حاجة ندمت عليها، هلاك نفسي وهلاك صحة وتوتر وعلي إيه كل ده

- لا بس لحقتي نفسك برضو أنت هديتي كدا من وقت ما قابلتي "محمود" الله يرحمه

- توقيت ظهور "محمود" كان غريب، وكأن كل الشتات كان بيتجمع مرة واحدة، كنت بتعالج نفسيًّا وبتعلم ثبات انفعالي ويوجا وحاجات تانية كتير وكنت إبتديت أهدا فعلًا وأتعامل مع مشاكلي بشكل أهدا، "غرام" اللي قابلها محمود كانت شخص مختلف عن نفسي اللي عشت بيها طول سنين عمري

- هو كمان كان راجل جميل بصراحة

- أجمل من كل التخيلات، ومن كل الكلام، كان فاهم يعني إيه راجل ويعني إيه شايل مسئولية، كان بيقول لي كلمة حاضر اللي بتقوليهالي دي دين في رقبتي لازم أكون قده وأوفيه

- ياه

- "محمود" علمني إن الدنيا دي فيها حاجات وحشة كتير بس فيها الحلو اللي يغطي على الوحش دا ويداويه والمحظوظ بس واللي ربنا راضي عنه هو اللي يعتر في الحلو ده

- صحيح.. الوقت خدنا والمغرب قرب، يا دوب أرجع

- هتزورني تاني؟

- طبعًا، الصحاب اللي بجد مكتوب لهم ميسيبوش بعض أبدًا، ادعيلي كل يوم المغربية يا "غرام" وأنا موجود ولما أقابل وجه كريم

- ليك كل الحب والسلام فين ما تكون يا "عمر"

تصطحب "غرام" صديقها في تمشية ثانية نحو سيارته حيث تودعه بباقة ورد مبهجة من ورود مزرعتها فيبتهج شاكرًا سعيدًا.

يستقل "عمر" سيارته ويبدأ في التحرك ببطء شيئًا فشيئًا.. تغزو علامات الرضا ملامحه.. تحين منه التفاتة لمرآة سيارته يتفقد منها صديقته الواقفة لوداعه.. تتجه يده لمشغل الموسيقي فيضغط عليه.. فيصدح صوت المطرب عاليا

((يا دنيا يا غرامي، يا دمعي يا ابتسامي.. مهما كانت آلامي، قلبي يحبك يا دنيا))

تمـت

قصة غرام

مانيفستا الحياة

منى عبد العزيز٢٠٢١

تعريف بالكاتبة

الكاتبة منى عبد العزيز

كاتبة مصرية، درست الإعلام بجامعة القاهرة وعملت بالصحافة الإلكترونية وكتابة المحتوى لعدة سنوات..

لها مجموعة قصصية بعنوان "قهوة كَحُبك" صدرت عام ٢٠١٩ عن دار "زحمة كُتّاب"، بجانب العديد من القصص القصيرة ومقالات الرأي بالقضايا الاجتماعية وقضايا التعليم وحقوق المرأة والطفل بمدونتها الخاصة ومواقع عديدة مثل "البداية" و "زائد ١٨" و "الاتجاه" و"الخبر" و"وسط الدايرة" وغيرها

شاركت بكتابة سيناريو مسلسل "الشريط الأحمر" عام ٢٠١٨

درست بالعديد من الدورات والورش للعلوم الإنسانية التي ترصد أنماط الشخصيات وأبجديات التواصل وتعالج اضطرابات العلاقات

تميزت كتاباتها بالتحفيز وتنمية الوعي ورصد التجارب الإنسانية

*****

المحتويات

الإهداء ٥
الذبيحة ٧
سقوط ٩
الفوران البريء ١٢
القطاف المبكر!! ١٤
الخلاص الموهوم ١٨
طفقات النار ٢١
الحرام ٢٣
البرد الدافئ! ٣٠
الخروج من الشرنقة ٣٤
الطَّرقَات ٤١
رقصة الحياة ٤٦

الشفاء الوشيك ٥٧
محكمة ٦٥
نظرة ٧٠
عيشة ٧٤
الثانية ٨٣
تحرش ٨٧
شكوى! ٩١
تحقيق حالة! ١٠١
الفارس ١٠٥
شكر ١٠٧
بداية ١١٠
ابتسامة ١١٨
بئر العسل ١٢٠
الوحيدة ١٢٦

الموهومة ١٣١
فاتورة سابقة ١٣٧
التائه! ١٤٥
علامة ١٥٣
ماما ١٦٠
غزو ١٦٧
صباح الغزو ١٧٢
فراق ١٧٥
ابتزاز ١٨٧
مواجهة ١٩٦
العودة ٢٠٣
الغُراب ٢٢٦
دخان الاعتراف ٢٢٩
الحضن الشائك ٢٣٦

صباح الحب ٢٤٠
الصباح الأول ٢٤٠
الحلم ٢٤٤
سلمى ٢٤٨
الوداع ٢٥٦
مانيفستا الحياة ٢٦٠
تعريف بالكاتبة ٢٧٩